Des lumières

Issn: 2649-4744

مجلة الأنوار للبحوث والدراسات العلمية

N 1 JANVIER 2019

العدد الأول 1، يناير 2019

هيئة التحرير

جمال الهاشمي — رئيساً
ميثاق بيات الضيفي — نائباً
عبد الرحمن الفقي — أميناً
عبد القوي حسان الحاج — مديراً

إدارة العلاقات العامة

سامية جلال — مديراً
برديس الأغبري — مساعداً

سكرتارية التحرير

سمية الطاهر
ساره مرقس
لطيفة الحاج

التصحيح والمراجعة والترجمة

تهاني مدهش
طارق القباطي
عبد الحميد الخطيب
مبارك العود
هشام حمزة

المالية وإدارة الحسابات

عبد القوي السلمي

إدارة الإصدار الالكتروني والنشر

تسنيم العامري
حسناء النبهاني
فاطمة الكيالي
نجاة عامر

إدارة المواقع الإلكترونية

تميم البحراني
نجلاء البياتي

الهيئة العلمية

أحمد الأميري	اليمن	صفوان محمد رضا	الأردن
أحمد العمراني	المغرب	صفوت كمال روفائيل	مصر
السيد مصطفى أبو الخير	مصر	ضياء نعمان	المغرب
الهادي بووشمة	الجزائر	رامي أبو شمسية	أوكرانيا
بدر الدين الفيومي	مصر	محمد إسماعيل	اليمن
جمال الهاشمي	فرنسا	محسن حسن	مصر
خالد النحو	اليمن	ميثاق بيات الضيفي	العراق
خالد عبد القادر	لبنان	وعلي بوجمعة	المغرب
عبد العلي حامي الدين	المغرب	كمال أنطاكي	فرنسا
		كرستين شوفالييه	كندا

الباحثون في سلك الدكتوراه

سمية مسين	المغرب
عماد البريهي	اليمن
زكريا جناتي	المغرب

قائمة المحتويات

العنوان	الصفحة
الافتتاحية	2-
تطور الفكر الأصولي بين التاريخ والوحي: قراءة انتقائية في المصادر الأصولية	3-29
المقاصد الشرعية بين العقلانية السياسية وفلسفة الواقع: علاقة النص بالواقع	30-48
الأشعرية بين المنهج السلفي وفلسفة المعتزلة: قراءة في متغيرات الواقع الاجتماعي والسياسي	49-63
اليمن بين دول التحالف العربي وصراع المكونات المحلية	64-82
اليمن وأبعاد الدور الأمريكي المتخطية للحدود القومية: "قراءة مختصرة"	83-116
قراءة في كتاب: المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية	117-123

الافتتاحية

بسمك اللهم.

ما بين دفتي هذه الصفحات والتي ابتدأت هذا العام ببعض من المقالات للعدد صفر وفقا للمقاييس الفرنسية والاجراءات القانونية أردنا أن تكون هذه المجلة لخدمة البحوث العلمية الجامعية في البلدان الناطقة بالعربية ويهدف المركز من خلالها لمساعدة الباحثين ليكونوا قادرين على التعامل مع الظواهر البحثية تعاملا مسؤولا ينطلق من حقيقة يؤمنون به، ونحاول اخراجهم عن قوقعة الاستهلاك والتقليد واستمراء العبودية المذلة إلى قمة البحث والتجديد.

ومن خلال هذه المجلة تستقطب الكفاءات والباحث الأكفأ ليكونوا ضمن فريق المجلة توازن وهي مجلة النخبة ستكون موقوفة لمن علت به همته وارتقت به مسؤوليته، وتوجت به سجيته وفاحت به فضيلته.

ومن هنا فإن المركز يسعى لتشكيل نخبا جديدة صاعدة تأخذ البحث بالقوة وتقوم عليه بالأمانة

وتؤسس لإعادة اعتبار الإنسانية وتشكيل مكانة الأمة لمعالجة عتمة الوعي الإنساني العالمي وما أعشاه من ظواهر عنف واستبداد وارهاب وصراع طائفي وتخلف قيمي وأخلاقي وحضاري، كما يسعى لابتعاث النهضة عن مجتمعات اقعدها الجاثم عن اللحاق بحضارات الأمم الأخرى، لا سيما في احتكار الثروة والسلطة والنفوذ وتضيع مهامها أو التضعضع عن القيام بواجبها، وجعلت من الباحثين ماركات تجارية كالمرأة في ثقافة السوق العالمي. لا سيما وقد واستُملك الباحث بحاجته، فانبرى يدافع بما لا يعتقد، ويُباري بما لا يتقد في سلسلة مقيدة من استغلال ممنهج كلما انفرجت عنه حلقة من حلقاتها ليتحرر أردفته حلقات أخرى تسلبه حرية قلمه، وصحوة ضميره، وعدالة علمه

ومن هنا فإن المركز قد أخذ على عاتقه مهمة كبيرة ومسؤولية جسيمة إلا أنها جليلة وعظيمة بعلو قدرها ترتقي به همة الهمام وتنحرف عنه سقط اللئام. وقد آلينا على أنفسنا أن نتابع الباحثين والطلاب على أن يبذلوا جهدهم وأن نتبنى كتاباتهم ونشرها بكل وسائلنا المتاحة وإمكانياتنا الموجودة ونقيم الدورات المنهجية لصناعة الباحث المسؤول، الذي له من النبالة والشرف والتميز قرناء، الباحث الذي يصنع ولا يتصنع، الباحث الذي يقاس عظمته بنفعه وفاعليته وتأثيره، الحر الذي يغير مجرى التيار ولا ينقاد له.

ومن هنا فإن المجال مفتوح لكل المجالات والتخصصات، وما يزال المركز في تطور ولن يتوقف عند اصدار مجلتيه (الإصباح، وتوازن) بل سيستمر بفتح جميع المجالات يقودها من ارتقت به همته وعلت به سجيته وارتفعت به قامته.

وبذلك نكون قد وضعنا لبنة لأجيال تبدأ من حيث انتهينا، تسابق الزمن في رحلة ممتعة من البذل والعطاء، وعمل دؤوب من التشييد والبناء

فتعيد للباحث قيمه وقيمته ودوره ومكانته في ريادة أهله ومجتمعه.

ومن جهة أخرى فإن هدف المركز بعد هذه النهضة الانتقائية الانتقالية أن يبدأ مشروعه الجديد في انتاج البرامج الإدارية والاقتصادية والاشراف عليه وتأهيل القائمين ومتابعتهم وفق دراسات نظرية حسابية كمية وكيفية تنزل التنظير في منازله ليلامس الواقع ويصححه ويعالجه، ويؤسس لبنية تنموية خلاقة ومستمرة في جوانب الإدارة والسلوك والتنمية.

وسنعمل جاهدين لإنتاج الدراسات النافعة والمفيدة وبرامجنا العلمية القائدة والرشيدة لصناع القرار السياسي والوقوف إلى جانبهم في مشاريعهم الإصلاحية، ولن نألوا جهدا أن تكون دراساتنا في التجديد قائمة، وبالتغيير هادفة، وللمجتمعات رافعة، وللأجيال صانعة. ومن هنا فإننا ندعو الجميع للتكافل والتكامل معا وكذلك المناحين والدول والتجار الذين لديهم الهمة والرغبة لترميم سفن الحياء وسفينة الحياة والعيش بأمن وصناعة السلام لنا، ولأجيالنا القادمة الذين ينظرون إلينا نظرة رجاء ويطمحون أن نضع لهم أسسا يسيرون عليها.

ومن هنا فإن دعوتنا الجميع ليكونوا معنا في الفضل سواء وقد يسبقوننا بذلك إذا ما أخلصوا. وهذه وبالله التوفيق.

د. جمال الهاشمي

تطور الفكر الأصولي بين التاريخ والوحي
قراءة انتقائية في المصادر الأصولية

د. جمال الهاشمي

المقدمة:

يحتاج التاريخ القديم إلى الكثير من التحقيق كمدخل لقراءة الأصول التاريخية، ولأجل ذلك تعددت مناهج التحقيق والنقد في المدرسة الإخبارية لاحتواء السلبية وتجاوز انفعالات المؤرخ، ومقاربة التصورات اللغوية والعقلية الواقعية وفصلها عن المتخيلات الأسطورية بقرائن الاستدلال. وتعد ثقافة الذكر التي تطورت عنها ظاهرة التدوين والتضمين في الكتب السابقة من الأسباب التي ماهت بين الدين والحضارة وهو ما أشار إليه المؤرخ البريطاني داريونيت[1]، وثقافة الذكر من المستقبليات التي وضعها القدامى لأنفسهم {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}[2] وهي قراءة وصفية للحالة المتعينة {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا}.

وعند المقارنة بين الوحي والتاريخ فإن الأول حقيقة ثابتة. والثاني موضوع إشكالي يحمل بعض أجزاء الوحي المنضبط بعلمي الرواية والدراية الساعيتان لفرز تاريخ الأديان عن تاريخ الفلسفة[3] وذلك لأن التاريخ مراد المؤرخ وليس له إرادة مستقلة، وأنه من العلوم الوصفية وعلم الوقائع البشرية الماضية، وليس من العلوم البحثية التي تسعى لاستكشاف المسلمات والقوانين[4].

وعند القول أن التاريخ مصدرا للمعرفة التاريخية المتكونة في الواقع فإنه بدوره يتحدد بـ: علم الأديان، وعلم الآثار، وعلم الروايات والأخبار، وفقا لمنهج السنن {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ}[5] من أجل فقه الاعتبار {فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ}، وتنمية علم الهداية {يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ}[6]. وتحقيق علم الخشية {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى}[7].

وقد أدرك الغربيون أهمية المعرفة التاريخية فميزوا بين الوثائق المادية التي تدرك بالحواس وبين الوثائق الباطنية المتعلقة بالدوافع والأفكار، وسعوا لتصحيح مسار عبادة الوثائق أو صنائع المؤرخ، وحددوا طرق التعامل بين الفكر والواقع لتحقيق النقلة الجادة والتجديد[8].

---

[1]– جمال الهاشمي، الخليج العربي بين اشكاليات التحولات الحضارية وصناعة العمق الاستراتيجي، رسالة دكتوراه (طنجة: جامعة عبد المالك السعدي 2018) ص2

[2]– سورة الشعراء آية (84)

[3] – ولتر ستيس، التصوف والفلسفة، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام (القاهرة: مكتبة مدبلولي1999) ص31

[4]– محمد المازني، من قضايا البحث التاريخي: مقدمات أولية (أكادير: جامعة بن زهر 2012) ص9

[5] – سورة آل عمرآن آية (137)

[6]– سورة النساء آية (26)

[7]– سورة النازعات آية (79)

[8]– محمد المازني، مرجع سابق، ص9

إن الماضي يُبنى على الحاضر ليصطفي ما نضج منه على وجه الدقة لإنتاج الحاضر، ومن ثم مواكبة الإنسان الذي أنتج التاريخ ليكون من نتاجه[9] بينما أصبح تاريخنا متجمدا ومعوقا لانفتاحنا نحو المستقبل.

ولا قيمة للتاريخ ما لم تتشكل فيه إرادة الإنسان لمساءلة المعارف التاريخية والتحقق منها وتفعيلها، وإذا نظرنا إلى العصر الجاهلي وجدنا انقطاعا عن الماضي نتيجة لانتشار الأمية وغياب التدوين سوى ما اعتمدوا عليه من النقولات الشفوية وبعضا من تعاليم إبراهيم وقيمه، وشكل هذا البرزخ النقلة لبداية التاريخ الجديد والتحولات التالية:

1- قطع التاريخ القديم بالتقويم الهجري المتسق مع السنن الإلهية {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} فكان ذلك التقويم ذات بعد ديني تجرد عن الارتباطات المحلية التي أوردتها الآثار **[10]**.

2- إعادة ترتيب أولوية العلاقة المكانية {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الحرام}.

3- إعادة ترتيب المكانة المتسقة مع مفهوم الجبلة {النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ}.

4- اعادة تجديد الأصل التاريخي للنصوص بالوحي {كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}.

5- توحيد اللهجات القومية ودمجها في لغة قريش {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}.

6- استبدال المنطق الفلسفي بالمنطق اللغوي[11].

7- إعادة ترتيب الفصل والاتصال بين محطات التاريخ القديم مع نوح، والوسيط مع إبراهيم، ونهاية التاريخ ومحمد(ص)[12].

ويرادف البعض بين العمق والجذر مع أن كليهما يدل على شيء مختلف فالعمق متكون ومنتوج لحقب زمنية متعاقبة من عمليات التغيير والتحويل والتطوير، والجذر هو المادة الأصل ويسمى الثابت وعنه مع متغيرات تاريخية تتأسس الأصول المتغيرة التي فيها فسحة العقل والاجتهاد وتسمى أصولا متغيرة. ويمكن تقسيم مصادر الإسلام إلى ثلاثة مصادر هي:

أولا: المصادر البنوية (علوم أصول الدين)

البنائية هي طريقة علمية عميقة لاكتشاف المعرفة بالعودة إلى جذورها الأولى، ومن ثم إعادة بنائها والبناء عليها وتصحيح مساراتها للبحث عن ماهية الجوهر بمعقولات البرهان وليس بإطلاقه في أمور تتعلق بواجب الوجود وممكن الوجود، والدوران مع أحكام العقل: الواجب، والممكن، والممتنع[13] حيث يتكون العلم من مادة

---

[9]- محمد بهاوي، المعرفة التاريخية، نصوص مختارة ومترجمة، ج1 (المغرب: أفريقيا الشرق 2013) ص82

[10] وقد ورد عددا منها كالتقويم السلوقي والحميري وكانوا يؤرخون بتواريخ ملوكهم السابقة وقريش أرخت بعام الفيل انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج8، ط3 (بيروت: دار العلم للملايين 1980) ص27

[11] - {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} النحل (103)

[12] - {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}

[13]- عبد الرحمن بن ناصر البراك، شرح العقيدة التدمرية، ط1 (دار التدمرية 2011) ص96

وجوهر وهو محل نزاع بين الفلاسفة والأنبياء ويسمى باثولوجيا باليونانية، وعلم اللاهوت في الديانات وعلم الكلام في الإسلام للرد على فلسفة الكلمات بالقواعد العقلية والمادية انطلاقا من القواعد الأصولية.

وقد تشكل الجدل الفلسفي في الفترة التاريخية بين نوح وإبراهيم –عليهما السلام، بينما وظهر الفكر الغنوصي بين إبراهيم ومحمد عليهما السلام وقد نشا خلال هذه الفترة علم الإسناد الاخباري لعلم الأسباب المؤدية إلى الأصولية الحنفية واختلط فيها الصحيح والفاسد، ومع تشكل علم الجدل بين أتباع الديانات التابعة كما صورها القرآن {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِما}[14]، والحنفاء هم الذين أخذو بتعاليم إبراهيم وشرائعه وليس لهم كتاب ولا نبي[15] ويتكون علم الكلام من:

1- علم الوجود وهو علم العقيدة المبني على الأدلة العقلية والنقلية ومن مناهجه النظر الرابط بين إدراك الشيء ووجوده من جهة {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ}[16] حيث يرتبط الوجود بواجب الوجود هذا من جهة، وفيه تنبيه وإخبار، وبين وجود الشيء الذي هو علم الله للإنسان، وعلم الحضارة في الإنسان، وفناءه على سبيل الإخبار {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}[17]، أو فناءه بأسباب فيه اختيار {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}[18]. ثم مناهج الفكر وقضية الفكر الرابط بين إدراك الشيء والعلم به، وتقوم على أساس تحريك النفس من المطالب الى المبادئ ورجوعها منه اليه[19] فالأول منهج الفكر بالدليل العقلي لأنه وحي يربط بين دار الفناء والتبليغ، ودار البقاء والحكم {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ}[20] والثاني منهج بالدليل الحسي ويقاس بالزمان لأن له بداية وانتهاء {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}[21] ومنهج الفكر بالعلم الحضاري وتتواتر فيه الآيات الدالة عليه[22] وآخرها منهج الفكر بالتاريخ[23]. ومن ثم جاء علم النبوة لتنظيم طرائق التفكير ومناهجه بالنظر إلى الموجود والاستفادة منه لتحقيق علم الاستخلاف من جهة، وعلم الإيمان من جهة أخرى، وعلم الاستكشاف من جهة ثالثة {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}[24].

2- التكوين في فلسفة –اللوغوس– وهو علم الكلمة التي وضعها فلاسفة آسيا الوسطى وربطوا بينها وبين منشأ الوجود وتباينت معهم طرائق الاستكشاف ما بين اعتبار النار أو الماء أو عناصر المحسوس أصلا للوجود ومن ثم تولد التأليه الطبيعي الذي تجدد مع فلاسفة التنوير، ومن ثم تطورت فلسفة الكلمات مع المرحلة

---

[14] – آل عمران (67)

[15]– أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج1، ط1 (بيروت: دار الرسالة 1994) ص239

[16] – الأعراف (185)

[17]– فاطر (44)، غافر (21)، الروم (9)

[18]– غافر(82)، محمد (10)، يوسف (12)

[19] – ابن نجار الحنبلي، مختصر التحرير في أصول الفقه، ط1 (الرياض: دار الارقم 2000) ص33

[20] الاعراف (184)، آل عمران(191)، النحل (44)، الحشر (21)

[21] الروم (8)

[22] انظر في: يونس (24)، الرعد (3)، والنحل (11، 69)، الروم (21)، الزمر (42)، الجاثية (13).

[23] الأعراف (167)

[24] الرحمن (33)

الغنوصية ومن ثم كانت كينونة "كن" منشأ النزاع العقلي الفلسفي واللاهوتي الباحثة عن ماهية القوة الخفية وأصلها ومن ثم كان تأليه اليونان للإنسان وتبعا لذلك تأليه اليهود والنصارى للأنبياء، وبين تلك المرحلتين جاء الإسلام لتصحيح مسار العقل في الوجود، ومسار التاريخ في الواقع، ومسار توظيف الكلمات وفقا لمناهج التكوين البنوي حيث تتنوع مناهجه إلى: منهج التكوين أحدهما يتعلق بالمادة {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[25] وعليه دائرة العقل، والثاني يتعلق بالأمر {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[26] وعليه دائرة الإيمان.

3- التكوين في فلسفة اللاهوت وهي طريقة في التفكير الباطني لتفسير الكلمات وتجسيد الإله أو تأليه المتجسد، وأول من ابتدعها أفلاطون وطورها أفلوطين وتكونت بها البوذية والمسيحية وبعض المعتقدات اليهودية، وبها تأثرت فرق تنتسب للإسلام بسبب تداخل الشعوب والأفكار وتراث ما قبل الإسلام، وتنوع الاستدلالات واختلافها باختلاف مصادرها حيث أن الأدلة العقلية تسعى لاستكشاف الوجود المطلق بالوجود المتحيز في الزمان والمكان والطاقة، وتقوم على أساس أن قاعدة الجهل بالشيء نتيجته العدم وقد صورهم القرآن بقوله: {وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ}[27] وبهذا المتكون نشأ الجدل حول الإسناد والكلمة إما لاستكشاف حقيقة الإسلام أو لإنكاره، ويتخذ أحدهما من المجال العلمي والبحث في جزئيات الوجود وسيلة لإنكار علم الوجود الذي هو موضوع علم الأنبياء وقد نشأ لمقابلة ذلك علم الاعجاز النبوي لتبيين علم الاعجاز العلمي والعقلي بما لا يحتمله العقلين معا، والجدل الإنكار لعلوم الوحي مع العلم به القديم {قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا}[28]، وبينهما احتدم الصراع بين أدلة الحواس والوحي وبينهما نشأ الجدل العقيم {ومن الناس من يجادل في الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ}[29] وهو منتوج الصراع الدين والفلسفة {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}[30]، ويليه في الدرجة جدلية الجهل بالشيء الذي ينجلي بالدليل وفيه العذر {وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}[31]، وفي الإسلام تكون منهجين أحدهما: الجدل الجبلي {وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}[32]، وهو أول مقدمات منهج الحوار[33] وجدلية الحسنى[34]. ويتجسد فيه جدلية المبدأ والارتباط بالمكون الأسمى. أما مجتمعات المكون التاريخي بعد إبراهيم فيشتركون بأصل الدين وكلمة التوحيد ويختلفون في المنهج المؤصل للحقيقة وهو موطن الاعتراض مع وجوه الاتفاق السابقة ومن ثم كانت "تعالوا" تحمل معنى الارتقاء واللقاء {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} وقد نشأ علم الكلام داخل الإسلام لتصحيح ثقافة الحوار والكائنية التي بها وجد

---

[25] البقرة (117)، الأنعام (73)

[26] النحل (40)، آل عمران (49،59)، الفرقان (7)، يس (82)، غافر (68)

[27] الكهف (56)، غافر (5)

[28] هود الآية (32)، الحج (68)

[29] – الحج (8، 3)، لقمان (20)، غافر (4، 35، 56، 69)، الشورى (35) الرعد (13)، الانعام (25، 121)، الأعراف (71)

[30] – الزخرف (58)

[31] النساء (107)، (109) النحل (11)، الانفال (6)، هود (74)

[32] الكهف (54)

[33] {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} سورة المجادلة (1)

[34] {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} العنكبوت (46)

الوجود ولتنظيم العلاقة بين عالم الأشياء وعالم الأشخاص، وتشكل بالثاني علم الاسناد وتصحيح مسارات التاريخ.

وتتنوع مصادر أصول الإسلام إلى: علم الكلام ويتوقف عليه معرفة الأدلة الكلية، وعلم العربية ويتوقف عليه معرفة الموضوعات اللغوية، وعلم الأحكام ويتوقف على التصور لإثبات الشيء ونفيه، وتتنوع القواعد بناء على مصادرها الى قواعد مستنبطة من الأدلة العربية أو من الأدلة العقلية أو من ابتكار الأصول المستنبطة من القرآن والسنة[35]. وأما أصل علم الكلام في الإسلام {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ}[36] وهو موضوع علم الاسناد النبوي بدءا بآدم وانتهاء بخاتم النبيين {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[37] ويشير الماقبلية لـ "قبل" إلى التسلسل الزمني الحاصل في الذهن والمنقطع سندا مع بقائه وحيا وجبلة.

ودلالة الاسناد وصية القرآن، حيث تشير إلى انقطاع سند الأول عن السلسلة مع بداية قيام الثاني. وقد تشكلت فيها ثلاث محطات تجديدية ولكل منها ملحقاتها: أولها مع نوح الأب الثاني للبشرية وهو بداية أصل التكوين وفيها نشأ علم الاخبار ولم يصل إلينا شيئا من نصوص الوحي سوى ما كشفته دلائل الآثار حمائل الأخبار، وتتميز هذه الفترة عن علم آدم اللدني، وثانيها: المحطة الوسطى مع إبراهيم (ع) وفيها نشأ علم التوثيق؛ الصحف والتوراة والانجيل والزبور[38]

ومن بين كل أولئك لم تنقطع تعاليم وشرائع وسنن الحنفية حتى البعثة النبوية وهي ديانة الحنفاء الموحدين المستبشرين بدعوة إبراهيم[39]، وكان عبدة رحمن اليمن يسمون الحنفاء[40] وعلى ملتها التبع اليمني أسعد الكامل[41] وينسب إلى قصي محاولة إحياء التوحيد الحنفي وتنقيته من اللوث الوثني[42] ويعتبر بعض المستشرقين الحنفية أصل عربي[43]. وفي الحديث عن ابن عمر "أنها ستكون هجرة بعد هجرة لخيار الناس الى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض الا شرار أهلها تلفظهم أرضوهم"[44] حيث تتعاضد الأدلة على أن إبراهيم عربي هاجر إلى الشام. ولهذا ظلت الحنفية في بلاد العرب حلقة وصل بالمحطة المحمدية التي فيها العلم المحفوظ، وعلم التوثيق، وعلمي التدوين والسيرة، وعلم العادة؛ والعقل، فالحنفية تعني الاستقامة على

---

[35]– صفوان بن عدانان داوودي، قواعد أصول الفقه وتطبيقاتها، ج1 (دار العاصمة للنشر) ص28–29

[36]– سورة محمد آية (19)

[37] الانبياء (25)

[38] –يطلق الزبور على الكتب" انظر: محمد مصطفى منصور، أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره (القاهرة: دار غريب 2003) ص229

[39]– أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، تحقيق، محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار الجيل 1986) ص241

[40]–سيد محمود القمني، الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية، ط4 (القاهرة: مكتبة مدبول الصغير1996) ص134

[41] هو أول من كسى الكعبة وآمن بالنبي قبل بعثته بسبعمائة عام انظر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، شرح، مفيد محمد قميحة (بيروت: دار الكتب العلمية، دت) ص65

[42] جعل قصي من أشهر الحج فترة سلام لتيسير الحج وتأمين التجارة ورعاية الشعر انظر: عبد العزيز الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة ج3، ط1 (دار الغرب الإسلامي 2007) ص205

[43] الحنفية بالعربية التحنث والبعض يراها عبرية وآخرون ينسبونها الى الآرامية، والله يقول مؤكدا ما قالوه { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } آل عمران (68) انظر: جود علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج6، ط3 (بيروت: دار الملايين 1980) ص453

[44] ورد في الفتن لنعيم بن حماد انظر: عبد العزيز الدوري، ج3، مرجع سابق، ص134

الحق المائلة عن الباطل[45] والشريعة وصية {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا}[46] وأهم مدارات الصراع بين الحقبتين السابقتين:

1- الصراع على علم الإسلام {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ}[47] وهو موضوع النبوة.

2- الصراع على علم الاستخلاف {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}[48] وهو موضوع الإنسان.

وقد وظف الأول لخدمة الثاني على غير قاعدة العدل وبدأت مرحلة التصحيف والتحريف {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}[49] ثم وظفت الأسباب الحضارية لتغييب علم الأمانة، واستغلال معلوم الموجود لمعارضة علم الوجود {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}[50]

ومن ثم نشأ علم الكلام في الإسلام بالأدلة النقلية والعقلية وأدلة الوحي، أما الأول فقد أخذ من السجالات القصصية {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ}؛ لفتح نافذة الحوار مع الفلاسفة عبر مساءلة اللوغوس في المدرسة الأيونية قبل أن يتطور ليصبح إلها وموجدا للوجود[51] ويخترق الوثائق النبوية التابعة للمحطة الثانية. والمحطة الأولى إنما كانت صراع بين ثنيوية الكلمة والنار، وقد أشار إليها القرآن {أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ}[52] وهو المفهوم الذي أخذ به فلاسفة المدرستين الذرية والأيونية لآسيا الوسطى القديمة، وتحول المخلوق إلى خالق مع هرقليطس ومكون للوجود وخالقه، كما فرق "انكسيمانس" بين الكون والإنسان، وعنهما أخذ ابن عربي وإخوان الصفاء في فلسفة الكلمة والاتحاد والحلول[53].

ومن ثم بدأ الاختلاف حول تحديد ماهية الكلمة كمخلوق أو ملفوظ[54]، {إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} وتحولت الكلمة من وسيط بين الله والعلم عند فلاسفة الحقبة الأولى، إلى إله متجسد بين الله والناس في إنجيل يوحنا[55]، ويكاد التقريب الفلسفي القديم أكثر توضيحا لها من حيث قدرتها على تجسيد الأشياء أو أنها خطابات له صفات الكائن الحي[56] ويتطابق مع النقل {أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ}[57] أي أنها كلمة ليست مخلوقة بذاتها وإنما هي تقريب دلالي لمعاني القدرة على خلق المسيح من غير أب أي القدرة الإلهية على التكوين في صيغة لفظ قبل أن يتحول المخلوق عن صفته البشرية إلى التجسيد لبشريته إلها خالقا {إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[58].

---

[45] أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج1 (بيروت: دار صادر، دت) ص393

[46]- الشورى (13)

[47] آل عمران (191، 85) المائدة (3)، الصف (7)

[48] الأحزاب (33)

[49]- آل عمران (19)

[50] القصص (78)

[51]- ريمون غوش، الفلسفة السياسية في العصر السقراطي (بيروت: دار الساقي 2008) ص18،10

[52]- الأعراف آية (12)

[53] المدرسة الأيونية انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki

[54]- جاك دريدا، صيدلية أفلاطون، ترجمة، كاظم جهاد، (تونس: دار الجنوب للنشر، دت) ص28-31

55- حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، مج ج3 (القاهرة: دار الثقافة المسيحية 1986) ص392

[56]-جاك دريدا، سابق، ص28-31

[57] آل عمران (39)

[58]- البقرة (117)

ولذا فإن الكينونة اللاهوتية رؤية غنصوية تتعارض مع عقلانية الوحي ونصوص الوحي[59] لكونها تجمع بين جاهلية ما قبل الحنفية وجاهلية ما بعدها؛ حيث أنتجت هذه المرحلة إنتاج متداخل لثقافة الحقبتين، وفي قوله تعالى: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} قيل: أن الجاهلية الأولى هي جاهلية ما بعد إبراهيم، والثانية جاهلية ما قبل الإسلام[60]، وفي إشارة إلى أن الجاهلية القديم تصنع جاهليات متجددة في حلقة دائرية من الصراع بين العقل والوحي والواقع.

وقد أخذ المعتزلة بمناهج الفلسفة في اعتبار اللفظ مخلوق، وتوصلوا إلى أن القرآن شيء مخلوق باستدلالت من النقل "خالق كل شيء" والقرآن شيء كما أن الفلسفة منطق في الأساس لعلاقة الأشياء، وحدثت بين المعتزلة وعلماء الأصول سجالات هو موضوع الأشياء بالنسبة وموضوعها بالتكوين، وقد عليهم الإمام الأصولي أبو حنيفة موضحا العلاقة مع التمييز بين مفهوم النطق والصوت ومفهوم القول والكلمة[61] وتوصل إلى أن أزلية كلام الله يقتضي أزلية القرآن ولغته وأن اعجاز القرآن يكون في حفظ لغته القائم بها وعقلانية اللغة التي بها يفهم القرآن وهو ما يندرج تحت علم جديد مساو للفلسفة ومختلف عنها قد تندرج تحت فلسفة اللغة عن المعتزلة، ولغة الواقع عند الأصوليين. ومن ثم ألفت المصنفات القائمة على الموروث التاريخي وقواعد الإسلام، وأعاد المسلمون تدوير الأصل من داخل الإسلام إلى خارجه لتفكيك منظومة الخطاب بين الكُنِّية[62] والكينونة[63].

ولما وظفت الأسباب الحضارية لمناقضة العقل والوحي جاءت المعجزات لمواجهة علم محسوسات الوجود لتقييد العقل وتنويره بعوالم فوق مدركاته، وبقي علم الكلام واحد من أهم الأصول التي تتضمن الأدلة الشرعية على معرفة الباري والدفاع عن العقائد الايمانية بالحجج العقلية[64]، وعليه أساس الإسلام وفلسفته الفكرية والعقائدية وعنه تنبثق أكثر القيم والعادات الأخلاقية والنظم الاجتماعية والقانونية[65] ويمنح العقل حريته لإدراك الواجب في البحث عن ماهية الموجود وعناصره ومكوناته لتحقيق علم الخشية[66] ويفرق

---

[59] يحاول المسيحيون ربط جيناتهم بالمسيح كما ورد في إنجيل وتارة عبر سليمان إلى يوسف النجار رجل مريم وهو ما ينافي ألوهيته الفلسفية وأنه بدون أب، وهناك نسب العقيدة "أبانا الذي في السماوات " وأن جميع المسيحيين ابناء ابراهيم بهذا الايمان ويرى المسلمون أنهما أحفاد ابراهيم من أبناءه ويتنافسون على ذلك مع قول اليهود بالأبوة الإبراهيمية وتميزهم بالختان عن غيرهم انظر: سيد محمود القمني، االنبي ابراهيم والتاريخ المجهول (القاهرة: مدبولي الصغير، دت) ص13

[60] أحمد أبو الفضل، دراسات في العصر الجاهلي (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دت) ص34

[61]– "وأن القرآن كلام الله ولفظي به مخلوق وقد كان الله متكلما ولم يكلم موسى فلما كلم موسى كلمه بكلامه الذي له صفة الأزل وأنه سبحانه يتكلم بلا آلة ولا حروف ونحن نتكلم بها ولفظنا بها مخلوق وهي مخلوقة" انظر: أبو حنيفة، نعمان بن ثابت، الفقه الأكبر (مصر: دائرة المعارف 1342) ص6-7

[62] {فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ}

[63] {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}

[64] – وذلك بإسناد خطاب التكليف اليه، وأدلة حدوث العالم وصدق الرسل انظر: بدر الدين الزركشي، سلاسل الذهب، تحقيق، محمد المختار الشنقيطي، ط2 (دن، 2002) ص87

[65] – سيف الدين الآمدي، غاية المرام في علم الأحكام، تحقيق، حسن محمود عبد اللطيف (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، دت) ص8

[66]– {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} فاطر (28)

بالضرورة بين المتيقن للشيء المستبين له والجاهل به والشاك فيه"[67]. ويسمى أيضا بأصول الدين لانضباطه بكلمة التوحيد وارتباط أدلته العقلية بالمنطق[68] البشري التاريخي كالبديهيات المنطقية، والضرورة العقلية وسيرة العقلاء ومبادئ الفلسفة ومعقولات النص الشرعي والتأويل بالقرائن العقلية. ولتقييد التعامل به ألف الغزالي كتابا اسمه إلجام العوام عن علم الكلام، واشترط على من يمارسه أن يكون ملما بالأدلة الشرعية.

ويلي تلك المصادر الثابتة الكتاب والسنة ويليهم الأصول المتغيرة ومن هذه الأصول التي أخذت الاستئناس بالماضي واعتمدته بما هو منصوص عليه بالقرآن والسنة كـ"شرع من قبلنا" من حيث كونه موجود هنا موكدا لما هو كائن هناك على سبيل المصاحبة والاستئناس والاعتبار وتحذيرا من العاقبة "وللكافرين أمثالها" واحياء لمنطق العقل "أفلا تعقلون" وإلا فالثابت أن لكل أمة شرعة ومنهاجا[69] أما الأصل فهو قديم قدم الوجود وبه وتسمى هذه المصادر الأصولية منها الوحي وهو الأساس والعقل في الوحي وهو المتغير كما سيأتي في المحور التالي.

ثانيا: المصادر الأصولية.

تستند هذه المصادر على علم التوحيد وقواعد المحدد للأسباب الحضارية ولما كان الوحي الإسلامي هو الأصل المجدد للأصول السابقة فقد ارتبط علم الإسناد التاريخي بالقراءة[70] وهو موضوع الكلام الجامع بين فعل الإيجاد والوجود، وتجديدا لعلم آدم.

ويتكون الإسلام من حال وحكم ومكان في "عند" منصوبا على الظرفية المكانية المطلقة زمانا {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ}[71]، وتاريخي مجرور بالإضافة تبعية ولغة بإطلاق الزمان لما بعدها {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ}[72] وأبوة العرق خاصة وأبوة الإسلام عامة والتسمية ترفع صاحبها إلى شرف النسب.

وأن ارتباط الإسلام بالملة لتجاوز النحلة التي أرادت عكس مسار التاريخ بإسناد المكون إلى المتكون[73] والقول بذلك يتنافى مع البرهان ويتجاوز المفهوم الأصل إلى محدثات لم تكن موجودة[74] ويمتد النسب

---

[67] – محمد بن عبد الحميد الاسمندي، بذل النظر في الأصول، تحقيق، محمد زكي عبد البر (دن، دت) ص8

[68] استفاد فقهاء القرن الثالث الهجري من كتب الفلسفة والمنطق وطرق تقديم البرهان والحجج ولم يكن هذا التأثير بذات التأثير الاغريقي على الرومان الذي أسهم في بناء النظم الرومانية وقوانينها، ولم تكن الشريعة تسمح لفقهاء الإسلام من البحث في أصول القواعد القانونية سوى ما ورد من الأدلة الشرعية كما أن المنطق الاغريقي كان محدودا لأن القياس الذي هو من أهم مجالات علم المنطق كان معروفا لدى العرب ومن أصولهم المنطقية بدليل كتاب عمر الى أبي موسى وأن ما يتبنى هذا التأثير هم المستشرقون والمتأثرون بهم أنظر: عصمت عبدالكريم بكر، أصالة الفقه الإسلامي، دراسة في العلاقة بين الفقه الإسلامي والقوانين القدمية وأصالة المبادئ (دار الكتب العلمية 2010) ص117

[69]– عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، سلالة الفوائد الأصولية (الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع 1999) ص81–82

[70] {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} (العلق: 1)

[71] آل عمران (19)

[72] لحج (78)

[73]–{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} آل عمران (67)

[74]–{أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ} البقرة (144)

الأصولي والعرقي "إِنِّي دَعْوَةَ أَبِي إِبْرَاهِيم، وَبِشَارَةَ عِيسَى بِي"[75] إلى مستوى الولاء بالعصبة وأخرى بالموالاة وهذه أقدم من تلك، ومن ترك الأصول حرم الوصول"[76] والاقتداء بالنبوات سنة[77] والاقتداء هو تتبع الأثر الموافق للوحي. وتعتبر الحنفية أصلا لشرع من قبلنا إجمالا وعلى أصولها جاء الوحي الرسالي العالمي، ولم تتعرض للتحريف والتصحيف وإنما جهل أكثرها وبقي منها ما تعارف عليه الناس وأقاموا عليه أخلاقهم ومعاملاتهم، والتوحيد ومستلزماته. وكان التوحيد في جزيرة العرب على أصل إبراهيم وعليه قام"الاعتكاف"[78] ومن بقايا شرائعه الذي تعبد به النبي (ص) الزواج والحج[79] بل إن مكة في بنائها إسناد مكاني لأصالة التشريع الإبراهيم حلقة الوصل لما قبله وقد تجدد بإبراهيم بعد اندثاره وانطماس ماءه[80] وتجدد مع محمد وريث الأنبياء وخاتمهم، وقد ظهرت الحنفية قبل الوثنية في مكة القرن 19 ق.م[81] ولم يبق للعرب من دين ابراهيم إلا بالختان والمناسك[82] وشرع من قبلنا ما نص عليه القرآن وشرعه[83].

وفي الحديث "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين"[84] واللبنة هنا تشير إلى أنه مكملة للشرائع القبلية وأن آخرها أكملها وأن فيها ما ليس في الأولى. وقد ذهب الجمهور إلى القول بنسخ الإسلام لما قبله من الشرائع السابقة والأحكام المخالفة المتحددة

---

[75] محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج2، رقم 4175، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية 2002) ص657

[76]– عبد الرحمن العاصمي النجدي الحنبلي، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج5 (دن، 1994) ص353

[77]– {فبهداهم اقتده" ولهذا كان سجود التلاوة اقتداء بداؤود، صلاة الناسي عن موسى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} وفي الحديث "من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها" وقد جاء عيسى مقتديا بموسى " أتظنوا أني جئت لانقض الناموس والشريعة ما جئت لانقض وأبطل الشريعة فالحق أقول لكم أن زوال السماوات والأرض أيسر من زوال حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس" انظر: عبد الرحمن السديس، سابق، ص83، محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج1، رقم 397 (دار إحياء الكتب، دت) ص135، انجيل متى :5: 17–18

[78] كانت الخلوة من صفات الحنفاء الباحثين عن الدين انظر: أبو الفيض مرتضى بن محمد الزبيدي، تارج العروس، ج1 (بيروت: دار صادر، دت) ص616 مادة حنث

[79] تزوج النبي (ص) على ملة إبراهيم واقتدى به في مناسك الحج والوقوف بعرفات مجانبا أعمال الوثنية قبل أن ينزل عليه التشريع الجديد، وجاء في الملل من الصابئة طائفة تصلي خمس صلوات ويغتسلون من الجنابة ومس الميت ويحرمون كل ذي نأب من السباع ومخلب من الطير والخمر ويختنون ويزوجون بولي وشاهدين ولا يجيزون الطلاق إلا بحاكم ومن شرائعهم رجم الزاني المحصن وقتل يد السارق والقصاص في القتل انظر: أحمد بن محمد بن علي الوزير، المصفى في أصول الفقه، ط1 (بيروت–دمشق، دار الفكر المعاصر–دار الفكر 1996) ص415، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج1، ط3 (القاهرة: دار الكتاب العربي، دت) ص43–45

[80] ذلك ما يشير إليه القرآن وإذ بؤنا لإبراهيم مكان البيت الهمناه، وقول إبراهيم وأرنا مناسكنا والقرآن يؤكد على أنه أول بيت وضع للناس في الأرض ولهذا تميز عن بقية المعابد التاريخية انظر: عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة (مكتبة الانجلو المصرية 2010) ص174–177

[81] أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني، تاريخ سنين ملوك الأرض والأنبياء، ط3 (بيروت: دار الحياة 1965) ص33

[82] أبو الفيض مرتضى بن محمد الزبيدي، تارج العروس، ج6 (بيروت: دار صادر، دت) ص77

[83] جاء عن المسيح أن التوراة تقول النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاذن بالأذن والجروح قصاص" وأنا أقول" من لطمك بخدك الايمن فأدر له خدك الأيسر" والله يقولّ وإن تعفو أقرب للتقوى" وورد في التثنية ومن شرائع من قبل بعض أحكام القتال والرجم في التثنية وكذلك القسامة في الثثنية وتحريم جوارح الطير والتشبه بالنساء والخنزير والدم والخمر انظر: عصام الدين محمد علي، وقفة بين اصحاب الديانات وأنصار المذاهب (الاسكندرية: منشأة المعارف 1990) ص209، الثنية: 5: 7–21.

[84] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق، نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، حديث رقم 2286، ج1، ط1 (دار طيبه 2006) ص1085

بالزمان والمكان المتعين، وأن شرع من قبلنا ليس دليلا مستقلا[85]، وإنما يستمد وجوده من الأدلة[86] والدليل قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}[87]؛ مؤكدا لوجوده في موضعه القرآني تأكيدا لوجوده في شرع من قبلنا. وما نص عليه اسما خص بالتشريع المقترن بالمشترك الإنساني والسياق التكويني لخصائص النفس المتلائمة مع متغيري الزمان والمكان، {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى} أي؛ عن طريق النبوة وليس بالاستدلال المباشر بالتاريخ المتكون والمتدون، وعلى ذلك التمييز بين الأدلة القطعية، والظنية كالعرف والعادة والمصالح المرسلة، وشرع من قبلنا، أو الأحكام السماوية للأمم السابقة"[88] واستدل البعض بالآية {وتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ}[89] و{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[90]، واختلفوا في مسائلها وفنده البعض لورود غير الأنبياء[91]، وعضد الأولون رأيهم بإيجاب النص {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[92] الحنفية صفة مميزة لإبراهيم عن غيره من الأنبياء[93] وأن النبي تعبد قبل البعثة بالشرائع السابقة[94] ويرجع العرف إليه عند البعض، والأحكام الفرعية منه محل نزاع[95]، وهو ما تعارف عليه الناس وساروا عليه ومنه الصحيح والفاسد ورغم استقلاله كدليل إلا إنه يستمد قوته بالنص[96]

والعادة محكمة كقاعدة فقهية يرجع أصلها إلى "ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن"[97] والاستحسان يعني العدول عن دليل الى دليل أقوى منه[98]، العرف ما تعارف عليه الناس وساروا عليه ومنه الصحيح والفاسد ورغم استقلاله كدليل إلا إنه يستمد قوته بالنص[99] ولهذا تقدم الحقيقة العرفية على الحقيقة اللغوية، والحقيقة الشرعية تتقدم بدورها على العرفية[100]. وقد أوجب الشاطبي على من أراد الخوض في الكتاب والسنة "أن يعرف عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري عادتها حال التنزيل عند الله والبيان من رسوله، وأن الجهل بها موقع في الإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بالمعرفة"[101].

---

[85] أحمد بن محمد بن علي الوزير، سابق، ص415

[86]– عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، ج1، ط1 (الرياض: مكتبة الرشيد، 1999) ص38

[87]– الأعلى (19)

[88] عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه (مؤسسة قرطبة، دت) ص 8

[89] الانعام (83)

[90] الانعام (82–90)

[91]– عبيد الله بن عمر الدبوسي الحنفي، سابق، ص475

[92]– النحل (123)

[93] عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (مؤسسة شباب الجامعة، دت) ص144

[94]– ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق، ناصر عبد الكريم العقل، ج1، ط2 (دار إشبيليا للنشر 1998) ص464

[95]– ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ج 8، تحقيق، عادل أحمد، علي معوض (الرياض: دار عالم الكتب 2003) ص343

[96]– أحمد بن محمد بن علي الوزير، المصفى في أصول الفقه، ط1 (بيروت–دمشق، دار الفكر المعاصر–دار الفكر 1996) ص417

[97]– ابن لملقن، قواعد ابن الملقن، ج1، تحقيق مصطفى محمود الازهري ط1 (دار ابن القيم – دار ابن عفان2010) ص28

[98] أحمد بن محمد بن علي الوزير، المصفى في أصول الفقه، مرجع سابق، ص417

[99]– نفسه، ص417

[100] – صفوان بن عدنان داوودي، قواعد أصول الفقه وتطبيقاتها، ج1 (دار العاصمة للنشر) ص84

[101]– أحمد بن محمد بن علي الوزير، مرجع سابق، ص417

وقد ذهب "أدوار لامبير" أن العرف قبل الإسلام يتشابه مع ما ورد في التوراة فيما يتعلق بالزواج وتنظيم الأسرة غير أن شبه اجماع المستشرقين يعترف بأصالة وابتكار الفقهاء المسلمين بأصول الفقه[102].

ويثبت المرداوي ما ثبت في كتبهم على صدق نبينا[103] والمسيح كان مبشرا قبل، وسيكون تابعا بعد {وإنه لعلم للساعة}، وافيا بالمواثيق {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ}[104]، وكلمة {ثم} فارقة ومغيرة لأحوال التبعية الزمنية بتقديم الآخر وتتلية الأول.

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ}[105]. ومصدق لما معكم دليل على بقاء الشريعة وعلى تصييرها شريعة للآخر منهم[106] وإذا كان كذلك فإن البشارة العيسوية والدعوة الإبراهيمية يؤكدان على تجديد الأصل وأن ما وجد مجدد لما فقد تتممة وبناء {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا} وما خلا الوحي فيه يكون ظنا.

وتضم الشريعة الخاتمة الأصول السابقة إضافة إلى ما ليس فيها وذلك مفهوم الهيمنة {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} وأن التشريع إذا اختلف في بعض أحكامه أو نسخ منه أصبح تشريعا خاصا يتأقلم مع طبائع النفوس وأخلاقها كأحكام التوبة في شريعة موسى وارتباط الرسالة باللسان. فلكل منهج ما يتميز به تبعا لأحوال المكان والزمان، كتغيير القبلة ورفض التقليد، ومخالفة الاقتداء في الهدى كصيام عاشوراء.

كما اختص الإسلام بمواقيت الشرائع وأعيادها إلا ما ثبت من هدي إبراهيم. والاختلاف في الفروع والطرائق لا يلغي بقاء الأصل واستمراره. وأن شريعة النبي تبقى معه ما لم تنسخ، وقيل تنسخ ببعثة نبي آخر إلا فيما لا يقبل النسخ والتوقيت، وعند البعض لا تنتهي وتبقى شرعا لمن بعده وقال الشافعية والمتكلمون بتعبد النبي بشرائع الأنبياء، وإذا ثبت شريعة لنبي بقيت حقا يتعبد بها حتى قيام الساعة[107] ما لم تنسخ ببعث نبي آخر.

وبناء على ذلك صنف علماء الأصول الإسرائيليات المنقولة عن اليهود والنصارى إلى: ما أقره الإسلام وشهد بصدقه فهو حق، وما أنكره الإسلام وشهد ببطلانه فهو باطل، وما سكت عنه يمسك عنه لحديث أبي هريرة "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا أمنا بالذي أنزل الينا وانزل اليكم" و"حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[108] وكل هذا يؤكد توافق المبادئ الكلية، وترك مخرجات الجدال، واباحة الحديث المقيد بالدليل.

---

[102] عصمت عبد الكريم بكر، مرجع سابق، ص27

[103]– علاء الدين أبي علاء الدين أبي الحسن المرداوي الحنبلي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ج3 (الرياض: مكتبة الرشد، دت) ص3767

[104]–آل عمرآن (81)

[105]–آل عمران (58)

[106]– عبيد الله بن عمر الدبوسي الحنفي أبو زيد، عبد الرحيم يعقوب، تحقيق، تقويم أصول الفقه وتحديد أدلة الشرع، مج2، ط1 (الرياض: مكتبة الرشد 2009) ص 475

[107]– عبيد الله بن عمر الدبوسي الحنفي أبو زيد، مرجع سابق، ص471

[108] محمد بن صالح العثيمين، شرح في أصول التفسير، ط1 (القصيم: مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية 1434) ص354–357

فالشريعة بدأت وحيا ثم تطورت عن طريق القياس العقلي والأحكام الموضوعية وامتاز فقهاء المسلمين عن فقهاء العالم في استنباط الأحكام من مصادرها وهو ما يسمى بعلم أصول الفقه[109] والمجتهد هو الوسيط بين الأدلة ومواضعها العالم بأصول الديانات والفقه[110] وقد دخل المشككون من مدخل شرع من قبلنا لإثارة الشبهات، والقول بأن الشريعة الإسلامية بنيت على القانون الروماني كما بني عليه التشريع اليهودي مع أن القانون الروماني ظل مجهولا حتى اكتمال التشريع الإسلامي[111] الذي يولي أهمية لعلم الدلالة والتي هي فهم شيء من شيء بحيث تتكامل الأدلة العقلية والوضعية واللفظية[112]، وعليه فإن أحكام شرع من قبلنا مقيد بالتبعية لما ورد في الوحيين كالتالي:

1- ما ورد في غير شرعنا من شرع قبلنا كالإسرائيليات فليس من شريعتنا.

2- ما ثبت في شرعنا أنه كان شرعا لمن قبلنا خاصا بهم وليس لنا فليس من شرعنا.

3- ما ذكر من شرع من قبلنا وألزمنا به فهو شرع لنا.

4- ما ذكر من شرع قبلنا في شرعنا وسكت عنه[113] فالأصل فيه البراءة.

ومن ثم فإن اليهود والنصارى مقطوعي الأصل بدليل {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}[114] ويتنوع التتبع إلى:

1- تبعية الاقتداء[115] ويقوم بالطاعة[116] التأسي[117] الاستقامة[118] الحب[119] الاهتداء[120].

2- تبعية الاقتفاء وهي منظومة كلية تتكون من الإيثار[121] الإلفاء[122] التقليد[123] ويقاس كل ما سبق بمعيار الاهتداء وهي الطريقة التي تميز بين قيم الاقتداء ورذيلة الاقتفاء[124]

---

[109] عصمت عبد الكريم بكر، مرجع سابق، ص46

[110]- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، كتاب الاشارة في معرفة الاصول والوجازة في معنى الدليل، تحقيق، محمد علي فركوس (دار البشائر الاسلامية، د.) ص327

[111] رأى الايطاليان كاروزي وتوليدو أن ذلك كان عن طريق الترجمة السريانية المنقولة عن الإغريقية غير أن هذا الرأي لم يسلم به المستشرقون وكذلك ما كتبه رجال الكنيسة السريانية لم يكن إلا بعد اكتمال التشريع الإسلامي وأن الثقافة الاغريقية فلم تظهر تراجمها في الادب والفلسفة والعلوم إلا بعد أن حددت موضوعات الفقه في النصف الأول من القرن الأول الهجري واكتمال مدرستين الحنفية والمالكية وأن الترجمة لم يعرفها الإسلام قبل القرن الثالث عشر الميلادي كما أن الفقه اعتمد على الكتاب والسنة ويمتنع الفقهاء مطلقا من استعارة أي مبدأ قانوني أو قانون أو تشريع أجنبي ويرى نالينو أن صلة العرب بالرومان كانت ضعيفة كما يتفشى فيهم الأمية مما يجعلهم أبعد عن الاهتمامات القانونية كما أن الشرائع السابقة لا تكون تشريعا الا إذا اقرتها الشريعة الإسلامية انظر: عصمت عبدالكريم بكر، مرجع سابق، ص115-116، 81-84

[112]- ابن نجار الحنبلي، سابق، ص33

[113]- عبد الرحمن السديس، سابق، ص84-85

[114]- هود (46)

[115] {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}

[116] {فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي}

[117] {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ}

[118] {وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} (الزخرف 61)

[119] وتعنى هنا صحة العقل والنفس من علل الانحراف {فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} (آل عمرآن – 31)

[120] {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ} غافر – 38)

[121] {إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} (الزخرف 23)

[122] {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا} (البقرة 170)

[123]- لتتبعن سنن من كان قبلكم" انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم 3465، ط1 (دمشق: دار ابن كثير 2002) ص857

ولهذا عندما أدركت أوروبا تناقض النصرانية أخذت بالاقتفاء[125] والعقلانية والسببية المادية[126]، بينما سعى الإسلام لإعادة منهج الاقتداء بمخاطبة العقل الفعال وتحفيز العقل المقلد بالاجتهاد المقارن من أجل:

1- الإقرار بالمعرفة التاريخية المدونة[127].

2- التحقيق والفرز بين ما صح وما حرف من الكتب وبناء الأحكام بالعودة إلى القرآن[128].

ثالثا: المصادر الوعائية

تعد علم الأسباب الحضارية من العلوم الرابطة بين العقل البشري والنصوص والمادة وأحد أدوات الجمع الوظيفي بين الأمن والإيمان[129] ويجتمع فيها وعاء البيان والوعاء البشري. ووعاء البيان من علوم الآلة التي قام بها علم الفقه وعلم السياسات المدنية وكانت من أهم علوم الأنبياء[130] وهي أول مقدمات الصراع الفكري وصراع الهويات والديانات، فالأمة التي تتخلى عن لغتها المقدسة تتخلى معه عن قيمها ودينها وأخلاقها. ومن سلبيات التخلي عنها تعدد صور الإسلام وعقائده ولهجاته ودوله. ولأهميتها فقد صرح بها القرآن(11) مرة؛ ربط بينها وبين الهوية والأمة[131] والعمق والتاريخ[132] والتاريخ والتقوى[133] والتقوى والاستقامة [134]والبيان والوحي[135] والوحي والعقل[136] والعلم والمنهج[137] والوظيفة والمركز[138].

كما ذكر اللسان (14) مرة للتوكيد على أهمية التاريخ، والهوية، والأخلاق، والرزانة، والوظيفة والرقابة، والبيان، والفصاحة، والفكر والتجديد، لذا فإن استدمار أي أمة يكون بتعطيل لغتها واستبدالها وتغريبها، بربط مثقفيها وباحثيها وحكامها ومؤسساتها باقتصادات القوى المؤثرة وعلومها ومن ثم توظيف البحوث التاريخية والأثرية لنفي قداسة العربية وأقدميتها تمهيدا لإثبات تاريخية القرآن وعدم ملائمته للعصر، وقد تعددت صور

---

[124] {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ} (الأعراف – 193)، {أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى} (يونس– 53)، {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً} (الإسراء – 84)، {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} (طه 123)، {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} (القصص– 50) وبمفهوم المخالفة {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى} (محمد– 25)، {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (الملك –22)

[125]–Van Buren Paul.M, the Edges of Language: An Essay in the Logic of a Religion (N.Y: Macmillan 1972) P2

[126]– أرمانو سالفاتورى، المجال العام؛ الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام، ترجمة، أحمد زايد، ط1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2012) ص107

[127] {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

[128] {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ}

[129] {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} (الكهف 84)

[130] {هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} (القصص: 28)

[131] {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} (النحل: 103)

[132] {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا} (الأحقاف: 12)

[133] {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} (طه: 113)

[134] {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الزمر: 28)

[135] {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} (الشعراء: 195)

[136] {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الزخرف: 3)

[137] {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (فصلت: 3)

[138] {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} (الشورى: 7)

الإسلام القومي وحركات الترجمة لتوطين الرطانة تمهيدا لعزل العربية عن أهلها وتجفيف منابعها. وكما استحفظ الله وحيه أهل الكتاب فضيعوه[139]، وغيروا لسانه بترجمات أخرى، تسلط عليهم اليونان والرومان والآريين وعندما أرادوا التحرر عن تبعية الآخر احتاجوا الى ما استحفظوه فترجموه عن المترجمات واتسعت الفجوة بين الوحي والعقل وأوامر الله وإرادة البشر.

وقد سعى المستشرقون للبحث عن اللغة العربية في دائرة اللغات السامية وتتبعوا النقوش الأثرية والبناء عليها، وتوصلوا إلى أن الأصول اللغوية للحضارات اليمنية والبابلية واحدة[140]، وتقترب البابلية مع العربية في الافعال والتنوين والجمع[141] ودرسوا اللغة من حيث التطور في قراءاتهم للنقوش والآثار[142] وبنوا عليها أحكاما لم ترقى إلى مستوى الاستقراء الكلي لكل ما يمكن الوصول إليه فذهب البعض إلى القول بتطور الخط العربي واسقطوه على تطور اللغة، حيث رأى المستشرقون أن النقوش التي تعود إلى القرن3م تشير إلى أن قبائل الأنباط العربية أول من استخدم الكتابة الآرامية[143]، ويعتقد البعض أن الأكاديين العرب اكتسبوها عن السومريين الآريين[144] وقيل أخذ العرب التدوين عن الآرامية[145].

ويرى الباحثون العرب أن الخط العربي جاء من السريانية المتطورة عن الآرامية[146] وفي قول آخر أن الكتابة ظهرت مع المسند في القرن6م ثم الخط الأرامي[147] ويعتقد الباحثون أن نقش أم الجمال يعود الى القرن السادس الميلادي كأول نص عربي متشابه مع ورد في القرآن والشعر الجاهلي[148] وجزم البعض بناء على الآثار المكتشفة بأن المسند اشتقت من الكنعانية والثمودية والليحانية والصفوية اللواتي يقتربن من صفات

---

[139] {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء} (المائدة 44)

[140] يرى الباحثون ونكلر وهومل ودوفروني أن الحضارات اليمنية القديمة تشبه حضارة بابل في أسماء الآلهة شمس وشماش والمكاربة يشبهون الكهنة السومريين وأن الاختام والنقوش المعينية تشبه ما عند العراقيين واستنتجوا أن الأصل بينهما واحد وقد يكون أحدهما جاء من الآخر انظر: صالح أحمد العلي، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ط1 (بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع 2000) ص20

[141] إضافة إلى أسماء الآلهة والملوك البابلين بالعربية انظر: ديزره سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط1 (بيروت: دار الصداقة العربية للطباعة والنشر 1995) ص63

[142] يرى البعض أن الخط الكوفي تحدر من النبطي حيث منشأها في الحجاز وتعتبر العبرية من اللهجات الكنعانية وأن الارامية نزحت من شبه جزيرة العرب إلى بابل واستقوت على غيرها بينما استقوت السبئية في الجنوب على أخواتها وخطها المسند انظر: ديزره سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط1 (بيروت: دار الصداقة العربية للطباعة والنشر 1995) ص62-67

[143] ووجد المستشرق الفرنسي الكونت دوجي كتابات نبطية بحروف عربية، ويعتقد فيفري أن الكتابة النبطية أخذت عن الآرامية انظر: خليلي يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام، مجلة كلية الآداب مج10، ج1 (جامعة القاهرة، ماي 1935) ص16، 68-69، ريجيس بلاشير، القرآن نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، ترجمة: رضا سعادة، ط1 (بيروت: دار الكتاب، 1974) ص 67
James Février, Histoire de l'Ecriture (Paris : Payot 1959) p 245.

[144] ديزره سقال، مرجع سابق، ص58-60

[145] عبد العزيز الدوري، ج3، مرجع سابق، ص130

[146] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ط4 (دمشق: دار القلم 1999) ص118

[147] وتتقارب اليمانية والمضرية في أشعارها وآدابها، ويرى جواد أن الخط المسند الحميري أقدم الخطوط العربية لتي تم اكتشافها في القرن 6م وله حروف مختلفة عن اللغات الأخرى ويكتب من اليمين ويقول يرى الألوسي أن العرب كانت تسمي لغتها الجزم قبل نشأة الكوفة لأنه جزم واقتطع من المسند الحميري انظر: عبد العزيز الدوري، ج3، مرجع سابق، ص206، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج1 مرجع سابق، ص202، 678، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، سابق، ص42

[148] ر. بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة، إبراهيم الكيلاني (بيروت: دار الفكر المعاصر 1998) ص75

لغة القرآن وأن اللغة العربية هي اللغة السامية الأم التي تفرعت منها اللغات الشمالية والجنوبية[149] وتعددت فيها اللهجات[150]، ولهذا اعتبر البعض أمومة لغات شمال الجزيرة[151]. بينما رأى "هبو" تأثر اللهجات العربية الشمالية الثمودية واللحيانية والصفوية بلغة المسند[152] البالغ حروفه 29 حرفا[153].

ويأتي الشعر كأحد مصادر التاريخ المدونة للأنساب والمعارف والحوادث[154] وهو أهم من الخطابة في تدوين التاريخ[155]وخصوصا اللغة، فالشاعر لا يقل عن قائد القبيلة بل يرادفه وقد يجمع بين الشعر والقيادة[156] وللشاعر مكانته القبيلة كأهم مصادر تدوين مآثر القبيلة ومناقبها[157] وبه دون بعضا من تاريخ العرب البائدة[158] وكانت بدايته مع امرئ القيس وما قبله مجهول[159].

ولا يعتبر الكثير من المستشرقين الشعر من الوثائق التاريخية[160] إلا أن اللغة مهمة لفهم القرآن وهي السمة المميزة للعرب عن غيرهم[161] ويعتقد "بروكلمان" أن العربية الفصحى هي اللغة الأم التي تفرعت عنها اللهجات[162] وقد حفظ الله العربية من قبل كم حفظها بكتابه الكريم[163] لأنها فوق التاريخ والزمان[164]. ويضيف (Blachère (R.) أن الفصحى تكونت من الشعر العربي القديم والقرآن الكريم[165].

تعد اللغة وسيلة البحث عن الأعراض الذاتية للموجود على قاعدة الإسلام والأسماء التي هي تعينات الذات ونسبها[166] وأسماء الله أعرف المعارف وأساس الاعتقاد والفقه الأكبر[167] {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}[168] فهو

---

[149] الثمودية والصفوية واللحيانية من لغات العرب البائدة انظر: ديزره سقال، العرب في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص62

[150] ووفقا لهيلند أن النقوش تشير إلى وجود أكثر من أربعين لهجة متداخلة مع بعضها وشديدة الارتباط ومفهومه للآخر ويرى ابن النديم أن أول من وضع الخط العربي هو قوم من العرب العاربة من مدين وأخذها عنهم عدنان بن أد نظر: عبد الحليم النجار، في اللهجات العربية وأصولها واختلافها، مج15، ج1، مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة، ماي 1953) ص35، روبرت هيلند، تاريخ العرب، سابق، ص265، أبو الفرج محمد بن يعقوب ابن النديم، الفهرست، تحقيق، ناهد محمود عباس، ط1 (الدوحة: دار قطري بن الفجاءة 1985) ص29.

[151] روبرت هيلند، تاريخ العرب، سابق، ص236

[152] أحمد أرحيم هبو، تاريخ العرب قبل الاسلام، ط1 (منشورات جامعة حلب 1979) ص87

[153]يظن أن حرف السين الثانية جاءت من اللغة الفينيقية أنظر: James Février , Op . cit, p p 267- 268

[154] رجيس بلاشير، مرجع سابق، ص334

[155] أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، تحقيق، درويش جويدي (بيروت: المكتبة العصرية 2001) ص38، 241

[156] الحسن بن عبد الله الاصبهاني، بلاد العرب، ج4، تحقيق، حمد الجاسر (الرياض: منشورات دار اليمامة، دت) ص146

[157] روبرت هيلند، تاريخ العرب، سابق، ص265

[158] أحمد أبو الفضل، دراسات في العصر الجاهلي (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دت) ص58

[159] ويرى البعض أن الشعر الجاهلي لم يكن إلا قبل البعثة بقرن ونصف وهي الفترة التي تكاملت فيه خصائص اللغة العربية انظر: أحمد أبو الفضل، دراسات في العصر الجاهلي (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دت) ص34-35

[160] وتبعهم في القول بعض العرب أمثال مصطفى صادق الرافعي وطه حسين انظر: شوقي الضيف، العصر الجاهلي، ط11 (القاهرة: دار المعارف 1960) ص166-170، ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط3 (مصر: دار المعارف 1966) ص 352-377، عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، 246، 446- 546

[161] ورد في الأثر إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لأن فيه ما يجمع العرب انظر: روبرت هيلند، تاريخ العرب، سابق، ص265

[162] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب، ج1 (مصر: دار المعارف 1975) ص42

[163] {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر: 15)

[164] {فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} (الحجر: 9)

[165] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3 (بيروت: دار العلم للملايين 1993) ص 127

[166]- الجرجاني، التعريفات، سابق، ص131، 80

وحي لآدم كما كان لزكريا {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا}[169] وسمو الاسم على مسماه وعلوه على ما تحته من معناه[170] وعندما انحرفت الألسن عن أصولها بعث الله الرسل لتبيينها بما يفهمون[171] وعلى قاعدة فلسفة الكلمات تأصل الصراع التاريخي بين الاسم ومسماه وتعددت معه صور الاعتقاد وانحرفت الأسماء عن مواضعها[172] ثم كان الصراع اللغوي بين العلم والظن، والهوى والهدى[173].

وتسمى العربية لغة البيان التي هي بينة في نفسها مبينة لغيرها والتقسيم يكون على قاعدتين:

1- فقه الوحي: {يفقهوا قولي} هو الأصل الذي يبنى عليه غيره، ويتفرع عليه سواه[174] وهو أساس علم الأصول[175] والمنطق[176].

2- فقه اللغة: وهو علم الاستنباط {يفقهون قولا} والتبيين وظيفة الأنبياء والعربية بيان وتبيين وإبانة[177] وكل ما سواها عجمة والعجمة تحتاج إما نبي يبين، أو لغة تبيين {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}، وفيها اعجاز اللغة[178] ولا يحيط بها إلا نبي وبه أنزل القرآن للبيان والاعجاز[179] والبيان هو الدليل، وأدلة العقل بيان، وقيل: أن البيان هو العلم أو الدليل القولي، حصره البعض بالمتبين قولا أو بحادث الأمر[180]. والعلم بها عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه[181] والعي يكون في الإعراض عنها[182].

ولما كانت اللغات القديمة غير مبينه فقد أشكلت عليها الكلمات، وحيونت اللوغوس وجسدته كإله[183] ونتج عنها السفسطة؛ وتعني المغالطة والغلط من جهة اللفظ، أو المعنى والحذف والاضمار، ووضع المقدمات الوهمية مكان القطعية، عكس البرهان الذي يوصل إلى التحقيق بالكلام[184] وتفسير اللغة من أهم الوظائف

---

[167] {وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}

[168] البقرة (31)

[169] مريم (7)

[170] -كمال الدين أبو البركات الأنباري النحوي، أسرار العربية، تحقيق، بركات يوسف هبود، ط1 (بيروت: شركة دار الأرقم 1999) ص35

[171] {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}

[172] {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ}

[173] {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى}.

[174] – محمد الاسمندي، سابق، ص8

[175] – علم الأصول هو العلم بالأحكام الشرعية المميزة عن الأحكام العقلانية انظر: محمد الاسمندي، سابق، ص6

[176] {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}

[177] سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، كتاب الإبانة في اللغة العربية، تحقيق، عبد الكريم خليفة "وآخرون، ط1 (دن، 1999) ص6

[178] {أَم يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (يونس 38)

[179] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق، مركز الدراسات القرآنية ج2 (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د) ص445-446، 523

[180] ابو عبد الله محمد التميمي المازري، ايضاح المحصول من علم الاصول، تحقيق، عمار الطالبي (ونس – دار الغرب الاسلامي، دت) ص135

[181] قال الشافعي" ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ولكن لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودًا فيها من يعرفه والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ولا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء" انظر: محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق، أحمد شاكر، ج1 (بيروت: دار الكتب العلمية، دت) ص42

[182] إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُون}

[183] جاك دريدا، صيدلية أفلاطون، ترجمة، كاظم جهاد، (تونس: دار الجنوب للنشر، دت) ص28-31

[184] سليمان بن داوود الذهبي الباجي المالكي، الاشارة في اصول الفقه، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، ط1(بيروت: دار الكتب العلمية 2003) ص149

النبوة[185] وقد تجاوز القرآن والسنة المفردات الوحشية واختيرت لغة قريش الفصيحة وبها كتب المصحف العثماني تمييزا عن قرائنها.

وبقي التساؤل هل اللغة توقيفية أو اصطلاحية أو تجمع بينهما؟[186] ويرى البعض أن الكتابة توقيف علمها الله آدم ثم كانت من نصيب اسماعيل[187] وقد جاء في الحديث "أن أول شيء خلق الله جل ثناؤه القلم وأمره فكتب كل شيء يكون"[188] وبما أن لغة آدم لم تدونها كتب التاريخ فإن القرائن اللغوية والقرآن المكنون، يؤيدان صحة الأحاديث القائلة بلسانية آدم العربية، وأن اختلاف اللسان عرض وليس أصلا[189] وفي التوراة[190] أن الله بلبل لسان أهل الأرض في بابل[191]

وقد كان خروج عابر والد قحطان إلى مجاورة بقايا العرب البائدة إلهام من الله لحفظ العربية، وتعتبر القحطانية من العرب القديمة التي استوطنت اليمن بعد فناء بني عمومتهم من العرب البائدة[192] وأن هجرة إبراهيم بإسماعيل إلى مكة وحي إلهي لإعادة ترتيب الماصدق والمفهوم، والاسم والمسمى[193] وهو أول من نطق بالعربية المبينة وفتق الله بها لسانه[194] ولا يحيط باللغة أحد سوى الأنبياء[195].

وقد كان قوم عاد أول من ملك الأرض بعد قوم نوح[196] فاحتقروا بعلمهم وقوتهم واللسان العربي[197]وطغيانهم الحضاري[198] فحفظ الله العربية قبل نزول القرآن الكريم ببني قحطان[199] وعنه تفرعت اللغات السامية[200].وتطورت مع "يعرب" القائل: أنا ابن قحطان الهمام الأفضل: ذو البيان واللسان الأسهل[201] وهي

---

[185] {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا}

[186] محمد بن عبد الحميد الاسمندي، سابق، ص35-37

[187] يستدلون بقوله تعالى {ن، والقلم وما يسطرون} {اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم} انظر: محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقق محمود شاكر (القاهرة: دار المعارف 1974) ص9، سعيد الافغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (دمشق: دار الفكر 1960) ص 114

[188] أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي، السنن الكبرى، تحيق، محمد عبد القادر عطا، رقم، 517704، ج9، ط3 (بيروت: دار الكتب العلمية 2003) ص5

[189] قيل أنها انزلت على آدم وأن أخنوخ أول من خط بالقلم انظر: ديزره سقال، مرجع سابق، ص58-à6

[190] التوراة هي مجموعة النزولات الوحية التي ابتدأت بالعهد القديم مع موسى واستمرت حتى القرن الثاني قبل الميلاد وآخرها سفر المزامير وقد كتب بعضها في فلسطين والبعض في بابل انظر: أحمد أبو الفضل، مرجع سابق، ص48

[191] ورد في التكوين " وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة" وقال الرب"هو ذا شعب واحد ولسان واحد" وقال: "هلم ننزل ونبلبل هنام لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب هناك على وجه الأرض فكفوا عن بنيان المدينة ولذلك دعي أسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض" انظر: تكوين: 11: 1-9

[192] أحمد أبو الفضل، مرجع سابق، ص 57

[193]- أحمد بن عمر الحازمي، فتح رب العربية في شرح نظم الأجرومية (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، دت) ص42

[194] أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، تحقيق، درويش جويدي (بيروت: المكتبة العصرية 2001) ص557

[195] أبو الحسين أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية 1997) ص26

[196] إبن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد القرشي الدمشقي، البدأية والنهاية، ج1 (بيروت: مكتبة المعارف 1990) ص183

[197] مرعي السكري الحنبلي، مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف اللعلم على شرف النسب، ط1، دار عمار 1988) ص18

[198] {وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا}

[199]- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج1، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، بت) ص19

[200] ربرت هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب، ترجمة، عدنان حسن (دمشق: قدمش للنشر، دت) ص235

[201]- أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من اسماء البلدان والمواضع، ج3، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية 1992) ص227

التي تفاخر بها حسان بن ثابت باعتباره من الطبقة الثانية[202] ومن بعدهم تشكلت الطبقة الثالثة مع إسماعيل[203]، وهو أول من أفصح بها ولذلك سمته العرب بعرق الثرى لرسوخه وامتداده في اللغة[204] ولما هلكت العرب البائدة وهم مادة اللغة العربية الأولى حفظ هذه اللغة ببقية منهم وأورثها قحطان ثم إسماعيل ومنه اصطفى قرشيا[205] لأن لغتها أفصح اللغات وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم[206].

أما علم النحو فهو علم بالوضع[207] كالفقه القائم على الأصول، ويراها ابن نجار أنه ألفاظ وضعت لمعاني[208] تزيد في العقل والمروءة[209] وعليها تأسس علم الفهم[210] وأن اللحن فيها من الضلال[211] وتضييعا للأحكام، وقد ترتب على تركها أو الارفاء فيها تفريق الأمة. وتتعدد اللغة إلى فقه، وثقافة، وتاريخ، وتقاليد[212].

ومن ثم فإن لغة إبراهيم الآرمية لم تكن دليلا على أقدميتها أو أنها الأم التي تفرعت عنها العربية إذ قد سبق إبراهيم العرب العاربة وعندما أراد إبراهيم العودة إلى اللغة الأم استعادها في ابنه إسماعيل والتتابع بحرف الواو في القرآن يشير إلى الأصل[213] وأن اللغة العربية تأخذ حكم القرآن في أقدميتها وأصوليتها واستمرارها لأنها إعجاز نبوي قائمة بقيام الزمان وباقية ببقاء القرآن.

ولما كانت اللغة وعاء للأصوليات والعقليات واداة لربط المادة بالفكر والنفس بالواقع والايمان بالنفس والموجود بالوجود، كان الاستخلاف طريقة تاريخية لممارسة الفكر ونقله من العقل إلى الواقع، ويستغرق وقتا

---

[202] – ويذهب فريق من عدنان إلى إخراج الحميرية واللهجات الجنوبية عن العربية انظر: جود علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، مرجع سابق، ص14–15

[203]– أبو العباس أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية 2012) ص19

[204]– أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، مج1 (بيروت: دار الكتب العلمية 6011) ص20

[205] عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة (السعودية: مركز البحث العلمي واحياء التراث، دت) ص63– 6

[206] ويقول ابن خلدون: أن لغات القبائل تقاس على مدى قربها من قريش وبعدها عن العجم، يرى السيوطي "أن قريش كانت أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس وعنهم اللغة نقلت وبهم أقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي، ولم يكن في لغة قريش عنعنة تميم وعجرفة قيس وكشكشة أسد وكسكسة ربيعة ولا كسر أسد وقيس" وكانت الشعراء تعرض ما تقول على قريش فما قبل كان محمود وما رد كان مرذولا انظر: ابن خلدون، المقدمة، ط9 (بيروت: دار الكتب العلمية 2006) ص477، جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، شرح، محمد أحمد جاد المولى و"آخرون" (بيروت: دار الجبل، دت) ص210–211، أحمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (القاهرة: دار الفكر العربي 2000) ص76

[207]– عمر الحازمي، سابق، ص19

[208] – ابن نجار الحنبلي، مختصر التحرير في أصول الفقه، ط1 (الرياض: دار الارقم 2000) ص14

[209]– ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، كف المخطئ عن الدعوة إلى الشعر النبطي، ط1 (الطائف: مكتبة دار البيان الحديثة 2000) ص29–36

[210] – ابن نجار الحنبلي، سابق، ص14

[211]– جاء في الحديث أن رجلا ألحن أمام النبي (ص) فقال: "أرشدوا أخاكم فقد ضل" انظر: ذياب بن سعد الغامدي، سابق، ص23، 28

[212]– ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة، أحمد مختار عمر، ط8 (عالم الكتب 1998) ص 35

[213]– {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} (التوبة 70)

أقل مما يستغرقه الذهن[214]، قبل أن تتحول إلى علاقة مادية جدلية[215]، عبر سلسلة من عمليات التاريخ التي تستند على الماضي لمعايشة الحاضر[216].

رابعا: الاستخلاف والوعاء البشري.

إذا كانت الكتب وعاء اللغة فإن اللغة وعاء النصوص والعقل واللسان، والعقل وعاء اللغة، والإنسان وعاء العقل، وقد ورد في الحديث "رحم الله امرئ سمع مقالتي فوعاها، ورب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[217]، ومن هنا جاء التفريق بين حامل مقلد، وحامل مجتهد، والأول قد يأخذ بالنصوص على ظاهرها كالخوارج، أو يأخذها على علم الباطن كفرق الشيعة والصوفية، أو العقلانية المجردة عن الواقع كالمعتزلة، بينما يقوم المجتهد على الموائمة بين النص والعقل والواقع في إطار المصلحة.

إلا أن الكتابة تميز الحضر عن البدو[218] ولهذا كانت اللغة حاملة النصوص والعقل وعائها وأن الأمية التي تميز بها العرب كانت وسيلة لصقل العقل لتلقف القرآن حفظا لينقل على معانيه الظاهرة، وفهما لاستنباط أحكامه، ودراسة لإقامة منهجه، كما كان الشعر وسيلة لترويض عقولهم على ذلك تمهيدا لصقل الحافظة، ومن ثم نشأ لديهم علم أصول اللغة في الشعر وجاء القرآن ليكون القاعدة التي تقام به فلسفة اللغة وقواعدها.

وورد في قاموس "أنكر بيبل" أن لفظة العرب تطلق على جنس الإسماعيليين والميدانيين والعمالقة والمشارقة والمعونيين والأنباط[219]، وأن "سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم[220]، وأن الله حفظ التاريخ العربي بمادته من العرب، وأينع آخره بنزول القرآن، ومحا التاريخ عن الأمم القديمة مع بقاء أثرها، ليجعل من الإسلام مورثا بديلا لتاريخ عالمي استرسل أخباره لصناعة منطق التاريخ، وليس لسرد أقاصيص تتنافى مع العقل، وبذلك فإن العروبة فوق السامية من حيث تاريخيتها، إذ أن الأولى وحدة جنسية وثقافية وروابط دموية وتاريخية بينما السامية التي لم يتحدد موطنها بجنس مميز وحدة ثقافية[221] وقد وجد في النقوش أن النبط[222] وبابل الأولى والثانية عربا وقد سيطروا على سيناء وامتد العمالقة الى مصر وصار ملوكها فراعنة[223] ووجد في بابل نقوشا بالخط المسماري ذكرت العرب البائدة وسيادة العماليق من جنس العرب على

---

[214] – دنيس شارب، العمارة في القرن العشرين، ترجمة، نورد الدين دغمش (دمشق: دار ابن كثير، دت) ص6

[215]– كولن ولسون، سقوط الحضارة، ترجمة، أنيس زكي حسن، ط3 (بيروت: منشورات دار الآداب، يناير 1982) ص 151

[216]– وليام هاولز، ما وراء التاريخ، ترجمة، أبو زيد، ط1 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2012) ص98

[217] أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، مختصر الحجة على تارك المحجة، تحقيق، محمد العزازي (بيروت: دار الكتب العلمية، دت) ص101

[218] كانت الكتابة مقتصرة على مناطق الحضارات في اليمن ومصر وعند الفينيقيين انظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط4 (بيروت: دار المعرفة 1997) ص60

[219] Smith, Robert. “Arabia.” Pages 324-327 in vol. 1 of *Anchor Bible Dictionary*. Edited by David Freedman. New York: Doubleday 1992(6 vols. p324-327)

[220] مرعي السكري الحنبلي، مرجع سابق، ص18

[221] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، مرجع سابق، ص3

[222] وجد في النقوش 300 اسم عربي مثل قصي وفهر وحارثة وأمة الله وأميمة انظر: ليتمان. أ، بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، ج1، مج11، مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة، ماي 1949) ص1-26

[223] أخذت قوانين حمور رابي عن أنظمة أشتار ملم ايسين من سلالة بابل الأولى العربية انظر: ديزره سقال، مرجع سابق، ص مرجع سابق، 25-27

بابل ومصر في الألف الثالث قبل الميلاد[224]، وهناك روايات قديمة تذهب إلى أن جنس اليونان عربا اختلطوا بغيرهم، وبذلك تقدم الأوربيون على غيرهم من حيث الموقع الجنسي العالمي.

ويقول الشافعي: "ثم اصطفى الله محمد من خير آل إبراهيم وأنزل كتبه قبل إنزاله الفرقان على محمد بصفته وفضيلة من تبعه قوله تعالى {محمد رسول الله والذين أمنوا معه} ويفسر الشافعي كنتم خير أمة بيكنونتهم من أمته دون أمم الأنبياء قبله[225] ومن نتائج البحث عن الجماجم لعرب من قحطان وعدنان تبين أنه لا يوجد اختلاف بينهما ولكن يتميزون بدماء غريبة عن الأمم الأخرى[226] وورد في المصادر القديمة التي عنيت بعلم البيولوجيا والتكوين الأول للخليقة أن العرب ينقسمون إلى العرب البائدة من نسل سام بن نوح وهو مادة العروبة وأصلها وأول من نطق بها ولم يبق من جنسهم أحد، ثم العرب المعربة وهم المعديون والقحطانيون[227].

وهولاء هم جنس عربي جاء من الشام وتعربوا فسموا مستعربة قحطان، وهم الطبقة الثانية، ثم عدنان وهم الطبقة الثالثة الذين تميزوا بصقل لغة إسماعيل وجنسه بالجمع بين موروث اللغة ووحيها كما سبق الإشارة إليه، وجميعهم من جنس العرب المستعربة مع التمييز بينهما على أساس التمييز بين جنس الموروث، وجنس الموروث والوحي، وبذلك تميزوا بالعربية عن جنسهم البشري من العرب المهجنة، أو المستعجمه، في الشام والعراق ومصر والمغرب، وتفاضلوا بذلك على معايير وضعت علامات الديمغرافيا المعاصرة لغة ونقاء وثقافة وقيما ومن ثم اعترفت العرب لقريش بالسيادة والفضل والديانة[228] من حيث معانيها في السلوك أو مجمع الأخلاق وما تبقى فيها من قيم الأقدمين.

الخاتمة:

تعددت مصادر الأصول الإسلامية التاريخية وتنوعت بتنوع من حيث استمرار التاريخ فيها وحفظها للتاريخ. فمن المصادر المرجعية التي تأصلت عليها الأدلة القطعية، فما كانت مقطوع الدلالة في الكتب السابقة تجددت في الإسلام فكانت جزء من الوحي، وامتداد له زمانا وإن خالفته مكانا ولغة، ولم يكن

---

[224] ورد في الآثار أن العماليق هم أصحاب حضارات بابل وآشور والهكسوس ثم كانوا في فلسطين وهو ما آثار عداوة اليهود المدونة في التوراة انظر: أحمد أبو الفضل، مرجع سابق، ص52، 56

[225] أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي، السنن الكبرى، رقم 17712، مرجع سابق، ص7، 9

[226] أحمد أبو الفضل، مرجع سابق، ص60

[227] تعرب قحطان وجماعته عندما نزل اليمن وخالط الناس وأن يعرب كان يتحدث السريانية وهم العرب الباقون بعد هلاك الطبقة القديمة وهم الصرحاء وينسبون إلى سام بن نوح وفي رواية تقسم طبقات العرب إلى العرب البائدة والعاربة والمستعربة والآخيرتين يطلق عليها العرب الباقية، فيكون قحطان الطبقة الثانية، ويلحق بهم المعديون من نسل إسماعيل والأوس والخزرج والمناذرة والغساسنة ثم في الطبقة الأخيرة العرب المستعجمة وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة الإسلامية انظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الاسلام، ط1 (بيروت: دار النفائس 2009) ص29-31

[228] لم تؤدي قريشا اتاوة في الجاهلية بل استجبوا التجار وفرضوا على العرب أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم وكان قصي من أسماء الآلهة عند النبطيين حيث يشير اسمه الى البعد عن موطنه مما يرجح أنه اقام في بادية الشام قبل أن يسيطر على مكة بدعم من الغساسنة والبيزنطيين في القرن5م وكان لهم معاهدات مع بيزنطة الحبشة واليمن والأمارات الأخرى حتى وصفهم المؤرخون بزعماء الدبلوماسية العربية وأنهم خلقوا للقيادة والزعامة واكتسبوا خبرات سياسية أهلتهم لزعامة العرب وبناء الدولة الإسلامية انظر: أحمد أبو الفضل، مرجع سابق، ص96-67

النقل من قبل إلى وحي بلغة وعقل الأنبياء، لأن صفة النبي الغالبة فيه الفهم، لذلك شكلوا سلسلة ممتدة لفريق الرسل المتميزون بالحفظ إلى جانت مشاركتهم الأنبياء بالفهم.

ويليه المصادر الثانوية المبنية على الأدلة الظنية وتقع بين فطرة الإنسان والنقل وتقام على المصلحة، ثم المصادر التي تتشكل منها الأدلة العقلية؛ إذا أن الأدلة القطعية تتفق في كلياتها مع النصوص السابقة وتستمد منها الشرعية كما أنها تصحح انحرافاتها وتقوم مقام التجديد لأصولها ليس من التاريخ، وإنما لتصحيح مسار التاريخ بالوحي، وتحقيقه بالعلم {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}[229] والغفلة عنها يعني عدم النظر فيه حتى جاء الوحي؛ لا سيما و أن القصص هي مادة التاريخ، والتاريخ وعاؤها.

أما الأدلة الظنية فهي الأدلة المستقلة والمتحددة بالأدلة القطعية ومحل النزاع بين الفقهاء كشرع من قبلنا والعادة والعرف، ويؤخذ منها ما لا يتعارض الأصول الثابتة. ويدخل ضمن الأدلة العقلية: أصول الاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها من الأدلة المنتقاة من أقوى الأدلة، وتنضبط بالوحي، والضرورات العقلية والبديهيات المنطقية التي هي تلك المبادئ القديمة للعلوم المختلفة والتي يمكن استخدامها للدفاع عن المصلحة.

وتتأسس تلك الدلالات على المصادر الوعائية كاللغة الحاملة للنصوص والتي بها إدراك فهمهما وبها استنباط الأحكام الشرعية مع تلك العلوم التي تستند عليها أو تتفرع عنها وكما أن لكل علم أصوله فإن لكل جنس أصوله كمعيار أساسي لفهم النصوص الحامل لها بموجب التكاليف الشرعية وحقيق أن يترادف الجنس المكلف بلغته وأعرافه وعاداته ليس بما أوردته النصوص فحسب، بل وبما تعارفت عليه النفوس فكما ارتضت العرب قريشا ارتضى اليهود والنصارى ببني إسرائيل. وأخيرا فإن التاريخ لا يمكن الاستدلال به خارج نطاق الوحيين إلا فيما لم يرد فيه نصا بشروط معتبرة من الضرورات العقلية والاعتبارات الشرعية بما لا يعارض الأدلة القطعية أو أي من الأصوليات الرئيسية المرجعية.

[229] مريم (3)، {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران (62)، {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} الأعراف (176)

قائمة المراجع.

1. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق، ناصر عبد الكريم العقل، ج1، ط2 (دار إشبيليا للنشر 1998)
2. ابن خلدون، المقدمة، ط9 (بيروت: دار الكتب العلمية 2006)
3. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج1، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، بت)
4. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ج 8، تحقيق، عادل أحمد، علي معوض (الرياض: دار عالم الكتب 2003)
5. ابن لملقن، قواعد ابن الملقن، ج1، تحقيق مصطفى محمود الازهري ط1 (دار ابن القيم – دار ابن عفان2010)
6. ابن نجار الحنبلي، مختصر التحرير في أصول الفقه، ط1 (الرياض: دار الارقم 2000)
7. ابن نجار الحنبلي، مختصر التحرير في أصول الفقه، ط1 (الرياض: دار الارقم 2000)
8. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، شرح، مفيد محمد قميحة (بيروت: دار الكتب العلمية، دت)
9. أبو الحسين أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية 1997)
10. أبو العباس أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية 2012)
11. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج2، تحقيق، محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار الجيل 1986)
12. أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي، مختصر الحجة على تارك المحجة، تحقيق، محمد العزازي (بيروت: دار الكتب العلمية، دت)
13. أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج1 (بيروت: دار صادر، دت)
14. أبو الفيض مرتضى بن محمد الزبيدي، تارج العروس، ج1 (بيروت: دار صادر، دت)
15. أبو الفيض مرتضى بن محمد الزبيدي، تارج العروس، ج6 (بيروت: دار صادر، دت)
16. أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، كتاب الاشارة في معرفة الاصول والوجازة في معنى الدليل، تحقيق، محمد علي فركوس (دار البشائر الاسلامية، د.)
17. أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي، السنن الكبرى، تحيق، محمد عبد القادر عطا، رقم، 517704، ج9، ط3 (بيروت: دار الكتب العلمية 2003)

18. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج1، ط1 (بيروت: دار الرسالة 1994)
19. أبو حنيفة، نعمان بن ثابت، الفقه الأكبر (مصر: دائرة المعارف 1342)
20. أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني، تاريخ سنين ملوك الأرض والأنبياء، ط3 (بيروت: دار الحياة 1965)
21. ابو عبد الله محمد التميمي المازري، ايضاح المحصول من علم الاصول، تحقيق، عمار الطالبي (ونس – دار الغرب الاسلامي، دت)
22. أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من اسماء البلدان والمواضع، ج3، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية 1992)
23. أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، تحقيق، درويش جويدي (بيروت: المكتبة العصرية 2001)
24. أحمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (القاهرة: دار الفكر العربي 2000)
25. أحمد أبو الفضل، دراسات في العصر الجاهلي (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دت)
26. أحمد أبو الفضل، دراسات في العصر الجاهلي (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دت)
27. أحمد أرحيم هبو، تاريخ العرب قبل الاسلام، ط1 (منشورات جامعة حلب 1979)
28. أحمد بن عمر الحازمي، فتح رب العربية في شرح نظم الأجرومية (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، دت)
29. أحمد بن محمد بن علي الوزير، المصفى في أصول الفقه، ط1 (بيروت–دمشق، دار الفكر المعاصر–دار الفكر 1996)
30. أحمد بن محمد بن علي الوزير، المصفى في أصول الفقه، ط1 (بيروت–دمشق، دار الفكر المعاصر–دار الفكر 1996)
31. أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، مج1 (بيروت: دار الكتب العلمية 2011)
32. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط4 (بيروت: دار المعرفة 1997)
33. أرمانو سالفاتورى، المجال العام؛ الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام، ترجمة، أحمد زايد، ط1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2012)
34. بدر الدين الزركشي، سلاسل الذهب، تحقيق، محمد المختار الشنقيطي، ط2 (دن، 2002)
35. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب، ج1 (مصر: دار المعارف 1975)

36. بو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، تحقيق، درويش جويدي (بيروت: المكتبة العصرية 2001)
37. جاك دريدا، صيدلية أفلاطون، ترجمة، كاظم جهاد، (تونس: دار الجنوب للنشر، دت)
38. جاك دريدا، صيدلية أفلاطون، ترجمة، كاظم جهاد، (تونس: دار الجنوب للنشر، دت)
39. جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، شرح، محمد أحمد جاد المولى و"آخرون" (بيروت: دار الجبل، دت)
40. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق، مركز الدراسات القرآنية ج2 (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.)
41. جمال الهاشمي، الخليج العربي بين اشكاليات التحولات الحضارية وصناعة العمق الاستراتيجي، رسالة دكتوراه (طنجة: جامعة عبد المالك السعدي 2018)
42. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج8، ط3 (بيروت: دار العلم للملايين 1980)
43. جود علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج6، ط3 (بيروت: دار الملايين 1980)
44. الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد القرشي الدمشقي ابن كثير، البداية والنهاية، ج1 (بيروت: مكتبة المعارف 1990)
45. الحسن بن عبد الله الاصبهاني، بلاد العرب، ج4، تحقيق، حمد الجاسر (الرياض: منشورات دار اليمامة، دت)
46. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، ط4 (دمشق: دار القلم 1999)
47. حمد أبو الفضل، دراسات في العصر الجاهلي (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دت)
48. حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، مج ج3 (القاهرة: دار الثقافة المسيحية 1986)
49. خليلي يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام، مجلة كلية الآداب مج10، ج1 (جامعة القاهرة، ماي 1935)
50. دنيس شارب، العمارة في القرن العشرين، ترجمة، نورد الدين دغمش (دمشق: دار ابن كثير، دت)
51. ديزره سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط1 (بيروت: دار الصداقة العربية للطباعة والنشر 1995)
52. ديزره سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط1 (بيروت: دار الصداقة العربية للطباعة والنشر 1995)

53. ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي، كف المخطئ عن الدعوة إلى الشعر النبطي، ط1 (الطائف: مكتبة دار البيان الحديثة 2000)
54. ر. بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة، إبراهيم الكيلاني (بيروت: دار الفكر المعاصر 1998)
55. ربرت هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب، ترجمة، عدنان حسن (دمشق: قدمش للنشر، دت)
56. روبرت هيلند، تاريخ العرب، سابق، ص265، أبو الفرج محمد بن يعقوب ابن النديم، الفهرست، تحقيق، ناهد محمود عباس، ط1 (الدوحة: دار قطري بن الفجاءة 1985)
57. ريجيس بلاشير، القرآن نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، ترجمة: رضا سعادة، ط1 (بيروت: دار الكتاب، 1974)
58. ريمون غوش، الفلسفة السياسية في العصر السقراطي (بيروت: دار الساقي 2008)
59. سعيد الافغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (دمشق: دار الفكر 1960)
60. سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، كتاب الإبانة في اللغة العربية، تحقيق، عبد الكريم خليفة "وآخرون، ط1 (دن، 1999)
61. سليمان بن داوود الذهبي الباجي المالكي، الاشارة في اصول الفقه، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، ط1(بيروت: دار الكتب العلمية 2003)
62. سيد محمود القمني، االنبي ابراهيم والتاريخ المجهول (القاهرة: مدبولي الصغير، دت) ص13
63. سيد محمود القمني، الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية، ط4 (القاهرة: مكتبة مدبول الصغير 1996)
64. سيف الدين الآمدي، غاية المرام في علم الأحكام، تحقيق، حسن محمود عبد اللطيف (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، دت)
65. شوقي الضيف، العصر الجاهلي، ط11 (القاهرة: دار المعارف 1960)
66. صالح أحمد العلي، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ط1 (بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع 2000)
67. صفوان بن عدانان داوودي، قواعد أصول الفقه وتطبيقاتها، ج1 (دار العاصمة للنشر)
68. صفوان بن عدانان داوودي، قواعد أصول الفقه وتطبيقاتها، ج1 (دار العاصمة للنشر)
69. عبد الحليم النجار، في اللهجات العربية وأصولها واختلافها، مج15، ج1، مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة، ماي 1953)
70. عبد الرحمن العاصمي النجدي الحنبلي، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج5 (دن، 1994)
71. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3 (بيروت: دار العلم للملايين 1993)

72. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، سلالة الفوائد الأصولية (الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع 1999)
73. عبد الرحمن بن ناصر البراك، شرح العقيدة التدمرية، ط1 (دار التدمرية 2011)
74. عبد العزيز الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة ج3، ط1 (دار الغرب الإسلامي 2007)
75. عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (مؤسسة شباب الجامعة، دت)
76. عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة (مكتبة الانجلو المصرية 2010)
77. عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، ج1، ط1 (الرياض: مكتبة الرشيد، 1999)
78. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه (مؤسسة قرطبة، دت)
79. عبد المجيد الطيب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة (السعودية: مركز البحث العلمي واحياء التراث، دت)
80. عبيد الله بن عمر الدبوسي الحنفي أبو زيد، عبد الرحيم يعقوب، تحقيق، تقويم أصول الفقه وتحديد أدلة الشرع، مج2، ط1 (الرياض: مكتبة الرشد 2009)
81. عصام الدين محمد علي، وقفة بين اصحاب الديانات وأنصار المذاهب (الاسكندرية: منشأة المعارف 1990)
82. عصمت عبد الكريم بكر، أصالة الفقه الإسلامي، دراسة في العلاقة بين الفقه الإسلامي والقوانين القدمية وأصالة المبادئ (دار الكتب العلمية 2010)
83. علاء الدين أبي علاء الدين أبي الحسن المرداوي الحنبلي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ج3 (الرياض: مكتبة الرشد، دت)
84. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق، محمد صديق المنشاوي (القاهرة–دبي، دار الفضيلة، دت)
85. الفضل شهاب الدين الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج1، ط3 (القاهرة: دار الكتاب العربي، دت)
86. كمال الدين أبو البركات الأنباري النحوي، أسرار العربية، تحقيق، بركات يوسف هبود، ط1 (بيروت: شركة دار الأرقم 1999)
87. كولن ولسون، سقوط الحضارة، ترجمة، أنيس زكي حسن، ط3 (بيروت: منشورات دار الآداب، يناير 1982)
88. ليتمان. أ، بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، ج1، مج11، مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة، ماي 1949)
89. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة، أحمد مختار عمر، ط8 (عالم الكتب 1998)

90. محمد المازني، من قضايا البحث التاريخي: مقدمات أولية (أكادير: جامعة بن زهر 2012)
91. محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق، أحمد شاكر، ج1 (بيروت: دار الكتب العلمية، دت)
92. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، رقم 3465، ط1 (دمشق: دار ابن كثير 2002)
93. محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقق محمود شاكر (القاهرة: دار المعارف 1974)
94. محمد بن صالح العثيمين، شرح في أصول التفسير، ط1 (القصيم: مؤسسة محمد بن صالح العثيمين الخيرية 1434)
95. محمد بن عبد الحميد الاسمندي، بذل النظر في الأصول، تحقيق، محمد زكي عبد البر (دن، دت)
96. محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج2، رقم 4175، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية 2002)
97. محمد بهاوي، المعرفة التاريخية، نصوص مختارة ومترجمة، ج1 (المغرب: أفريقيا الشرق 2013)
98. محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الاسلام، ط1 (بيروت: دار النفائس 2009)
99. محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج1، رقم 397 (دار إحياء الكتب، دت)
100. محمد مصطفى منصور، أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره (القاهرة: دار غريب 2003)
101. مرعي السكري الحنبلي، مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف اللعلم على شرف النسب، ط1، دار عمار 1988)
102. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق، نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، حديث رقم 2286، ج1، ط1 (دار طيبه 2006)
103. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط3 (مصر: دار المعارف 1966)
104. ولتر ستيس، التصوف والفلسفة، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام (القاهرة: مكتبة مدبلولي1999)
105. وليام هاولز، ما وراء التاريخ، ترجمة، أبو زيد، ط1 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2012)

1. James Février, Histoire de l’Ecriture (Paris : Payot 1959)

2. Smith, Robert. “Arabia.” Pages 324-327 in vol. 1 of *Anchor Bible Dictionary*. Edited by David Freedman. 6 vols (New York: Doubleday 1992)
3. Van Buren Paul.M, the Edges of Language: An Essay in the Logic of a Religion (N.Y: Macmillan 1972)

مواقع الانترنت

مدرسة الأيونية انظر : https://ar.wikipedia.org/wiki

المقاصد الشرعية بين العقلانية السياسية وفلسفة الواقع
علاقة النص بالواقع

وليد العدوفي

المقدمة:

انفصلت العقلانية الإسلامية عن النص بداية عصر المأمون العباسي والتي انفرد فيها العقل مستأثرا بالسلطة والوعي السياسي مما أدى إلى صراع على استعمالات النص المجرد عن الواقع، ثم بدأ عصرا جديدا بإغلاق باب الاجتهاد واقصاء العقل عن فهم النصوص المواكبة لمتغيرات الواقع مما أحدث فجوة كبيرة بين العقل والمجتمع، وحدثت معه ثقافات التكفير والتدمير، وثقافة إلغاء التفكير والتعاطي مع المدونات الفقهية والعقائدية كمسلمات وتموضع الفكر المذهبي في الصراع السياسي، وجيشت المجتمعات في الصراع الطائفي من جهة ومعارضة النظام من جهة أخرى. حيث يمكن اعتبار هذه المرحلة وحتى الآن عصر لسيطرة العقل مستقلا أو النص مستقلا عنه لم يجد مسوغا للتقارب بينهما والتعاطي مع الواقع وفق ما تمليه المصلحة العامة كأساس لمبدأ النص ومنطق العقل.

ما هي العقلانية في الإسلام، وهل يتعارض الشرع الإسلامي ونصوصه مع العقل أم يتكامل معه، وما ذا تعني المقاصد الشرعية، وعلاقة العقل بمبادئها ومتغيرات الواقع.

أولا: العقلانية المقاصدية وفلسفة الواقع.

"مقصد الشريعة من التشريع حفظ نظام العالم، وضبط تصرفات الناس فيه؛ على وجه يعصم من التفاسد والتهالك؛ بتحصيل المصالح واجتناب المفاسد وصلاح الأمة يأتي بصلاح الفرد التركيبي للمجتمعات"[230].

وحفظ النظام يكون ضمن منظومة القوانين السياسية التي تضع آليات تطبيق الأحكام الشرعية؛ ولن يكون إلا بتكامل السياسي والاجتماعي عبر مؤسسات فاعلة تمنع التجاوز المانع لمقصد الحفظ من خلال وضع أبجديات التكوين البنائي ابتداء بالفرد، ثم التركيب الاجتماعي، ثم الأمة، ومقصد الشارع تعيين أنواع الحقوق لأنواع مستحقيها، من خلال تنظيم العلاقات في إطار حفظ حقوق الفرد والأمة، ورفع أسباب الشقاق والتغالب والتواثب الذي يؤدي إلى هلاك المتكافئين في القوة، وفناء العامة، كما أن تحقيق انتظام أمر الفرد والأسرة والمجتمع في الأمة يعد أساسا للحضارة والانتظام الجامع، ومن ثم يحقق ثراء الأمة والأفراد بحفظ

230 – محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، دار سحنون، تونس–دار السلام، القاهرة، ط2، 1428هـ –2007، ص 75–76، 63.

الملكية، كونه أصل النمو الاقتصادي والأصل فيه الاختصاص باعتباره من الأصول المدنية[231]. وتتمحور الغاية من التشريع في إقامة العدل وحفظ الحقوق وتحقيق الرفاه والأمن النفسي والمادي للمجتمع والإنسان فالعدل عند الدريني" ليس فكرة فلسفية خيالية مجردة"[232] وإنما تعمل على تضييق الأحوال الفاسدة والتوعية بفسادها وأضرارها وضرورة دفعها واستبدالها بالأحوال الصالحة المتعارف وتنميتها وحفظها، بالتيسير والرحمة، والحزم المرتبط بمصلحة الفرد والأمة، ورعايتها بالعدل الذي يسع الإنسان بعدل مطلق ومصلحة مطلقة عبر مواقعتها للواقع بالسياسة العادلة233. ومن وظائفها التربية والتنشئة وحرية الرأي وتنمية الأخلاق وحفظ الحقوق على أساسٍ من المصلحة إطار المقاصد الإنسانية[234].

ويتقدم النص على العقل في الغيبيات، أما مجال الدنيا فيبرز فيه العقل وحاجة الإنسان من دنياه، ويكون اللفظ على غاية ما وضع له من الوضوح والبيان[235] والتقنين المنسجم في إطار النظام العام، وليس العقل المجرد عن النص المعقول، المستبدل بثقافة الطبقة والسلطة والنخبة التي تحول دون قراءة العامة[236] وتحجبها عن فهم النص في سياق معارض للواقع ولوازمه النافعة.

ومن وظائف العقل القياس الذي يرتقي بالنص عن أفقه اللغوي المحدود إلى أفق المنطق الرحب الذي لا حدود له، كما أن السياسة منظور عقلي يقوم على حفظ الراعية بكليات المقاصد الكلية الإنسانية ورعاية شؤون والفرد والأمة والمجتمع، وبه حفظ كيان الأمة بحفظ الكليات التي تحول دون استبداد العقل وفساده[237] وتكون النظرة الكلية التأسيسية حول تكامل النص والفعل والواقع وعوالم التفاعل الأربعة بين عالم الأفكار والأشخاص والحوادث والأشياء[238]. وفق غايات المصلحة في تحولات الواقع[239]، كما أن المصلحة المرسلة التي أرسلتها الشريعة قلما يناط بها حكما معينا ولا يلفي في الشريعة لها نظير معين له حكم شرعي فتقاس هي عليه[240].

وقد بنيت السياسات الاجتماعية عند القدماء على عدة قواعد فقهية مثلت منهاجية بنائية متصلة بعضها ببعض وكانت بمثابة الحدود المانعة للمقصد من التجاوز والطغيان إلى الجانب السلبي المغاير للنص والفطرة على عدة مقولات منهجية رئيسية ترى أن:

1- اليقين لا يزول إلا بيقين مثله.

---

231 – محمد الطاهر بن عاشور: تحقيقات وأنظار في القران والسنة، دار سحنون، تونس–دار السلام، القاهرة، ط2، 1428هـ –2007، ص 146–147، 169.

232 – صالح قادر الزنكي: البعد المصدري لفقه النصوص، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، ع113، جماد الاول 1427، ص 70.

233 – محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص123،99.

234 – سيف الدين عبد الفتاح: نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي، أبحاث غير منشورة"، ص 35–36.

235 – سليمان بن خلف الباجي الأندلسي: كتاب الحدود في الاصول، تحقيق: نزيه حماد، مؤسسة الزغبي، سوريا، ط1، 1392هـ –1973، ص 43.

236 – صالح قادر الزنكي: البعد المصدري لفقه النصوص، مرجع سابق، ص17.

237– نفسه، ص17.

238 – سيف الدين عبد الفتاح: نحو تفعيل النموذج المقاصدي، مرجع سابق، ص45،35.

239 – صالح قادر الزنكي، مرجع سابق، ص 20.

240 – محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص81.

2- الضرر يزال.

3- المشقة تجلب التيسير.

4- العادة محكمة.

5- الأمور بمقاصدها.

وترجح الأدلة بالأمارات الكثيرة العاضدة والرواة الكثيرين الموثوق بضبطهم وعدالتهم لأن الكثرة تؤكد القوة وفق فلسفة العادة التي مارسها الناس في علاقاتهم، ومنها الترجيح بعلو الإسناد وفقا للماصدق في المنطق الفلسفي، ومنها فقه الراوي وإتقانه العلوم الضرورية كاللغة والصرف بالإضافة إلى ورع الراوي وضبطه الذي يؤكد على قيمة العقل والسلوك معا[241] وقد أكد الإمام الشافعي على قيمة النص بالواقع بدلائله وأبجدياته وطرقه التي وُضعت للوصول إلى علة الحكم ومقصده والخبرة وضرورتها في تكامل فقه النص مع فقه الواقع بمقولته العقلية" ليس لأحد أبدا أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم بالدليل أو الإجماع والقياس"[242] فإذا كان الشافعي قد حدد منهجية الحكم، فإن العز بن عبد السلام أشار إلى المصلحة التي بنى عليها الحكم حيث قال: " إن الله شرع في كل تصرف من التصرفات يحصل مقاصده ويوفر مصالحه، فإن عكست المصلحة جميع التصرفات شرعت تلك المصلحة في كل تصرف وان اختصت ببعض التصرفات شرعت فيما اختصت به دون ما لم تختص به بل قد يشترط بعض الأبواب ما يكون مبطلا في غير نظر إلى مصلحة البابين" [243].

وأطر للعقلانية الشرعية الإمام الشاطبي في قسمين وفقا للتكاليف المفروضة " التكاليف مشروعة لمصالح العباد ومصالح العباد أما دنيوية وإما أخروية"[244] ، وحددها الآمدي بالقدرة على ممارستها وتنفيذها في عوالم الواقع النفسي والدنيوي بتوكيده على مقاصد الأحكام التكليفية باسقاطها على الوضع النفسي للفرد والاجتماعي للمجتمع والغائي بالحاجة الإنسانية" والشرعي بالمصلحة الفردية والعامة والفطري بدرء المفاسد لان الأحكام شرعت لهذا ومراعاة الأعمال تكون بمقاصدها وإلا لا يعتبرها الشارع[245] ومنهج التيسير في الممارسة الواقعية يحدد اتصال النفس بفطرتها المائلة إلى اليسر وهو مقصود الشارع من الاستجمام بالمباح من أجل توخي المقصد والاستعانة به عليه، ويرى ابن تيمية أن الترويح عن النفس بما هو مباح مشروع في الاستعانة على تحقيق مقصود الشارع وتحقيق المصلحة فيقول: " إن الله خلق اللذات لمصلحة الخلق ولا مانع من الاستعانة بالمباح منها على الحق وهو من الأعمال الصالحة وإن لم يرد فيه نص، مستدلا بمقولة أبي الدرداء: إني لاستجم بنفسي بشيء من الباطل[المزاح] لاستعين بها على الحق[246]. وبذلك يكون

241 – خلفان بن جميل السيابي: كتاب فصول الأصول: تحقيق سليم بن سالم بن سعيد آل ثاني: مؤسسة عمان للصحافة والنشر، مسقط، ط2، 1426هـ . 2005م، ص 15.

242 – يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي–الرياض، ط 2، 1415هـ 1994، ص110–111.

243 – المرجع نفسه: ص 93.

244 – الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ج11–10، د. ت، ص 8.

245 – يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص94

246 – محمد رواس قلعه جي: موسوعة فقه ابن تيمية، ج1، دار النفائس، ج1 ، ط2، 1422هـ – 2001، ص 426.

المقاصديون الفقهاء أول من أصل للفلسفة العقلانية في الإسلام. كما أن منع الشارع لما هو مباح بالنص والعرف والاستدلال تتغي منه رعاية المصلحة التي هي معيارا لبناء التشريعات القانونية وسن القوانين، وكثير من القواعد الفقهية التي هي قواعد منهجية تتوافق مع غاية المصلح ومصالح الناس ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام والأصل في المنافع الحل وفي المضار المنع[247].

والمساواة من مقاصد الشريعة التي تحدد معنى القيمة والحفظ والميزان وتكون موافقة للعدل ونظرية الاستحقاق، كما أن الحرية من أعظم مقاصد الدين لأهميتها في انتظام أمر الأمة بها وجلب الصالح لها ودفع الضر والفساد عنها وبها يتجسد مبدأ المساواة والعدالة والتسامح والإبداع والتكامل والتكافل وغيرها من المبادئ الإنسانية الكلية والعقلانية، كما يكون بها حفظ مجالات الحضارة ومقاصد الشريعة والاجتهاد العقلي فرض كفاية على الأمة بمقدار حاجة أقطارها وأحوالها والتفريط بالعقل الاجتهادي مع الاستطاعة على تمكين العقل في رعاية المصالح وتمكينه بالأسباب والآلات يعد تفويتا للمصالح وتضيعا لها، يأثم عليه المتمكنون من العلماء بانقطاعهم فيما يصلح العامة، وإثم العامة في عدم مطالبتهم وسكوتهم وإعراضهم عمن يدعوهم إليه إذا وأثم الأمراء والحكام في إضاعة الاهتمام بحمل أهل الكفاءة عليه[248].

ثانيا: الواقع بين العلم والعقل.

إن علم الواقع يرتبط بالأحوال الكلية التي تنزل الواقع بما يجب عليه باعتبار النظر ضمن سياقات غائية في إطار علم التدبير لإعادة بناء الوعي وتطوير الفكر بالأدوات الاجرائية والعمليات والآليات والأساليب والوسائل.[249]

ويقوم العلم الضروري بالحواس الخمس، والحاسة على الحقيقة هي موضوع العلم[250] والواقعة تتجدد بما يؤدي إلى متغيرات أخرى تتجدد معها المفاهيم الجزئية ضمن أطرها الكلية لإعادة تحليل الوقائع من حيث اتساعها وشمولها ومدى عمقها وتكرارها لوضع مقدمات يقينية، النص في المجال العام واقع والواقع الفاعل مع النص نصا بنائيا للواقع وتقنينا جديدا لإعادة انزاله بصيغ قانونية تنظم العلاقات العامة،وبينهما آليات ووسائل متجددة تتناسب وضعا وموضوعا.

والواقع ليس نقطة زمنية محددة يموت بانقضائها، بل هو الحاضر التكويني المعاش وامتداد الماضي في الحاضر والتاريخ بأحداثه والمستقبل بما يحقق أصول الاعتبار ومقتضيات التدبير فهو الكائن بما كان ليكون، والواقع بما وقع ليقع مع إمكانيات التغير لا السلبية والتسليم[251]. والماضي أصل يضع قواعده في الحاضر لتحقيق مآلات المستقبل بمنهج الاستقراء بيانا، والاستنباط تنزيلا، ثم دلالة القياس اعتبار وافتقارا للنص التشريعي، حيث يتصل فقه الواقع بالوسائل والأدوات والتخصصات في جميع معارف العلوم

247 – أحمد الريسيوني وآخرون: الاجتهاد – النص الواقع ، المصلحة، دار الفكر ، دمشق ، 1420، ص 32

248 – محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص 123– 126، 134، 136.

249– سيف الدين عبد الفتاح: الأمن الإنساني" رؤية إسلامية بين تكافل المداخل والبحث المقارن"، ورقة خلفية ضمن أعمال تقرير التنمية الإنسانية الرابع، 2008.

250 – سليمان بن خلف الباجي الأندلسي: كتاب الحدود في الأصول، مرجع سابق، ص 26–27.

251– سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي، مرجع سابق، ص50.

الاجتماعية والإنسانية ولا يكون إلا بإحياء الفروض الكفائية وإدراك أهميتها[252].

وترجع أهمية دراسة الواقع إلى:

1- ضرورة الوعي المدرك بشروط العمل الفكري.

2- الإدراك بأهمية بناء علم الفقه الحضاري الواقعي الذي لا يتشكل في الفراغ الفكري والثقافي والاجتماعي والسياسي.

3- اتخاذ موقف يحدد عناصر الالتزام دون إهدار العلمية والمنهجية والعقلانية.

4- ربط فقه الواقع بالفهم الواعي وحقيقة التكوين ودلالة الإسلام في كل كياناته فكرا وعقلا مع اعتبار السياقات التاريخية والظروف المعاصرة.

5- تحديد العلاقة مع الأخر في إطار الوعي المدرك لإمكانية الاستفادة والتمييز بين الانغلاق والتحويط والانفتاح والانطلاق وإعادة بناء جسور الاتصال الثقافي والحضاري على نحو يستهدف استعادة الجدة الحضارية والرؤية الإنسانية المشتركة[253].

ويرتبط النص بالواقع كون الأخير هو المحدد الواقعي لتنزيل الأحكام ومن ثم يتحقق الوعي التام بين سياسة التنزيل والإسقاط بضوابط المصلحة وفهمها وإدراك كنهها وقد دعا عمر بن عبد العزيز إلى تطوير القوانين العقلانية لحفظ النظام العام من الفوضى والصراع في فلسفته الواقعية التي تدعو الى مواكبة المتغيرات الاجتماعية والسياسية بمقولته المشهورة" تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"[254]، وبذلك قال ريسموس: " لولا العمل لم يطلب علم ولولا العلم لم يطلب عمل "[255]، ونضبط الواقع بعدة قواعد منهجية منها:

1- القواعد الكلية الإنسانية الشمولية التي تتشكل بها القضايا الجزئية في صور متفاوتة ومختلفة.

2- تناسب الواقع مع مراتب الأولويات واستيعاب الواقع لها في إطار النسق القائم اعتبار الحاجات الضرورية وما يليها من احتياجات متممة.

3- تطوير نظرية الواقع بتغير الأحوال الاجتماعية والسياسية والحضارية من العوامل المهمة لفتح نافذة الحوار وتضييق فجوة الشقاق والتعصب الأيدلوجي[256].

وتقوم منهجية الواقعية على الشورى وإجماع أهل الرأي في إطار المبادئ الإنسانية ومقاصدها بالنظر في القضايا المتجددة والحوادث المستجدة، والتجديد في الحاضر يتطلب استثمارها في المستقبل كون الفاعلية المتجددة تحقق الاستقرار، وأن القدرة هي القوة الفاعلة في إطار منظومة الأمن الدولي والأمن الإقليمي والمحلي ولكنها في الرؤية الإسلامية تحدد بالاستقامة والنفع وخدمة الإنسانية، وتبتعد عن الظلم الذي فيه فساد الحياة وخراب العمران وكل ذلك يكون ضمن منظومة الوعي في إعمال العقل في التفكير وحسن

---

252 – صالح قادر الزنكي: البعد المصدري لفقه النصوص، مرجع سابق، ص14-16.

253 – سيف الدين عبد الفتاح: نحو تفعيل النموذج المقاصدي، مرجع سابق، ص 68.

254 محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص 84.

255- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب التربيع والتدوير، تحقيق: شارل يلات، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1955، ص98.

256 – سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: نحو تفعيل النموذج المقاصدي، مرجع سابق، ص 71.

التدبير الذي يكون عليه القرار السياسي أو الاجتماعي.

ومن فلسفة الواقع سد الذرائع وهي رؤية عقلانية للظواهر المؤثرة في المتغيرات الاجتماعية والدولية ويرتبط بفكرة المآل وهو منع شيء لا ضرر فيه درئا لفساد يتطور منه، سواء قصد الناس إفضاءه إلى فساد أم لم يقصدوا ذلك، المنع ما هو مجمع على عدم منعه، ومجمع على منعه، ومختلف فيه على حد تعبير القرافي[257].

والفقه الاجتهادي يتطلب عقلانية العالم لإعادة صياغة القوانين للواقع والفرد والجماعة والدولة لمعالجة الأزمات والتهديدات لتي تهدد النوع الإنساني واحتياجاته، فإذا اختل الرابط بينهما فقدا حيويتهما، فالسياسة المدنية المعروفة بعلوم الفقه في الإسلام تجد لها من الواقع نصوصا وقضايا تثير انتباه الفقيه وتشحذ همته للبحث من مخارج الضيق إلى السعة، " ويكون النص في مورد الاجتهاد معالجا للواقع ومتغيراته[258].

ومن مقاصد العقل والنص تفسير الواقع من منظور المصلحة لرفع المشقة وحفظ مصالح الإنسان وتنميتها وهو "الحفظ القائم بالعلم والوعي المتعلق به، كما أن الحفظ حالة متغيرة ومتبدلة ومتجددة في الوسائل والأدوات والأساليب والآليات، ولكنها ثابتة في غايتها وفق عناصر الأسباب وتكافلها، وشروط تحريكها وتفاعلها، وممارستها بمقتضى العقل والعلم، والتواؤم والتفاعل.

ويكون العلم المدخل العام لفلسفة العقل، ومقدمة للوعي الإنساني الحضاري القائم على "نظرية الدفاع عن الإنسان ومصالحه، وحمايته وتنميته".[259] وتقديم الضروري وهو الأصل الثابت الذي يتعلق بأصل الكيان والوجود، ثم الحاجي ويتعلق بمحركات الفاعلين والتفاعل ضمن منظومة العلاقات ويليه الكمالي عبر استراتيجية مرحلية تدفع بالعلم والعقل نحو الأحسن فالأحسن بما وضع لها من أساس[260].

فالإحسان يجري في كل شيء من حيوان وإنسان وملاك بجلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم، ومنه الإحسان إلى النفس بجلب ما يسعدها ويصلحها ودفع كل مكروه يهدد نوع الإنسان وللمصالح تعلق بالقلب والحس والعضو والبدن والمال والمكان والزمان والذمم والأعيان[261].

والحفظ يمنع التجاوز في حق الغير بما يمثله من جانب أخلاقي يمنع الأنانية والمحسوبية أو الاستثنائية، كونه عملية عمرانية تفعل الواقع بحركة دائبة من أجل تحقيق الاستقرار المتفاعل مع الأحداث وتكليفية من أجل تحقيق باعتباره جزءا لا يتجزأ من نسقها المعرفي، في حفظ أصل الوجود وحفظ وجوده من العدم.

والأصل في حفظ الدين ليس نصوصه والتعبد بها كتعاليم جامدة لا تتسق ما منفعة الإنسان، وإنما باعتبارها ضابطا مانعا للجور السياسي وبه حفظ القانون وتنظيم المعاملات، وبث العدل والتناصف الذي يحقن الدماء ويكلف بها النظام السياسي بما يمتلكه من شرعية وقبول وعقد اجتماعي بينه وبين العامة[262] "ويتنوع

---

257 – محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص72.

258– أحمد الريسيوني وآخرون: الاجتهاد النص الواقع المصلحة، مرجع سابق، ص60 – 61.

259 – سيف الدين عبد الفتاح: العملية الاجتهادية وأصول الفقه الحضاري "دراسة في سياقات المدخل المقاصدي"، أبحاث غير منشورة.

260– سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: نحو تفعيل النموذج المقاصدي، مرجع سابق، ص 61

261– عبد العزيز عبد السلام السلمي: الفوائد في اختصار المقاصد، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر، بيروت–دار الفكر، دمشق، ط1، 1416هـ –1996، ص 33–36.

262– محمد الطاهر بن عاشور: تحقيقات وأنظار، مرجع سابق، ص 14.

حينما يرتبط بالأداء فهناك حفظ ابتداء للوجود الإنساني، وحفظ بناء (وسائل ومؤسسات) لتنظيم العلاقات ومنع الفوضى، وحفظ بقاء واستمرار بالتنمية وتحقيق الرفاه ويحيط بذلك جميعه حفظ الأداء[263]من أجل دفع المفاسد وجلب المصالح ضمن علاقة التفاعل بين عالم الأفكار والأشخاص والنظم والرموز والأشياء والأحداث[264].

وتلتقي العقلانية الإسلامية مع الفلسفة الليبرالية في حفظ الفرد وحريته وكرامته ولكنها تنظر إلى ذلك في إطار ضوابطها للنوع الإنساني العام وبما لا تضر بمصلحة المجتمع، وبما لا يضيع مصلحة الفرد عند التعارض حيث بدأ الإسلام بإصلاح الفرد كونه اللبنة الخالصة للأمة ثم النوع الجمعي بما تحققه من كيانات تحفظ له كرامته، ويكون ذلك باعتبار المبادئ الكلية لأهميتها في صياغة مناهج التفكير والتدبير الإنساني عبر سلسلة من المراحل المؤدية إلى ذلك[265] كما أن الدين" وضع إلهي سائغ لذوي العقول السليمة باختيارهم، والمحمود إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل"[266] وليس دينا مجردا عن العقل والمصلحة وقوانين النظام الراعية لحقوق الفرد والمجتمع.

ومن أهم مبادئه الكلية تنمية الوسائل التي بها حفظ النفس كمقصد إنساني من أمن وغذاء وطب وسكن وحرية وكرامة، ومن جهل به وأضر بذلك كان فقده خيرا من تواجده، لأنه رسول ملك الموت[267] ويكون أولا بإصلاحه من جهة وتهذيبه أو عرضه على القوانين الموضوعة لحفظ النظام. ويعد فساد الطب والفوضى وغياب الأمن واهمال العلم وتغييب الحرية وحفظ كرامة الفرد مؤشرا على الفساد السياسي والاجتماعي وغياب رقابة المجتمعات ودورها المنوط بها.

والحفظ المعنوي يكون بعلوم التربية والتهذيب والتخلق بالفضائل و يتأتي ذلك بمعرفة تاريخ الأمم في رقيها ودركات تدنيها على مستوى الزمان ومعرفة أدوائها النفسية فإن فقدت الأمة المربيين والمرشدين واعتلى الجهلة الأغبياء والسفلة الدنيا فهو الشقاء والفناء ثم تهوي النفوس في الجهل المركب المستأصل للروح والبدن والعقل والوطن وهلاك الحرث والنسل ويسقط الوطن ويضيع الأمن من نافذة الخيانة والأهواء جهلا بالمقاصد والحقوق وحفظ الإنسانية يكون بحفظ أشخاصها على التعاقب ويكون بالإجماع والتعاون لعجز الفرد وحده على تلبية حاجاته إلا في إطار المعاملات بين أبناء جنسه[268] وهذا كله يؤصل لثقافة:

1- الوعي السياسي الفردي على غرار الفلسفة الليبرالية بحفظ الحق الخاص.

2- الوعي السياسي الاجتماعي وفقا للنمط الديمقراطي.

3- وعي النخبة بالشورى على غرار النظام الجمهوري أو البرلماني.

---

263 – سيف الدين عبد الفتاح: العملية الاجتهادية وأصول الفقه الحضاري، مرجع سابق.

264 – المرجع نفسه.

265 – محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص62

266 – يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع سابق: ص205.

267 – جمال الدين الحسيني الأفغاني وآخرون: العروة الوثقى" رسائل في الفلسفة والعرفان الرسائل والمقالات"، ج2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1423هـ -2003، ص 94.

268 – المرجع نفسه : ص 97- 98، 103.

4- الوعي الاقتصادي بحفظ المال من أجل العمران والبناء الحضاري، وحفظ المصلحة بحفظ الثروة بإعادة توزيعها وفقا لمبادئ العدل والمساواة[269]

فإذا كان الوجود الإنساني في ذاته يجسد معاني الخلافة في الأرض فإن الخلافة في ذاتها مسؤولية وأمانة، وأدائها وحسن القيام عليها هو الواجب المطلق الذي لا يستطيع الإنسان أن يتهرب منه أو يتحايل عليه وهنا يتجسد مفهوم الاختيار كحركة عمرانية وحضارية ويؤصل لمفهوم المسؤولية الفردية التي تتحول ضمن مضمونها الحضاري إلى مسؤولية إنسانية[270].

ثالثا: العقلانية والمناط.

المناط في الفكر الإسلامي هو العلة أو الظاهرة السياسية التي تحتاج إلى قانون يقاس بظاهرة سابقة وذلك باستقراء المشكلة والكشف عنها وتحديد أسبابها وتحديد العلاقة بين الواقع والنص على أساس قاعدة المصلحة وأهدافها، ومن ثم تحقيقها وفقا للحاجة الاجتماعية

وتكون أركانها من خلال معرفة أصل الظاهرة وأهميتها في الواقع باعتبارها إطارا كليا، والإنسان مكلف سواء كان عاميا أم مجتهدا ولكل واحد منهما ضابط يمنعه من التجاوز وبدوره مرهونا بإعمال عقله. إما مفاضلة في الحكم من بين البدائل المتعددة وهذا دأب العامي، أو اجتهادا وهو الدور المنوط بأهل العلم والعقل وبذلك يتكامل المجتمع مع النخبة في ترجمة القواعد واختيار القوانين ووضعها والتصويت عليها والمشاركة الجماعية المشتركة القائمة على منطق المشاركة.

وتنضبط صيغ المشاركة بالقدرة والعلم وإمكانية تحقيق ذلك وجودا وعدما وتقديرا ووفقا للقاعدة التشاركية أن الميسور لا يسقط بالمعسور وهذا لا يلحق بالميسور[271] ولا تعرف الأمور مالم يعرف أشباهها وعواقبها وأقدارها ولا يعرف الحق من الباطل كما أن الخطأ يعرف بالصواب والموارد تعرف بالمصادر والكثرة علة المتخاذل والقلة سببا للتناصر[272] لأن الديمقراطية التي تساوي بين عقول الناس دون اعتبار الفارق العالم والجاهل مفسدة للنظام وسببا للفساد.

وقد قدم الطوفي المصلحة على النص عند التعارض وعند عدم القدرة على الجمع بينهما في مجال المعاملات والعادات التي هي من لوازم الحياة، دون العبادات والمقدرات وفقا للقاعدة العامة" لا ضرر ولا ضرار" لأن المصلحة مقصود المكلف بإثبات الحكم وباقي الأدلة كالوسائل، كما تتقدم المقاصد على الوسائل وجوبا[273]، ومقصد الشريعة من أحكامها هو أثبات أجناس الأحكام للحال والوصف والفعل في التصرف الخاص والعام باعتبار ما تحمله من معاني والنتيجة تكون صلاحا ونفعا أو فسادا وضرا بالقوة

269 – يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع سابق: ص145، 163.

270 – سيف الدين عبد الفتاح: الأمن الإنساني: رؤية إسلامية بين تكافل المداخل والبحث المقارن، مرجع سابق.

271 – أحمد الريسيوني وآخرون: الاجتهاد النص الواقع المصلحة، مرجع سابق، ص65-66.

272 – الجاحظ: كتاب التربيع والتدوير، مرجع سابق، ص 11

273- أحمد الريسيوني وآخرون: الاجتهاد النص الواقع المصلحة ، مرجع سابق، ص 37

والضعف[274] وعلى العاقل أن ينظر إلى العام والخاص وخصوصية الخاص حتى يتسنى له معرفة الحكم وإنزاله على الواقعة.

فالشريعة وفقا للمنظور الإسلامي ميزان لأفعال المكلف في الأحوال جميعها كونها جلب مصلحة ودفع مفسدة وكل عمل يناقض المصلحة مفسدة مطلقة[275]، "وليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين"[276] وقصد المشرع من التشريع هو إدخال المكلف تحت أحكامها ليخرج من هوى نفسه حيث أكدت التجربة والعادة على أن اتباع الهوى وتحقيق الغرض واتباع الشهوات دونما قيد يؤدي إلى إضاعة المبادئ الإنسانية وقد أكد العقل السليم، والنقل الصحيح، على ضرورة دفع الأهواء[277]، واعتبار المصالح والمفاسد يكون بميزان الشريعة فمن قدر على النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد رأيه"[278] والخروج عنها إلى مقولات وأحكام طائفية يؤدي الى الإرهاب والفوضى ويعرقل النظام والأمن الدولي وخراب العمران.

ويعبر عن المصالح والمفاسد بالمحبوب والمكروه والحسنة والسيئة والمعروف والمنكر والخير والشر والنفع والضر والحسن والقبح" ولا تحمل مشقات العبادة ومكارهها لفظ المفاسد ولا عن ملذات المعاصي وأفراحها بشي من المصالح وتقسم إلى: الضروري: وهو عمل الواجب وترك المحرم[279] والحاجي: هو ما تحتاج له الأمة في تحقيق مصالحها وتنظيم أمورها على وجه مطلوب لولاه لاختل النظام وحل الفساد، التحسيني: وهو مرحلة كمال الحال للأمة في النظام والانتظام والطمأنينة والأمان والإعلام الظاهر الذي يعكس المعنى الجوهري بحيث تكون مرغوبة بين شعوب الأمم وتصبح قطبية جامعة[280] والاستحسان هو البحث عن المصلحة والعدل والأخذ بما هو انفع للناس، وسد الذرائع يرجع أصله إلى درء المفسدة[281] والتكميلي يساعد على إتمام التقسيمات السابقة حسب مراتبها.

وقد أجمع ابن القيم تلك المبادئ حسب مراتبها، فيقول:" ومن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب إتباعه والألفاظ لم تقصد لذاتها وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان عمل بمقتضاه سواء كان بإشارة أو كتابة أو بإيمائه أو دلالة عقلية أو قرينة حالية أو عادة له مطردة لا يحل إلا بها أو من مقتضى كماله وكمال أسمائه وصفاته وانه يمتنع منه إرادة ما هو معلوم الفساد وترك ما هو متيقن مصلحته وانه يستدل على إرادته للنظر بإرادة نظيرة ومثله وشبهه وعلى كراهة شي بكراهة مثله ونظيره ومشبهه[282]

---

274 – محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص102.

275 – يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع سابق: ص 95-96.

276 – الموسوعة الفقهية الكويتية: ج11-10، مرجع سابق ص6.

277 – يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص94-95.

278 – الموسوعة الفقهية الكويتية: ج11-10، مرجع سابق، ص 41

279 – عبد العزيز عبد السلام السلمي: الفوائد في اختصار المقاصد، مرجع سابق، ص38.

280 – محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص78.

281 – احمد الريسيوني وآخرون: الاجتهاد النص الواقع المصلحة، مرجع سابق، ص 31.

282- صالح قادر الزنكي: البعد المصدري لفقه النصوص، مرجع سابق، ص 174.

وأشار إليه استاذه ابن تيمية في "اعتبار المصالح والمفاسد يكون بميزان الشريعة فمن قدر على النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد راية"[283] والميزان هو ما يراه العقل في النص والمجتهد في الوضع، والمصالح والمفاسد منها ما يبنى على العرف والبعض على الاعتقاد في حق العوام، والأكثر يبنى على الظن والحسبان وأقلها على الشك، والوهم وتنقسم إلى مقطوع ومضنون وموهوم في مصالح الدنيا ومفاسدها وتعرف بالتجارب والعادات[284] والمصالح منها راجح ومرجوح وميزان التفاوت قائم على:

1- النظر في المصالح من حيث كنهها قيمتها وترتيبها.

2- النظر إليها من حيث الشمولية والخصوصية.

3- النظر إليها من حيث تأكد حصولها وعدمه وتحديد المفاسد المتفاوتة[285].

4- إقامتها على جلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

فالشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، وشرع الله مع المصلحة والمصلحة مع شرع الله[286] وفي حديث الأعمال في النيات يؤكد على ميزان الأعمال في باطنها، وحديث من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد، ميزانا للأعمال الظاهرة[287] وبذلك يكون التقسيم بين أعمال الآخرة ويتقدم فيها النص، وميزان أعمال الدنيا ويتقدم فيها العقل الحضاري وفقا للمصلحة.

وأن من أكثر أسباب العلم كثرة الخواطر، ثم معرفة وجوه المطالب، وفي الخواطر الغث والسمين، والصحيح والفاسد، كما أن للمطالب طرق مختلفة وللحقائق وسائل متنوعة تدرك الجميع بالعقل[288].

رابعا: العقلانية وفقه الأولويات.

يقول العز بن عبد السلام: في القواعد فالضرورات كالمآكل والمشارب والملابس والمناكح والمراكب الجوالب للأقوات، وغيرها مما تمس إليه الضرورات، واقل المجزئ من ذلك ضروري، وما كان في ذلك أعلى المراتب كالمآكل الطيبات والملابس الناعمات والغرف العاليات والقصور الواسعات والمراكب النفيسات ونكاح الحسناوات والسراري الفائقات فهو من التتمات والتكميلات-أي التحسينات-وما توسط بينهما فهو من الحاجيات"[289]؛ فالأمن الغذائي من الضرورات الإنسانية ومن أهما مقاصد العقل في التنمية، إهماله يضر بالتماسك الاجتماعي ووحدة الدولة ومدخل لفساد العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

كما أن الحرية تنضبط بالقوانين في الدول الغربية ومقيدة بالعقد الاجتماعي فيما ينفعه وفق مقاصد العقل في النظام، ويرى ابن عاشور أن" الحرية إن لم يكن معها عدل ذبلت حتى تساقط إلى الحضيض؛ إذ

283 – الموسوعة الفقهية الكويتية: ج11-10، مرجع سابق، ص 41

284 – عبد العزيز عبد السلام السلمي: الفوائد في اختصار المقاصد، مرجع سابق، ص12، 41-43.

285 – يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص187، 189.

286 – أحمد الريسيوني وآخرون: الاجتهاد – النص الواقع، المصلحة، مرجع سابق، ص200.

287 – يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص99.

288- الجاحظ: كتاب التربيع والتدوير، مرجع سابق، ص 100.

289 – العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، مرجع سابق، ص 32

حقيقتها أن يأخذ المرء بكل حقوقه وأن يفي بجميع حقوق غيره، وأن يصدع بآرائه وهذا كله لا يكون بغير عدل، وبالتالي ينمحي تغيير المنكر والأمر بالمعروف من الناس"[290]. ولم يكن ترتيب الأولويات بمنأى عن مراتب العقول والناس في حقيقة الخطاب السياسي الذي يجعل هذه المراتب منضبطة بمدى المنافع المتحققة من ذلك، كون ذلك موصولا بالظواهر السابقة حيث يكون، والقاعدة العامة " أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم"[291].

فالمنازل هي المراتب التي توضح مناطات الواقع بالمواقع الاجتماعية، والأشياء والإنسان مصدر السعادة القائمة على الفضائل النظرية والفكرية والخلقية والصناعات العملية[292] ومن هذه الفضائل الفكرية مناطها التفاوت في إدراكات العقول واختلاف أفهام الناس، وفي القاعدة الإسلامية " كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون". "وما أحد يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم"[293] ولهذا استطاعت أوروبا أن تقسم الناس وفقا لمراتبهم بين النخب والعامة الواعية وأنزلت الديمقراطية منزلة الخطاب بين الساسة وشعوبهم لأهميتها في التعبئة العامة وإدارة المجتمعات وفقا لمصالحها، وهكذا انقسمت الطاعة إلى الفاضل والأفضل، والمعصية إلى الرذيل والأرذل[294] والناس تبعا لذلك بين الفضائل والرذائل والعاقل والأعقل.

والواقع أن ضعف الإدراك لقواعد الوسائل وأحكامها أدى إلى خلل كبير، وخلف أثاراً سيئة في حياة الناس[295] والوسائل هي القواعد التي وضعت لتسيير النظام، وبها تحصيل الأهداف وهي الهدف الوسيط المؤدي الى الهدف الكلي فإذا سقط اعتبار المقاصد سقط اعتبار الوسائل[296].

وتتوزع المصالح والمفاسد بين الوسائل والمقاصد فتكون الوسيلة هي الطريق المفضي إلى المقصد وهذا يتضمن مصلحة أو مفسدة وهي متراتبة بالأفضل والفاضل، والسيئ والأسوأ، ولذلك تعرض على العقل[297] وبعض الوسائل أفضل من مقاصدها كالإعانة على مباح أفضل من المباح؛ لأن العون موجب لأجر الآخرة وهو خير من منافع المباح[298].

وأن معانة الإسلام ليس في افتقاره الى المبادئ والتعاليم وإنما لغياب العقلانية في مجتمع اللاوعي، والذي يثير الحيرة في نفوس المستضعفين الذين لا يجدون لهم قانونا يحمي حقوقهم في ظل فساد القانون، وفساد النظام السياسي والاجتماعي[299].

---

290 – محمد الطاهر بن عاشور: تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص 64.

291 – الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد العجمي، دار السلام القاهرة، ط 1428–2007، ص180.

292– الجاحظ: كتاب التربيع والتدوير، مرجع سابق، ص 2.

293– الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، مرجع سابق، ص 180

294 – يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع سابق: ص 89.

295– سيف الدين عبد الفتاح: العملية الاجتهادية وأصول الفقه الحضاري"، مرجع سابق.

296– محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص144.

297– نفسه، ص43، 97.

298– العز بن عبد السلام: الفوائد في اختصار المقاصد، مرجع سابق، ص50.

299 – إسماعيل الحسني: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيردن ، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1426هـ – 2005: ص 238–239.

والمقاصد هي التي تؤطر لوجود العقل في النص وهي الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها وتسعى الأنفس إلى تحصيلها، والوسائل هي الأحكام التي وضعت لتحصيل أحكاما أخرى، ولم تكن مقصودة لذاتها بل لتحقيق مصالح أخرى على وجه الكمال "وعلى أساس هذه المقاصد تحدد الحقوق التي منها ما تكون لله، وأخرى للناس، وحق مشترك بينهما، وتنقسم الوسائل كانقسام المقاصد إلى حق لله كمنع الرشوة عن ولي الأمر، وقصدها توصيل الحق إلى أصحابه، وتحقق شرعية الولاة العاملين، وكذلك العقود في المعاملات، والتي تمنع الشقاق وتحقق الحفظ والتماسك، وترتهن الوسيلة بالسبب التي شرعت له وشرطه ومانعه والمقصد يكون باعتبار الوسيلة[300].

وتأخذ الوسيلة حكم المقاصد وتتصل مراتب الوسائل بأحكام المقاصد[301] وتنقسم الوسائل إلى: وسائل تدخل في مقدرة المكلف وتكون من وضعه أو من وضع الشارع ووسائل لا تدخل في مقدور المكلف وتكون مرتبطة بأمارات توجب التكليف وتكون من وضع الشارع، ومنها الثوابت الكلية وهي محل اعتبار العقل الإنساني ولا تخضع للتغير مع الزمان والمكان والحال والأشخاص وتكون غالبا موقوفة، والمصلحة فيها ثابتة ومنها المتغيرة ويدخل فيها الاجتهاد وتخضع للظروف المكانية والزمنية وتختلف مع الأشخاص والأحوال ومنها ما أجمعت الأمة على منعها، وأخرى لم تمنعها، ومنها ما هو مختلف فيها بين الجواز والمنع، وبحسب ما تفضي إليها من مفاسد، وبحسب مآلها، وما يترتب عليها، ومن حيث نوع المصلحة والمفسدة، ومن حيث التكليف، ومن حيث كون المقصد محرما، ومن حيث الرتبة، ومن حيث رتبة المقصد التي تفضي إليه، وغيرها ممن يتصل بمقاصد مختلفة [302] ويرى الشارع أن " الخلق عيال الله وأحبهم انفعهم لعياله[303]. المنفعة هنا هي المعيار الكلي لفلسفة العقل وهي التي ينص عليها الشرع مما يوجب التلازم والتعاضد بين النص والعقل لا التناقض الذي يحدثه التمسك بالنص دون اعتبارات المصلحة العقلية.

والقيمة التأسيسية الحاكمة تتصل بالقيم الأساسية؛ العدل والاختيار والمساواة والشورى وما يتعلق بالمجال الدولي من اتفاقيات دولية، مع قيم تمنع ثقافة الهيمنة والاستئثار[304]، وللإنسان ثلاث معادلات حضارية، تجعل منها أصولا أساسية الأول: أن الإنسان يتواجد لحفظ الكيان الحقيقي لوجوده بمؤشرات الاستقرار والاستمرار والعمران والاستثمار والازدهار.

والأصل الثاني: تفعيل مبدأ الوجود الإنساني بالدفاع عن الإنسان والحرية والاختيار والكرامة المعبرة عن مكانة الإنسان ووظيفته الحضارية. أما الأصل الثالث: فهو تقييد الحرية والاختيار بقوانين وقواعد يحتكم إليها الناس وفقا للفطرة السليمة والتسامح الإنساني مع عدم الإخلال بمبدأ الحرية[305]، وأن حفظ الإنسانية

300- محمد الطاهر بن عاشور : مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص142-146

301 – أم نائل بركاني: فقه الوسائل في الشريعة الإسلامية كتاب الأمة، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف الدوحة، ع 120، ط1، رجب 1428هـ أغسطس 2007، ص 61.

302- المرجع نفسه: ص 72-91.

303- يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص 88-89

304- سيف الدين عبد الفتاح: مدخل القيم " إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام" المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1419هـ -1999، ص 159.

305- سيف الدين عبد الفتاح: الأمن الإنساني «رؤية إسلامية بين تكافل المداخل والبحث المقارن"، مرجع سابق.

يكون بحفظ أشخاصها على التعاقب وتتحقق بالإجماع والتعاون لعجز الفرد وحده على تلبية حاجاته إلا في إطار المعاملات بين أبناء جنسه[306]. ويكون ذلك في إطار نظام وحاكم يختاره الناس بالإجماع إذا استبان لهم قدرة من يرشحونه على ذلك لأن به يتحقق الأمن وتنظم المعاملات، ولا يتحقق هذا إلا بإمام يكون محكوما بالشارع، لأن اختلاف الأهواء وتشتت الآراء تمنع انقياد الناس بعضهم لبعض مما يؤدي إلى التغالب والتواثب، وقد يؤدي إلى هلاكهم جميعا، ويؤكد ذلك التجارب والفتن القائمة عند موت الأئمة، والتنازع في الترشيح بحيث لو تمادى أدى إلى فساد المعايش، وصار كل إنسان مشغولا بحفظ نفسه وماله، وهذا يؤدي إلى رفع الدين وفساد المقاصد، وفي الرياسة دفع مضره عظيمة وجلب مصالح عظيمة منها حفظ المقاصد الإنسانية وهو أعظم مقاصد الدين[307].

والنظام السياسي والإمامة من الضرورات العقلية التي ذكره ابن عبد السلام في كتابه القواعد حيث قال:" إذا تفاوتت رتب الفسوق في حق الأئمة قدمنا أقلهم فسوقا، وإن كان فسق أحد الأئمة بقتل النفوس، وفسق الآخر بانتهاك حرمة الابضاع، وفسق الآخر بالتعرض للأموال، قدمنا المتعرض للأموال على المتعرض للدماء والابضاع، دفعا لما بين مفسدتي الفسوقين من التفاوت، ودرئا للأفسد فالأفسد"[308] ودفع الأفسد مصلحة مع كون الفساد موجودا وهذا يتصل بفقه الواقع وأهمية اعتبار النص في إطار الممارسة. وقد فصل الفقهاء بين العقل السياسي والعقل الديني ولم يجعلوا من الدين وسيلة للسيطرة على السلطة السياسية، بل قدموا مصالح النظام على الفوضى.

ويشهد لذلك موقع الإمام مالك بن أنس في رفضه أن يكون المؤطأ ملزما على الناس مع توفر أسباب ذلك حينما شاوره هارون الرشيد أن يعلق الموطأ في الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه فرد عليه أن تعليق الموطأ يخالف منهج الصحابة الذين اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق وكل عند نفسه مصيب"[309]. فيكون الإمام مالك أول من وضع أسس العقلانية في فهم النصوص ولم يسعى لإعاقة العقل وبذلك وسد بابا من الذرائع على النظام والناس من أن تؤدي الى صراع كما حدث مع المأمون وفرضه ثقافة الاعتزال وسفك لأجلها الكثير من الدماء.

وبناء على التجارب التاريخية وفساد الصراع السياسي والمجتمعي فقد رفض الفقهاء أن يجيزون انتخاب إمامين في وطن واحد، أو أوطان متقاربة، كونه يؤدي إلى الفتنة واختلال النظام، وقالوا بالجواز لأوطان متباعدة بحيث لا يسع الواحد تدبيره، فيكون الجواز محل اجتهاد لوقوع الخلاف، وللأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجب ذلك، مثل إن يوجد منه فساد حال المسلمين واختلال أحوالهم، وضياع المبادئ الكلية التي أوجبت نصبه وإقامته لانتظامها وإعلائها وإن أدى عزله إلى الفتنة احتمل أدني المفسدتين[310] وفقا لفلسفة العقل السياسي.

306- جمال الدين الحسيني الأفغاني وآخرون، مرجع سابق، ص 103.

307- عضد الدين الإيجي: كتاب الموافقات في الإلهيات والسمعيات والتذييل، شرح: على بن محمد الجرجاني، د.ت، ص 309

308- بكر بن عبدا لله أبو زيد: فقه النوازل" قضايا فقهية معاصرة، مؤسسة الرسالة، مج1، ط1، 1416هـ -1996، ص 30.

309- نفسه، ص 20-21.

310- عضد الدين الإيجي: كتاب الموافقات في الإلهيات والسمعيات والتذييل، مرجع سابق، ص 309.

ويضيف الرازي أهمية المبادئ التالية لثبوت الأمة وفاعليتها:

1- الإطار العام أو المبادئ الإنسانية العامة التي ترتكز عليه فاعلية الحياة

2- الشورى التي تتجسد بها المصلحة العامة وتحقق مقاصد الإنسانية.

3- التكاليف الوظيفية.

4- القيادة التنفيذية وتكون جماعة، أو فردا مع أهمية الالتزام بأهداف الأمة ومقاصد النص والأمة[311].

5- الصناعة هي قوة الفعل الراسخ في الموضوع، مع الفكر الصحيح نحو غرض محدود الذات والقوة هي المؤثرة فعلا وانفعالا[312]

والأئمة لغة من يقتدى بهم من رئيس وغيره ويطلق على الأنبياء أئمة، ويطلق على الخليفة إماما في الإمامة العظمى، بينما يطلق على إمام الصلاة والإمامة الصغرى[313]. فقدمت الإمامة العظمى على الإمامة في الصلاة لعلوها وأهميتها ومنزلتها الحضارية والإنسانية وفقا لمعيار المصلحة التي تعني رعاية مصالح الناس والقيام عليها.

"ويتصف من هو أهل للإمامة بمباينته للظلمة، وقيامه بالمعروف وهو ما تعارف عليه الناس، وينهى عن المنكر وهو ما أنكره الناس، ويدعو الناس إلى أتباعه"[314]، ويؤسس لنخبة يكون عملها توعية الناس وتنوير عقولهم بالعلوم الصافية والمعارف الحقة، ونخبة أخرى مهمتها التربية والتهذيب والتوعية والتثقيف[315] وتشيد القيم الذاتية كالصدق والأمانة التي ترسخت في نفوس اليونانيين، ومكنتهم من النفوذ والسلطان وسيادة العالم فقد كانوا يحبون الموت على الخيانة[316] ويجسدون الشرف العالي في إطار القيم الإنسانية التي دافعوا عنها في العالم.

وكما أن النظام المدني و"المصالح العمرانية لا تقوم إلا من خلال كف يد الظالم عن تناول مال الغير بدون رضى، وهو أمر حسن تُوافق عليه الفطرة، ولا تستقل أمة عن الحاجة إليه مهما بلغت من الرقي، ومؤشر انحطاط الأمة أنها لا يمكنها الوصول إلى إيفاء الحقوق إلى أهلها؛ فضرورتها إلى القضاء ليس بالأمر الخفي. وأما الراقية فإنها تتألف من جماعات فاضلة، ومن أضدادها؛ فلا غنى بها عن تأسيس قواعد العدل لإصلاح الدهماء، ولإقناع الحكماء والعلماء[317]

والتآخي من الضروريات ولا يمكن أن يحصل ما دامت الأمة متنافرة هذا يسلب حقوقا وهذا يسترجعها، وفيه من الفشل وذهاب الريح ووهن القوة وتشرذمها الشيء الكثير. أما العزوف عن الحكم فباطل "ويقول ابن فرحون: اعلم إن أكثر المؤلفين من أصحابنا بالغوا في الترهيب من الدخول في ولاية القضاء، ورغبوا في الإعراض عنها حتى تقرر في ذهن كثير من الفقهاء والصلحاء أن من ولي القضاء فقد سهل عليه دينه،

311- المرجع نفسه: ص 309.

312- جمال الدين الحسيني الأفغاني وآخرون: العروة الوثقى رسائل في الفلسفة والعرفان، الرسائل والمقالات، ج2، مرجع سابق، ص 101-102.

313- الموسوعة الفقهية الكويتية: ج11-10،

314- عضد الدين الإيجي: كتاب الموافقات في الإلهيات والسمعيات والتذييل، مرجع سابق، ص 308.

315- جمال الدين الحسيني الأفغاني وآخرون: العروة الوثقى: رسائل في الفلسفة والعرفان، مرجع سابق، ص 190-196.

316- جمال الدين الحسيني الأفغاني وآخرون: العروة الوثقى: رسائل في الفلسفة والعرفان، مرجع سابق، ص151-152، 154-155، 164.

317- محمد الطاهر بن عاشور: تحقيقات وأنظار، مرجع سابق، ص 63.

وهذا غلط فاحش يجب الرجوع عنه والتوبة منه، وهؤلاء وإن كانوا يعرفون العدل ويجزمون بحسنه إلا أنهم في الأحوال الخاصة مأسورون للشهوة والغضب؛ فيجعلون لأنفسهم استثناء من هذه المصلحة الكلية لما يغلب من الهوى على التعقل، فكان العدل بأصل العمران، وبه قامت الأرض، ودامت الدويلات، وينشا عنها صفتين إذا تحققتا سعدت الأمة ودام بقاؤها وهي الحرية والأخوة[318]،

فالمعايير العقلية ترتبط بالعقل وجودا وعدما ولولا العقل ما استدرك النص ومع عرفت مقاصده ولأصبحت نصوصا جامدة، وأطروحات موضوعة، والعقل في النص من مكملات التشريع وأساس النظام، وبناء الحضارة التي تقوم على طائفة الاجتهاد التي يؤكد عليها الشاطبي في كتابه "**أن** المجتهد لا يحكم فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام والإحجام إلا بعد نظرة إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل"[319] و"الأصل اعتبار المسببات أو النظر إلى مالات الأفعال أو الأحجام"[320].

فقد تكون المصلحة في زمن ما تتحول على المدى الزمني إلى مفسدة والعكس وربما يُطوى صغيرها، ويعظم خطرها، مع الوقت، وقد تكون نفعية لجيل وضارة لجيل أخر بامتداد الزمان، أو اتساع المكان، وقد تكون مصلحة في الدنيا مفسدة في الآخرة، وهذا التغير يعكس مفهوم المصلحة المتوهمة، وقد تكون مصلحة الخواص مفسدة للعوام والأصل فيها اشتراكا[321].

إن العقلانية في الإسلام لا تتناقض مع النص بل تتكامل معه ولا غنى لأحدهما عن الآخر حيث يعمل أحدهما في مجال الثاني لقراءة الواقع وفهمه والتعامل معه، ومقصد الشارع هو الحفاظ على نظام العالم الكبير بدا بالعالم الصغير الممثل بالجسد ومملكة العقل الموضوع في كل الناس[322] والشريعة لا تشتمل على النكاية بالأمة، بل تسعى إلى تحقيق مقاصدها في الأمة عامة وفي الخاص من أفرادها بالرفق، واليسر من أجل تغيير الأحوال الفاسدة مع الإعلان عنها، وتقرير الأحوال الصالحة والبحث عنها وتثبيتها[323].

وتتباين درجات المصلحة في العقلانية الإسلامية؛ فمنها الكلية إذا كانت تفيد عموم الأمة، وجزئية إذا كانت خاصة فردية أو فئوية أو جهوية، ومنها المقطوع بالنص، والمظنون بالعقل، والمتوهم بالخيال، ومنها التطلعات بالحيل والذرائع، ومنها المظاهر العامة والدائمة[324].

وعقلنة الوسائل وقراءة الواقع يرتبط بالنوازل والحوادث المعاصرة ويأتي المجال ليحدد العلاقة بين الداخل والخارج، الأهداف من الغايات المنشطة للتفكير والتدبر والتخطيط لعناصر الفعل الحضاري ويعد علم المآل هو أولى خطوات التفكير الاستراتيجي والمحرك لعناصر التدبر في التعرف على عواقب الأمور وآثارها[325]، وبميزان النفع والضار ومراتب الأولوية والاعتبار استطاعت دول العقل والمجتمعات العقلانية من بناء

---

318 – المرجع نفسه: ص 64.

319– أحمد الريسيوني، مرجع سابق، ص67.

320– أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة : الأدلة على اعتبار المصالح والمفاسد في الفتاوى والأحكام، د.ت، ص 47.

321 – أحمد الريسيوني وآخرون، مرجع سابق، ص35

322 – إسماعيل الحسني، مرجع سابق، ص 277.

323 – محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص97–،99.

324 – إسماعيل الحسني، مرجع سابق، ص 238–241.

325– سيف الدين عبد الفتاح، نحو تفعيل النموذج المقاصدي، مرجع سابق، ص 75.

الحضارة من خلال قراءة آثار الماضي في الحاضر ومآل الحاضر في المستقبل[326]. فالاستراتيجية وفقا(Clausewitz) تنظر إلى الطريقة التي من خلالها يجب أن تقاد الأشياء[327].

326- جمال الدين الحسيني الأفغاني وآخرون: العروة الوثقى: رسائل في الفلسفة والعرفان، مرجع سابق، ص169-170.

327- صلاح نيُّوف مدخل إلى الفكر الاستراتيجي كلية العلوم السياسية الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، ص 6-7، 63.

الخاتمة:

إن العقلانية الأوربية والعقلانية الإسلامية كلاهما يوظفان العقل وتختلفان من حيث التكوين، فالعقلانية الإسلامية تولدت مع الإسلام المباين لما قبله في جزيرة العرب بعد أن كانت غائبة عن الواقع ومجتمعاتها ومن ثم تشكل العقل الإسلامي من داخل النصوص الدينية، بينما تناقض العقل الأوربي مع النصوص المقدسة واكتفى بالموروث الذي يجمع بين الخبرة التاريخية التي أوجدت العقل الفاعل، وقيم التراث التي تجمع بين الوحي وقيم الإنسان والفطرة للاعتماد عليه في إنتاج قواعد الدولة.

وتعتبر المقاصد الشرعية التي وضعها الشاطبي خلاصة للعقلانية الإسلامية المستنيرة التي تجمع بين دلالة النص ومحاسبته ونقده من خلال الواقع ومحاكمته بالمصلحة، وكل من النص والعقل يحتكمان إلى المصلحة التي تنضبط بالمبادئ الكلية أو الكليات الإنسانية التي تمثل معمارا بنائيا للعقل والنص في وضع لبنات البناء الحضاري.

ومن ثم لا يوجد تعارض بينهما كالتعارض القائم في أوروبا وإنما يعضد أحدهما الآخر، ويلتقي مع الفكر العالمي والأوربي في المبادئ الإنسانية. أما من حيث الصورة القائمة للعالم المعاصر فيعكس انفصالا مستحدثا بين العقل والنص والواقع، وصراع أيدلوجي يوظف الدين ولا يلتزم به، ويغلب عليه الطابع السياسي والعاطفي وتجييش الإيمان المجرد عن العقل والنص.

وهو ما يعني انفصالا حقيقيا بين العقل والنص والواقع وفوضى عنف وإرهابا جامدا ومتصلب يرفض المخالف كما يرفض الآخر، وهو على أمرين إما العقلانية المجردة، أو النصوص المجردة وكليهما لا يلتقيان مع الواقع والمصلحة، كالحالة الأوربية خلال العصور الوسطى.

قائمة المراجع:

1. أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة: الأدلة على اعتبار المصالح والمفاسد في الفتاوى والأحكام (دن، د.ت)
2. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب التربيع والتدوير، تحقيق، شارل يلات (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1955)
3. أحمد الريسيوني وآخرون: الاجتهاد – النص، الواقع، المصلحة (دمشق: دار الفكر، 1420)
4. إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، هيردن 1426هـ –2005)
5. أم نائل بركاني، فقه الوسائل في الشريعة الإسلامية كتاب الأمة، ع120، ط1 (مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف الدوحة، رجب 1428هـ أغسطس 2007)
6. بكر بن عبدا لله أبو زيد، فقه النوازل" قضايا فقهية معاصرة، مج1، ط1 (مؤسسة الرسالة 1416هـ –1996)
7. جمال الدين الحسيني الأفغاني وآخرون: العروة الوثقى" رسائل في الفلسفة والعرفان الرسائل والمقالات"، ج2، ط1 (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 1423هـ –2003)
8. خلفان بن جميل السيابي، كتاب فصول الأصول: تحقيق سليم بن سالم بن سعيد آل ثاني، ط2 (مسقط: مؤسسة عمان للصحافة والنشر، 1426هـ –2005).
9. الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد العجمي، ط1 (القاهرة: دار السلام 1428–2007)
10. سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، كتاب الحدود في الاصول، تحقيق: نزيه حماد، ط2 (سوريا: مؤسسة الزغبي، 1392هـ –1973)
11. سيف الدين عبد الفتاح: الأمن الإنساني" رؤية إسلامية بين تكافل المداخل والبحث المقارن"، (ورقة خلفية ضمن أعمال تقرير التنمية الإنسانية الرابع 2008)
12. سيف الدين عبد الفتاح: العملية الاجتهادية وأصول الفقه الحضاري "دراسة في سياقات المدخل المقاصدي"، أبحاث غير منشورة
13. سيف الدين عبد الفتاح، مدخل القيم: إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، ط1(القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1419هـ –1999)
14. سيف الدين عبد الفتاح، نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي، أبحاث غير منشورة.
15. صالح قادر الزنكي، البعد المصدري لفقه النصوص، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، ع113 (جماد الاول 1427)

16. صلاح نيُّوف مدخل إلى الفكر الاستراتيجي كلية العلوم السياسية الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك.
17. عبد العزيز عبد السلام السلمي، الفوائد في اختصار المقاصد، تحقيق، إياد خالد الطباع، ط1 (بيروت–دمشق، دار الفكر المعاصر –دار الفكر 1416هـ –1996)
18. عضد الدين الإيجي، كتاب الموافقات في الإلهيات والسمعيات والتذييل، شرح: على بن محمد الجرجاني، د.ت
19. محمد الطاهر بن عاشور، تحقيقات وأنظار في القران والسنة، ط2 (القاهرة–تونس: دار سحنون–دار السلام 1428هـ –2007)
20. محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط2 (القاهرة–تونس: دار سحنون–دار السلام 1428هـ –2007)
21. محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه ابن تيمية، ج1، ط2 (دار النفائس، 1422هـ–2001).
22. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج10–11 (الكويت، د. ت)
23. يوسف حامد العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2 (الرياض: 1415هـ 1994)

الأشعرية بين المنهج السلفي وفلسفة المعتزلة

قراءة في متغيرات الواقع الاجتماعي والسياسي

د. أبو القاسم محمد الحاجب

مقدمة:

ظهر مذهب الاعتزال مع بداية الدولة العباسية التي توسعت بالموالي على العرب وكانت تالية لنهاية الخلافة الراشدة ودولة بني أمية التي ظهر فيها الخوارج الذين تطرفوا في الوقوف على جمود النص القرآني واستحلوا به دماء المسلمين، وجعلوا من الإرهاب والتطرف والعنف وإثارة الفوضى والثورات والاغتيال وسيلتهم الوحيدة لإجبار الناس على معتقداتهم، وكانت أول الفرق في الإسلام التي أخذت بالتكفير، وبلغت أوج مجدها في عهد الإمام علي الذي ذهب ضحية لهذا العنف.

كانت هذه الواقعة قد فتح الباب لظهور عصر جديد من النظر في القرآن والسنة والقائمة على الفلسفة العقلانية التي تقدم العقل على النص من جهة، وعلى فلسفة اللغة منهجا لإثبات رؤاهم، وكانت أول حركة سياسية في الإسلام، استخدمت من العقل وسيلة لأسلمة الفلسفة، ووظفت السلطة في استخدام العنف ضد المخالفين، وبلغت أوج مجدها السياسي في القرن الثالث الهجري.

ومن بين هذين الفريقين تعددت الفرق في الإسلام بين متأول يقوم على العقل، وبين نصي يأخذ بظاهر النصوص كما هي، وكانت جميعها في طوائف تصارع على السلطة سلما كالمعتزلة، أو بالحرب كالخوارج، ومع هذا الخضم من الصراع، وخلال هذا الصراع القائم على المبادئ السياسية في توظيف النصوص، كانت طائفة أهل الحديث، أو أهل السنة والجماعة والتي تعرضت للاضطهاد السياسي واضطهاد الفرق المخالفة لها.

كانت هذه الطائفة توازن بين النص والعقل والتأويل بدليل يصرف المعنى الظاهر المتشابه إلى معناه الحقيقي بنصوص معاضدة له إلى جانب العقل ودلالاته المنطقية، وتقف عند المحكمات التي لا تحتمل التأويل، أو ما وقف عليها السلف من نظر وإجماع خلال القرون الثلاثة الأولى.

وبين ذلك كله كانت فرقة الأشاعرة، التي زاوجت بين علم الكلام، والعقل، وتفرق رموزها بين من كان أقرب إلى علم الظاهر مع العقل كما ورد في كتاب الإبانة عن أصول الديانة[328] ومنه من اقترب أكثر إلى منهج الكلام على النص كالإمام الجويني في كتابه الإرشاد واختلف المتأخرون بين الكتابين حول مسائل التقديم والتأخير، واستدركوا ذلك في مؤلفات لإثبات كل فريق ما يبني عليه من تقص واستقراء، وذهب البعض أبعد من ذلك إذ أنكروا نسبة كتاب الإبانة للإمام الأشعري، التي تبنى مؤلفاته أو مقولاته في معتقدات الأشاعرة.

أولا: الأشاعرة وتأثير الواقع المجتمعي والثقافي والسياسي.

[328]– الإمام أبو الحسن بني علي بن إسماعيل الاشعري، الإبانة في أصول الديانة، تحقيق، أبو عبد الإله الدكتور صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي التميمي، ط1 (الرياض: مدار المسلم للنشر 2011)

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر، إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بُردة ابن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار؛ الأشعري اليماني عرقا، البصري مولدا، كان على دراية بالحديث ومن أئمة أهل السنة والجماعة[329]، وينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري[330].

ويعده الأشاعرة المعاصرون المؤسس الأول للمعتقد الأشعري المعاصرة التي عليها غالب أهل المغرب ومصر وكثير من أهل اليمن والشام، وأفريقيا، ولد سنة ستين ومائتين وقيل سبعين ومائتين في مدينة البصرة[331]، وتوفي في بغداد[332]؛ هذه المدينة التي كانت مليئة كمدن العراق الأخرى بالمعتقدات والمذاهب والسجالات، وقد تأثر بها، ثم اعتقد مذهب الاعتزال، وكتب فيه مؤلفات ، قبل أن يكتب الإبانة لينقض كل ما كتبه عن الاعتزال، ولهذا بالغ البعض في أنكار نسبة الكتاب له؛ إلا أن الكثير من أعلام السنة الذين كانوا في الشام والعراق وغيرها يؤكدون النسبة له كابن عساكر وابن تيمية[333] بينما اعترض البعض وقالوا بتصحيفه على ذلك الكوثري في الهند[334]، وقد ذهب البعض إلى دحض نسبة الكتاب إلى الأشعري لكونه يتعارض مع مؤلفاته السابقة الذي يقوم عليه أكثر من تبعوه بعد ذلك[335].

كما أنه لم يرد عن ابن فورك، ويتبين أن ابن فورك نقل ما كان قبله من مؤلفاته ولم يذكر كتاب الإبانة الذي كان آخر كتب الأشعري الذي أظهر فيه تراجعه عن مذاهبه السابقة وأخذه بالسنة[336] وتبعه على ذلك البيهقي المحدث المشهور على عقيدة المتكلمة في الاستواء ومذهب ابن فورك من المتقدمين الذي تتلمذ على يديه وعنده المنتهى للقسم الأول من تيار الأشاعرة[337].

ولذلك يقول ابن تيمية "أما من قال بكتاب الإبانة الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة، لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة لاسيما لأنه بذلك يوهم حسنا لكل من انتسب هذه النسبة وينفتح بذلك أبواب شر"[338] بينما يرى البعض يرى أن كتاب الإبانة كان انتصارا لمذهب أبن كلاب –مؤسس الاشعرية الحقيقي –ودعمه بمناهج أخرى إزاء مناظرته مع معلمه

---

[329] شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 392 (القاهرة: دار الحديث–2006)

[330] ابن سعد، الطبقات الكبير، 2/ 344، تحقيق، علي محمد عمر، ط1 (مكتبة الخانجي 1421–2001)

[331] أبو بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 284/3، تحقيق، إحسان عباس (بيروت: دار صادر، دت)

[332] إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، 101/15 (بيروت: دار صادر 1410–1990)

[333] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تبين كذب المفتري بما نسب إلى الإمام الحسن الأشعري (دمشق الشام: مطبعة التوفيق 1347) ص152، 389، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي الدين، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، 141/1–163،142(وازرة الدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد للطباعة 1426)، ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق، محمد رشاد سالم، 16/2 (جامعة الإمام محمد بن سعود 1411–1991)

[334] أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط1 (الرياض: دار الصميعي 1417–1996) ص35

[335] أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس، رسالة الذب عنب ابي موسى الاشعري (حيدر أباد: دار المعارف العثمانية 1367–1948) ص131

[336] ابن تيمية، تلبيس الجهمية، 143/1، الباقلاني، تبيين المفتري، ص35، 136

[337] أبو الحسين محمد بن القاضي ابي يعلى الفراء الحنبلي، كتاب الاعتقاد، تحقيق، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط1 (الرياض: دار أطلس الخضراء 1423–2002) ص62

[338] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 359/6.

المعتزلي الجبائي المعروف حول مسائل الصلاح والأصلح[339]، وقد ذكر ابن تيمية ابن فورك على مذهب القائلين بالاستواء لذلك امتنع عن ذكر هذا الكتاب وصحف أقولا لابن كلاب بما يوافق هواه في الاعتقاد[340].

وترجع شهرة الاشعري في كونه كان ضليعا في علم الكلام قادرا على المحاججة كما تبين سلفا، ولذلك رأى ابن تيمية وغيره أن الاشاعرة الذين يأخذون بكتابه الإبانة ويعتقدون يندرجون تحت معتقدات أهل السنة والجماعة المثبتة لله ما أثبت لنفسه في كتابه[341]. أما موقف السابقين والذين استدل الاشعري بكتبهم من السنة فيرون الدخول الكلام في النص مما يرد الغيب في المحسوس المادي ويكون في التحقيق بعيدا عن الصواب لكون الاستشهاد بالعقل في امور الغيب مما لا يثبت الحقيقة ويخالف مفهوم العلم الذي خص الله به نفسه وأمر الناس باتباعه وجعله مناطق الإيمان لمن تابع أمره فيما خص به نفسه من غير تكييف يخالف إرادة الشارع، ويدخل أهل الأهواء عند مالك وسائر المالكية من أهل الكلام، وكل متكلم سواء كان أشعرياً أو غير أشعري تحت تصنيف المبتدعة ولا تقبل له شهادة[342].

وللأشعري كان مواقف مناقضة لأهل الكلام في آخر عمره وله سجالات متعددة مع الفرق الكلامية للدفاع عن السنة ونقض مقولاتهم بمنطق ما يؤسسون عليه فكرهم، ولم يكن غيره مثله في علم الله ولهذا استطاع أن يقدم للإسلام أدلة عقلية كما سنرد بعضا منها في سطور هذا المقال، وبذلك كان أبرز المتكلمين السنة الذين دافعوا لتحرير عقيدة السنة من شبهات المعتزلة وأبطل بالعقل والنص ما ذهبوا إليه من نحولات ومقولات[343]؛ لا سيما " وأنه بقي على مذهبهم أربعين سنة يقرأ على أبي علي الجبائي، فلما انتقل عن مذهبهم كان خبيراً بأصولهم وبالرد عليهم وبيان تناقضهم وأما ما يقي عليه من السنة فليس هو من خصائص المعتزلة بل هو من القدر المشترك بينهم وبين الجهمية، وأما خصائص المعتزلة فلم يوالهم الأشعري في شيء منها، بل ناقضهم في جميع أصولهم ومال في مسائل العدل والأسماء والأحكام إلى مذهب جهم ونحوه"[344]

وقد وصفه شمس الدين بن خلكان في كتابه [الأعيان] بـ"صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب أهل السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية"[345]، غير أن تأثره بعلم الكلام وتدوينه بالمناهج التي كانت معه كان فيه نوعا من الإبهام في بعض مقولاته في كتاب الإبانة، وذلك كونه لم يعتمد التصريح اللفظي المحكم، وإنما أخذ بألفاظ قد تحتمل الصور والتأويل، ومثال ذلك الصفة القائلة "سكوت الله" الذي هو عند محل إجماع علماء السنة، وذلك لكونه لم يكن ضليعا بما فيه الكفاية بعلوم الحديث، كما لم ينقل من كتبها

---

[339] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق، محمد سيد الكيلاني، ط2 (مؤسسة الحلبي 1395-1975) ص 81.

[340] ابن تيمية، بين تلبيس الجهمية، 1/ 145-147

[341] مجموع الفتاوى، 359/6

[342] أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، تحقيق، عثمان محمد عثمان، 117/2، 96 (إدارة الطباعة المنيرية، دت)

[343] ابن الحاج، حاشية أبي عبد الله محمد الطالب بن سيدي حمدون على مبارة (دار الفكر 2003) ص7، 16

[344] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 99/13

[345] أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، 284/3-286(بيروت: دار صادر 1972)

المشهورة عند أئمة الحديث الستة رغم توافرها في زمانه، واكتفى بما أورده ابن شيبة في المصنف وكتاب الموطأ على حد تعبير ابن تيمية[346].

ثانيا: المناهج بين العقل والنص.

يعتبر علم العقيدة أساس الخلاف بين الطوائف وهو أول علم افترقت فيه جماعات الإسلام، ولما كان علم الكلام هو أهم علوم الإسلام فقد كان أول العلوم تصحيفا وتحريفا على مذهب المؤولة الغالين القائلين بقرائن تغير معاني النص الظاهرة على غير حقيقته، ومن ثم بنيت مسائل الحلال والحرام على تلك المعاني، وكذلك قضايا السياسة وغيرها من المسائل المتعلقة بالتعايش والحرية والمساواة.

وعلم الكلام هو العلم المتعلق بالله في صفاته واسماءه وافعاله ومخلوقاته، وما يتعلق بأمور النبوات والرسل من علوم المعاد والحساب والعقاب وغيرها باستقراء الأدلة اليقينية الجازمة والقاطعة، وعند التفتازاني هو :" العلم الباحث عن أحوال الصانع تعالى من صفاته الثبوتية والسلبية وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا والآخرة[347]. وعند الجرجاني صاحب التعريفات هو "علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام"[348].

انتهى الإمام الأشعري في نهاية عمره إلى العقيدة السنية وبذلك كما لم يكفر أحدا كما صار عليه متأخريه حيث قال: اختلف المسلمون عشرة أصناف " وذكرهم على التوالي: " الشيع والخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرها فقال: " لا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله – سبحانه – ينزلهم حيث شاء، ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم"[349]

وذكره السبكي في طبقاته للشافعية فقال: "فلم يُبدع رأيا، ولم ينشئ مذهبا، وإنما قرر كما يُرى له ما عليه السلف، مناضل عما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم "[350] وذلك ما أثبته أيضا ابن عساكر صاحب كتاب تبيين كذب المفتري حيث قال: "... ولسنا نُسَلِّم أن أبا الحسن اخترع مذهباً خامساً، وإنما أقام من مذاهب أهل السنة ما صار عند المبتدعة دارساً، وأوضح من أقوال من تقدمه من الأربعة وغيرهم ما غدا ملتبساً، وجدد من معالم الشريعة ما أصبح بتكذيب من اعتدى منطمساً."[351].

وكما تبين فإن الأشاعرة على قسمين من حيث مناهجهم، فالقسم الأول ممن تبع الأشعري في كتاب الإبانة وقد بينا وضعهم بين علماء السنة، أم الصف الثاني فهم الذين تبعوا الأشعري في بداية عهده من اعتزال ثم طوروا النصوص في ذلك فصاروا وسطا بين معتقدات السنة ومعتقدات أهل الكلام، وقد بدأ هذا

---

[346] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 179/6، 604، 567

[347] التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام 1/ 12 (دار المعارف النعمانية 1981)

[348] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، حمد صديق المنشاوي (دار الفضيلة، دت) ص 162.

[349] الأشعري، مقالات الاسلاميين ص 228.

[350] تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، تحقيق، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو،365/3، ط2(دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع 1413ه)

[351] ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3 (بيروت: دار الكتاب العربي 1404) ص 362

العهد في القرن الخامس على ما وضعه وكتبه الباقلاني[352] ، ثم تطورت قواعده الأصولية مع متأخري الأشاعرة في القرن السابع الهجري مع الفخر الرازي (606هـ) والآمدي (631 هـ) والآرموي (682 هـ) وانتشر في الشام ومصر، ثم الأيجي الذي نظم أصول الرازي في كتابه المواقف، وبلغ المذهب درجة التعصب مع ابن السبكي[353]

ويرتبط المجاز اللغوي لدى المتأخرة بالنصوص ارتباطا خاصا بعد أن كانت سياقاته الدلالية تشير إلى ما لا تحتاج كثير بحث لدلالاتها إذ تباعد الزمان بعاداته بين المتأخرين والسلف فاحتاجوا الى استقراء، ما لم يتداركوه، وذلك ما كان يحتاجه متتبعي الإثر.

ومن أبرز العقل حكما في النصوص ليستدرك الفائت وأطلق العنان دون قواعد يبني عليها مما أوقعه في اشكالات متعددة، وفرق متناحرة، لا سيما وقد انتقل الاشعري من بيئته ومضى على ما هم عليه أكثر حياته، ثم تبين له أن العقل النصي تمييزا عن عقلانية المنطق، لم تشبع فضول الاستفهام لتفسير ما وضعه العقل، فانطلق باحثا عن السنة وتدارك منها ليصحح ما أقام عليه بداية عهده، ومن ثم برز كإمام للسنة لكون تلك البيئات في الرد على المتكلمة احتاج إلى مثله في الرد، وترجع شهرته إلى انكفاء أهل السنة على ما ينفع من علوم، ويحفظ منها، رافضين علوم العقل لكونها مضيعة دون فائدة، فانبرى الاشعري ليسد تلك الفجوة فأخذ موقعه بين أهل السنة لدافعها عن معتقداتها بمناهج الآخر.

والمتبين لكتاب الإبانة يرى أن الأشعري كالإمام الشوكاني كلاهما انتقل عن سياق بيئة الثقافية والقائمة على العقل الى إلى معتقدات السنة، لذا لم يخلو كل منهما من مؤثرات ما كان عليه قبل التحول، فشكلوا منهجا جديدا لا يقوم بعضه دون قراءة وتحقيق، ولا يستغنى به عن النقد والمراجعة، غير أن متأخري الأشاعرة حاكموا الأشعري بما سبق من مؤلفاته واحتكموا إليه على ما فسره ابن فورك وأورده عنه، بمنهج الانتقاء وليس على منهج التلقي والاستقاء، ولهذا يطلق على بعض الألفاظ مجازا لتجوز النص إلى خلاف ما وضع له كقوله تعالى: "بل مكر الليل والنهار" وغيرها من الآيات التي تشير إلى المجاز[354] وهذه لغة العرب التي كانت في أشعارها وفي خطاباتها وحوارها.

ولذا يقول ابن فورك والأظهر من مذهبه أن الأصل هو الحقيقة في الأقوال، وأن المجاز توسع، وأن المجاز يعرف بدليل السماع والعقل أو الحال المقترن[355] مستدلا بقول الأشعري في بداية عهده في تفسير مسألة الوجه لله تعالى بقوله: "وحيث قد استحال المعنى الحقيقي فليكن المعنى المجازي الذي يناسب عظمة

---

[352] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الاستقامة، تحقيق، محمد رشاد سالم، ط2 (جامعة الإمام محمد بن سعود 1411-1991) ص105، ابن عساكر/ وتبيين كذب المفتري، ص 410.

[353] تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو 6، 426/4 (فيصل البابي الحلبي 1383-1964)، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو،134/6 (فيصل البابي الحلبي 1383-1964)

[354] محمد بن الحسن بن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري تحقيق، أحمد عبد الرحيم السايح، ط1(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية 2005) ص 24

[355] نفسه، ص 25

الله وهو المقصود[356]. ومع أنهم يقولون بالنص ولم يردوه كغيرهم إلا أنهم أخذوا منه بالتأويل به لصرف الحقيقة المنصوصة بمجاز خارج عن الأصل، دون ارتباط بنصوص أخرى تخرجه أو تثبته على ما هو عليه وضعه، ومن هنا جاء التصنيف بين الفرقة النافية والمثبتة.

ولذلك فإن الإمام الأشعري لم يقابل نصوص الوحي بأي إنكار أو تأويل تعسفي في آخر عهده، كما أنه لم يسرف في التأويل العقلي، ولم يوسع دائرته من غير ضرورة، بل ظل مرتبطا بالنص الشرعي يحاول فهمه في ضوء نصوص أخرى، وباعتماد شواهد لغوية وضوابط شرعية كما تبين ذلك في كتابه الإبانة، ويستطرد في تفسير منهجه "لأن التأويل خلاف الأصل ولا يعدل عن الأصل إلا بدليل، وأن القرآن العزيز على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة تصرفه عنها" [357]، لم تكن مثل هذه الآيات: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[358] ، وقوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)[359] (فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ[360]﴾ تثير أي إشكال في عقول العرب المؤمنين به والمعاندين له، بينما توسع الخلاف مع تنوع البيئات والثقافة وخصوصا في مناطق مصر والشام والعراق.

وهي المناطق التي برزت فيها الثقافات والعقائد القديمة، وما فرضه ذلك من جدل حول الصفات الإلهية. فظهرت بذلك المقالات المتناقضة. ويصف الإمام أبو حنيفة النعمان تلك البيئات بقوله:" أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه، إن هذا معطل وذاك مشبه، وإن لهما رأيين خبيثين "[361]، وزعم بعضهم أن الله سبحانه وتعالى جسم، وأنه جثّة على صورة إنسان له لحم ودم وشعر وعظم، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين، وهو– مع هذا – لا يشبه غيره ولا يشبهه" ثم قال: "لأنا لم نشاهد شيئا موسوما بالسمع والبصر والعقل والعلم والحياة والقدرة إلا ما كان لحما ودما"[362] .

أما وبالغوا في التنزيه واعتقدوا "أن الصفات هي أعراض لا تقام إلا بجسم ، فمن أثبت الصفات أثبت الجسمية وصار مجسما " [363] وحملهم على ذلك اعتقادهم أن تعدد الصفات يستلزم تعدد القدماء "، ومن ثم قالوا باستحالة وجود إلهين قديمين أزليين ومن أثبت معنى وصفة قديمة، فقد أثبت إلهين"[364]، وأنكروا صفات الله تعالى، وذهبوا إلى "أن الله تعالى عالم بدون أن يتصف بشيء اسمه العلم، وقادر بدون أن تسند إليه صفة القدرة، فالله عندهم عالم بالذات بلا علم، قادر بالذات بلا قدرة، سميع بالذات بلا سمع، حيث قالوا إن القديم ذات واحدة قديمة، ولا يجوز إثبات ذوات قديمة؛ " أفصح بذلك رجل يعرف بابن الأيادي كان

---

[356] أبو الحسن الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، مراجعة، حمود غرابة (مطبعة مصر 1955) ص9

[357] أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود (القاهرة: دار الأنصار، 1397) ص40.

[358] سورة طه الآية 5.

[359] سورة الرحمن الآية 26 – 27.

[360] سورة النحل الآية 26.

[361] سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام دار السلام، ط1 (القاهرة: دار المعارف 2008) ص380

[362] أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تفسير مقاتل بن سليمان، تح عبد الله محمود شحاته،5/ 33، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث 1423)

[363] سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ص 303

[364] الشهرستاني، الملل والنحل، 41/1 .

ينتحل قولهم فزعم أن الباري سبحانه عالمٌ قادرٌ سميعٌ بصيرٌ في المجاز لا في الحقيقة. ثم ساق أقوالهم واختلافهم في نفي الصفات."[365]

وحينها كان الاشعري في سجالاتته يرد عليهم بمناهجهم الكلامية، "لو كان لم يزل حيًا غير قادر لوجب أن يكون لم يزل عاجزًا موصوفًا بضد القدرة ولو كان عجزه قديمًا لاستحال أن يقدر وأن تحدث الأفعال منه. وكذلك لو كان لم يزل حيًا غير سميع ولا بصير لكان لم يزل موصوفًا بضد السمع من الصمم والآفات وبضد البصر من العمى والآفات، ومحال جواز الآفات على الباري لأنها من سمات الحديث" [366].

ويرى أن الصفات أزلية قائمة بالذات الإلهية، وأنه لا يؤدي إلى الوقوع في القول بتعدد القدماء مادامت الصفات الإلهية الأزلية ليست ذواتًا قائمة بنفسها وإنما هي صفات لما قامت به، أي معانٍ للذات الإلهية قائمة بها وليست ذواتًا غيرها لأن معنى" الغيرية جواز مفارقة أحد الشيئين للآخر علي وجه من الوجوه " [367].

ونفى تشبيه الإله بغيره من المخلوقات فـ"الباري سبحانه لا يشبه المخلوقات. لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحدث حكمها"[368] و" أن صفات الله لا ينبغي أن يقال إنها هي أو غيره، ولا هي هو ولا هي غيره، ولا إنها موافقة ولا إنها مخالفة ولا إنها تباينه ولا إنها تلازمه أو تتصل به أو تنفصل عنه، أو تشبهه أو لا تشبهه؛ ولكن يقال: إنها صفات له موجودة به، قائمة بذاته مختصة به"[369]، ومن هذه الاختلالات المتناقضة انكار صفة العلو لله تعالى، ثم يجد نفسه في إزاء مقارنة عقلية إلى أن الله عندما خسف بقارون الأرض رفع الله محمدا إلى قاب قوسين أو أدنى، وهذه من إشكالات المسائل الفلسفية التي تتناقض مسائلهم الجزئية مع الأصول التي يبنوا عليها[370].

أما مسائل خلق الأفعال فقد بنيت على حوادث الفتن في الصدر الأول بين علي ومعاوية والثوار وعثمان وعائشة وعلي في موقعة الجمل، وتبين لهم أن الإشكال بدأ في تعليل وتفسير ذلك بين فرقاء يدخلون الجنة.

فذهب البعض إلى أن الإنسان خالق لأفعاله، وأخذوا بشواهد واستدلالات قرآنية وانزلوها كما هي دون اعتبارات لما يفسرها من القرآن أما فيما من لغة، أو سياقات التنزيل كقوله تعالى (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[371] و(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)[372]، وذهب فريق آخر إلى أن الإنسان خالق أفعاله والله لا يخلق الضر ويحاسب عليه إذا كان منه لما

---

[365] أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، 1/ 363، (المكتبة العصرية 1411-1990)

[366] أبو الحسن الأشعري، اللمع ص 26

[367] المرجع السابق، ص 28

[368] الاشعري، اللمع، ص 20

[369] سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ص 386.

[370] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 248/1، ط1 (دار الفكر 1401 – 1981)

[371] سورة البقرة الاية 7:

[372] سورة الاعراف الاية: 188

أقام الحساب والعقاب واستدلوا بقوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا)[373]. (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)[374]. (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)[375].

وقد سبق ورد الأشعر على ذه الشبهة متأثرا بما ذهب إليه الإمام الشافعي فقال: «وندين لله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون. وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون"[376]. و" لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال –عز وجل–: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}[377] "وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله" [378]

فالله خالق للأفعال وخالق كل شيء ولم يجعلها جبرا بل اختيارا ليحاسب على الاختيار وهو مناطق تكليف العقل، فالله خلق النار وهي شر وخير، وكذلك الافعال خلقها بقدرته ولم يجبر الناس عليها بل حذر منها وانزل نصوصا خاطب به العقل، ولم يأمر بها، والله خلق الكفر ولم يرضه لعباده وإلا ما كان في الدنيا تمييز بين جمال المتناقضات المتكاملات.

وقد ذكر الإمام الأشعري في كتابه «اللمع" أن الكسب: "هو أن الفعل يقع من العبد بقوة محدثة "[379]؛ فالله خلق قدرة الإنسان وقوته عند مباشرة الفعل وبعلم الله، وجعل للفرد أن يختار منها بمحض إرادته، فالقدرة مخلوق والنص مناطق التكليف والعقل وسط بينهما، فلم يأمر الله ولم يترك المرء دون بيان لذلك أعطاه القدرة وليس الفعلة مع أن خالق كل شيء، وفي علمه الفعل، ولم يأمر به. وبالإجمال فإن الأصل الذي بني عليه مذهب الأشاعرة العقل حيث انتقلوا به من نقد الأصول السياسية للفتنة الكبرى وما بعدها إلى أصول الاعتقاد.

ومن خلال هذه الوقفة المنتقاة من الوضع الأشعري نجد أن الاشاعرة الجدد قد خالفوا منهج المؤسس لهذا المعتقد وأخذو بمؤلفاته التي تبرأ منها وخلعها كما يخلع قميصه، وقدموا العقل وابتدعوا نصوصا تتعارض معها ووقعوا في إشكالات عقلية متعددة لم يجدوا لها جوابا، ولهذا لم تخلوا كتبهم من تناقضات العقل الفلسفي التي سادت عند فلاسفة الغرب والشرق. وقد جاء عن البعض "وغاية الأمر أن العقل قد يعجز عن تصوره. أما أن يحكم باستحالته فغير وارد" [380].

ومن أدلتهم الباطلة دليل الحدوث والقدم " وهو الاستدلال على وجود الله بأن الكون حادث وكل حادث فلابد له من محدث قديم، وأخص صفات هذا القديم مخالفته للحوادث وعدم حلولها فيه ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس جوهراً ولا عرضاً ولا جسماً ولا في جهة ولا مكان.." ثم ترتب عليها أصولا عقلية خرجوا بها

---

[373] سورة فصلت الاية:46

[374] سورة المدثر الاية :38

[375] سورة يونس الاية: 108

[376] الاشعري، اللمع، ص، 98

[377]التكوير الآية : 29

[378] فورك، مقالات الإسلاميين ص 226

[379] الاشعري، اللمع، ص، 40

[380] الباقلاني، الانصاف، ص55، ابن تيمية، مجموع الفتاوي 27/7، شرح الأصفهانية، ص 49

عن الأصل إلى إنكار الصفات الإلهية كالرضا والغضب والاستواء بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم ونفي الجوهرية والعرضية والجهة والجسمية.. ولو أنهم قالوا الكون مخلوق وكل مخلوق لابد له من خالق لكان أيسر وأخصر مع أنه ليس الدليل الوحيد ولكنهم تعمدوا موافقة الفلاسفة حتى في ألفاظهم" وأخذهم بكلمة حادث مخالفا للمعنى (مخلوق) لتبعا في منهجهم للفلسفة ومحل إثارة النزاع، ولا يستدل بالدعوى على نفسها في نظرهم، وسلكوا مسلك الفلاسفة في قولهم إن الكون قديم ولا نسلم أنه حادث، ومع أنهم وضعوا مذهبهم للرد على الفلاسفة إلا أنهم جعلوها منهجهم[381].

وتوصلوا إلى عدم اعتدادهم بأحاديث الأحاد ويقولون بظنيتها أما المتواترة فيأخذونها بالتأويل لذلك لا يقولون بالفطرة التي جاءت بالسنة، وأولو نصوصها الموجودة في القرآن فيقولون "أن من آمن بالله بغير طريق النظر فإنما هو مقلد ورجح بعضهم كفره واكتفى بعضهم بتعصيته" وقد خالفهم الحافظ بن حجر لأن القول في ذلك مدعاة لتكفير العامة من الناس الذي يؤمنون بالفطرة ولا قدرة لهم على النظر، كما أن فيه تكفير للصدر الأول من الصحابة والتابعين[382]. و"أولوا كل آية أو حديث ورد في زيادة الإيمان ونقصانه أو وصف بعض شعبه بأنها إيمان أو من الإيمان [383]

وزعم الرازي «أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها؟ ثم قال: وأعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة: إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال. وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال. وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وذلك باطل؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وظهور المعجزات على محمد صلى الله عليه وسلم، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهماً غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة.

فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل، ثم ختم استدلاله بالقول؛ ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية – القاطعة أن هذه الدلائل النقلية غير صحيحة ولذلك كان التأويل للنصوص بدلا من ردها والقول في عدم صحتها لكونه يتناقض الرد

---

[381] حمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، شرح العقيدة الاصفهانية، تحقيق، إبراهيم سعيداي أبو عبد الله، ط1 (مكتبة الرشد 1415-1995) ص4، ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 2/7-23

[382] سيف الدين الآمدي، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق، حسن محمود عبد اللطيف (القاهرة، لجنة إحياء التراث 1391-1971) ص149، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية 1425) ص90، ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل 7/ 8-9 ، الباقلاني، الانصاف، ص 22، عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الايجي، المواقف في علم الكلام (بيروت: عالم الكتب، دت) ص32-33، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، كتاب أصول الدين، ط1 (استنابول: مطبعة الدولة 1928) ص254- 255، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 3/ 361،357، ط1 (دار الكتب السلفية، دت)، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 3/ 361،357، ط1 (دار الكتب السلفية، دت)

[383] الباقلاني، الانصاف، ص55، الآمدي، غاية المرام، ص 311، الايجي، المواقف، ص 384

مع مقتضى الإيمان، ومن ثم برز منهجا جديدا للأشاعرة إلى جانب العقل، بل هو مصدر اشعاع العقل عند المتصوفة وهو ما ذهب إليه الإمام الغزالي والحامي في اعتبار الكشف والذوق مصدرا للتلقي، من ثم تصحح الأحاديث وتضعف بهذه المناهج الفلسفية المستحدثة؛ كحديث إسلام أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهما الجنة بزعمهم، ويسمون هذا " العلم اللدني على قاعدة الصوفية "حدثني قلبي عن ربي" [384].

وأيضا كلامهم الاستطاعة، والحاصل أنهم خرجوا عن المنقول والمعقول[385]، وقد تأثر الغزالي بالتفسيرات القرمطية الفارسية للوحي حيث قال أن الوحي هو انتقاش العلم الفائض من العقل الكلي في العقل الجزئي[386] ويتقاربون في هذه الرؤية مع الباطنية في التفسير بل إن الباطنية أقوى حجة منهم في ذلك[387].

وإن كان هذا المذهب يتناقض مع مقدمي العقل على النص، والذي جعل بعضهم القول بالنص دون العقل متناقض مع مقتضيات الإيمان. فقال السنوسي: "من زعم أن الطريق بدأ إلى معرفة الحق الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما فالرد عليه أن حجيتهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضا فقد وقعت فيهما ظواهر – يقصد ظاهر الكتاب والسنة –من اعتقدها على ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع" ويقول أيضا: "أصول الكفر ستة.. قال في خامسها: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية".[388] وبذلك كانوا ثالث أكثر الطوائف تكفيرا لغيرهم بعد الخوارج والشيعة.

ويرجع سبب تأصيلاتهم الباطلة إلى عدم إدراكهم معاني التعارض بين المشيئة والحكمة، أو المشيئة والرحمة، ولذلك لم يثبتوا الحكمة مع الصفات السبع واكتفوا بإثبات الإرادة مع أن الحكمة تقتضي الإرادة والعلم وزيادة[389].

وفي مسائل العصمة ينكرون صدور الذنب عن الأنبياء ويؤولون الآيات والأحاديث كالحال في تأويلات الصفات[390]، ويزعمون أن الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل فإلغاء دور العقل بالمرة أسلم من نسبة القبح إلى الشرع كقولهم في ذبح الحيوان إيلام له بلا ذنب وهو قبيح في العقل ومع ذلك أباحه الشرع،

---

[384] ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل،1/ 168– 173، الإمام الجويني، الشامل في أصول الدين، تحقيق، علي سامي النشار وآخرون (الاسكندرية، المعارف 1969) ص561، الآيجي، المواقف، ص39–40

أصول الدين للبغدادي: 12، كبرى اليقينيات: محمد سعيد رمضان البوطي الاهداء،32–33، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الرسالة اللدنية، (كردستان العلمية 1328) 33_55

[385] الباقلاني، الانصاف، ص45–46، الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص 77، الايجي، المواقف، ص311

[386] – الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص461، الايجي، المواقف، ص359–361، الآمدي، غاية المرام، ص318

[387] أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، كتاب الحدود في الأصول: الحدود والموضوعات، تعليق، محمد السليماني ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999) ص 97 وما بعد، القاضي أبو بكر الطيب الباقلاني البصري، الإنصاف في يجب اعتقاده ولا يجب الجهل به، تحقيق، محمد زاهد الحسن الكوثري (الكتبة الأزهرية للتراث 1421–2000) ص 56، 165، أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (179/1) (القاهرة: دار الشعب، دت) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: مجموع الفتاوى، 398/5،(وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية: مجمع الملك فهد للطباعة 1425–2004)، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: مجموع الفتاوى، 397،580/6 (وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية: مجمع الملك فهد للطباعة 1425–2004)

[388]– أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، ص80

[389] الايجي، المواقف، ص331، ابن تيمية، مجموع الفتاوي: 299/16، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية أبو عبد الله، شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل (القاهرة: دار التراث) ص391 –521، حمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، 128/1، ط1 (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1406 – 1986)

[390] الشهرستاني، نهاية الأقدام، ص 370، الآمدي، غاية المرام 234، الايجي، المواقف، ص 323

يضاهئون البراهمة الذين يحرمون أكل الحيوان فيذلك وللتخلص من ذلك ألغو حكم العقل في هذه المسألة من أصلها' وقد ترتب على أصلهم الفاسد هذا قولهم بأن الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل، فإلغاء دور العقل تماماً أسلم من نسبة القبح إلى الشرع، ولابن القيم –رحمه الله تعالى–رد على الأشاعرة في مسألة التحسين والتقبيح في كتابه مفتاح دار السعادة وقد وساق آيات كثيرة كلها تدل على إثبات الحسن والقبح عقلاً[391]، كما تتوافق مناهجهم العقلية مع فلاسفة الفكر اليوناني في أكثر مسائل الاعتقاد أو البحث في الغيابيات[392].

وقد ذكر ابن تيمية في رده على المناطقة التفريق بين مناطقة المسلمين ومناطقة اليونان " والخطأ فيما تقوله المتفلسفة في الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع أعظم من خطأ المتكلمين. وأما فيما يقولونه في العلوم الطبيعية والرياضية فقد يكون صواب المتفلسفة أكثر من صواب من رد عليهم من أهل الكلام، فإن أكثر أهل الكلام في هذه الأمور بلا علم ولا عقل ولا شرع" [393].

خاتمة:

نشأت المعتقدات الأشعرية في بدايتها على الأصول العقلية والفلسفية وذلك بالنظر إلى مؤسسها ابن كلاب ثم تطورها مع الإمام الأشعري –الذي كان بدأ حياته في على مذهب الاعتزال–في كثير من سجالاته، وكانت هذه النشأة الأولى لأهم أعلام الطائفة، وهناك محطة أخرى كان قد شكلها الحسن الأشعري في المرحلة الأخيرة التي كتب فبها كتابه الإبانة بعد أن تبرأ من كتبه التي دونت من قبل على مذاهب المعتزة وأصحاب الكلام، وبنى منهجه على الأصول من الكتاب والسنة.

ومن ثم افترق تابعيه إلى قسمين وبالغ البعض للدفاع عن معتقداته التي تبرأ منها إلى إنكار كتاب الإبانة ونسبته إليه والبعض زعم أنه قد دلس فيه وصحف على غير ما كتبه، بينما أقرت فرقة أخرى ما ورد عنه.

ثم تطور المذهب على يد الباقلاني والرازي والآمدي ابتداء من القرن الخامس وحتى القرن السابع ووضع له أصوله مما يعني أنه ليس من المذاهب الاعتقادية القديمة إذا أخذنا ببراءة الأشعري مما تبرأ منه.

وقد أقر أهل السنة ما في كتاب الإبانة بينما اعتبروا الانتساب الى الأشعرية بدعة ومن الفرق المسلمة الداخلة في الثلاث والسبعين فرقة، وفي المقابل كان المذهب الأشعري يأخذ بمواقف متشددة في التكفير للمخالفين، وكل من لا يستقي إيمانه بالنظر والاعتبار، مما يجعل العوام في دائرة الكفر.

وقد استموا بالتعصب وذلك لتعدد مناهجهم بين أصول العقل والفلسفة، وأصول الكشف والذوق التصوفي أو ما يسمى علم الباطن، وتقييد النص بالعقل ورد الأحاديث الأحاد، وتأويلهم للنصوص في القرآن والأحاديث المتواترة بما يوافق فلسفتهم ومن ثمة دخلوا في تناقضات بلغت حد إنكار أصول العقل في بعض المعتقدات، كما ما أقروها من معتقدات أثبتوا خلافهم في تصنيفاتهم، وعلى ذلك يمكن القول أنهم على صنفين عند

---

[391] ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ناصر بن سليمان السعوي وآخرون، 1/230–236 (دار الصميعي للنشر والتوزيع 1432 – 201)، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ناصر بن سليمان السعوي وآخرون، 3/488–492 دار الصميعي للنشر والتوزيع 1432 – 201)

[392] أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، شرح أم البراهين، تحقيق، خالد زهري (بيروت: دار الكتب العلمية) ص 11، 80–81

[393] ابن تيمية، الرد على المنطقيين (باكستان: ار ترجمان السنة 1976) ص 311.

علماء أهل السنة، من كان على كتاب الإبانة فهو من أهل السنة، ومن كان على ما ذهب إليه الرازي في أصوله فهم من المسلمين الداخلين ضمن عموم الفرق السبعينية وليس من الطائفة الناجية.

ويشير التاريخ أن ارتباطهم بالبيئات والثقافات الاجتماعية والسياسية جعل مذهبهم مطاوعا للمذاهب السياسية كغيرها من المذاهب وهذا ما أشار إليه الواقع في اجتماع الماتريدية والاشعرية في أواسط أسيا وإخراج أهل السلفية وأهل السنة.

ويمكن الاشارة إلى مستوياتهم في اختلاف فمنهم الصوفية السياسية والصوفية الاجتماعية والتيارات السياسية التي تؤمن بالثورة والخروج على الأئمة وتأخذ بما أخذ به العز بن عبد السلام وغيره من الأئمة الذين أجازوا الخروج السياسي على الحاكم الظالم، كما انقسموا بين فريق يتبنى سياسة اصلاح النظام من داخله، وفريق آثر الاعتزال والابتعاد من السلطان، وفريق ثالث أخذ بمبدأ الأمر بالمعروف وحتى الثورة والخروج على الحاكم حال القدرة عليه.

المصادر والمراجع

1. ابن الحاج، حاشية أبي عبد الله محمد الطالب بن سيدي حمدون على مبارة (دار الفكر 2003)
2. ابن تيمية، الرد على المنطقيين (باكستان: ار ترجمان السنة 1976)
3. ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق، محمد رشاد سالم، 16/2 (جامعة الإمام محمد بن سعود 1411-1991)
4. ابن سعد، الطبقات الكبير، 2/ 344، تحقيق، علي محمد عمر، ط1 (مكتبة الخانجي 1421-2001)
5. ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3 (بيروت: دار الكتاب العربي 1404)
6. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ناصر بن سليمان السعوي وآخرون، 230/1-236 (دار الصميعي للنشر والتوزيع 1432-2001)
7. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ناصر بن سليمان السعوي وآخرون، 488/3-492 دار الصميعي للنشر والتوزيع 1432 - 201)
8. أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود (القاهرة: دار الأنصار، 1397)
9. أبو الحسن الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، مراجعة، حمود غرابة (مطبعة مصر 1955)

10. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، 1/ 363، (المكتبة العصرية 1411-1990)
11. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تفسير مقاتل بن سليمان، تح عبد الله محمود شحاته،5/ 33، ط1 (بيروت: دار إحياء التراث 1423)
12. أبو الحسين محمد بن القاضي ابي يعلى الفراء الحنبلي، كتاب الاعتقاد، تحقيق، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط1 (الرياض: دار أطلس الخضراء 1423-2002)
13. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، تحقيق، أحمد فريد المزيدي، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية 1425)
14. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق، محمد سيد الكيلاني، ط2 (مؤسسة الحلبي 1395-1975)
15. أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس، رسالة الذب عنب ابي موسى الاشعري (حيدر أباد: دار المعارف العثمانية 1367-1948)
16. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تبين كذب المفتري بما نسب إلى الإمام الحسن الأشعري (دمشق الشام: مطبعة التوفيق 1347)
17. أبو بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 284/3، تحقيق، إحسان عباس (بيروت: دار صادر، دت)
18. أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، كتاب الحدود في الأصول: الحدود والموضوعات، تعليق، محمد السليماني ط1 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999)
19. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (179/1) (القاهرة: دار الشعب، دت)
20. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الرسالة اللدنية، (كردستان العلمية 1328) 33_55
21. أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، شرح أم البراهين، تحقيق، خالد زهري (بيروت: دار الكتب العلمية
22. أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، تحقيق، عثمان محمد عثمان، 117/2، 96 (إدارة الطباعة المنيرية، دت)
23. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: مجموع الفتاوى، 398/5 (وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية: مجمع الملك فهد للطباعة 1425-2004)
24. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: مجموع الفتاوى، 397،580/6 (وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية: مجمع الملك فهد للطباعة 1425-2004)
25. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الاستقامة، تحقيق، محمد رشاد سالم، ط2 (جامعة الإمام محمد بن سعود 1411-1991)

26. أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، شرح العقيدة الاصفهانية، تحقيق، إبراهيم سعيداي أبو عبد الله، ط1 (مكتبة الرشد 1415-1995)
27. أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، 128/1، ط1 (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1406 – 1986)
28. أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي الدين، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، 141/1-163،142(وازرة الدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد للطباعة 1426)
29. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 3/ 357،361، ط1 (دار الكتب السلفية، دت)
30. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 347/13-358، ط1 (دار الكتب السلفية، دت)
31. أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، 284/3-286(بيروت: دار صادر 1972)
32. أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط1 (الرياض: دار الصميعي 1417-1996)
33. إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، 101/15 (بيروت: دار صادر 1410-1990)
34. أصول الدين للبغدادي: 254- 255،
35. الإمام أبو الحسن بني علي بن إسماعيل الاشعري، الإبانة في أصول الديانة، تحقيق، أبو عبد الإله الدكتور صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي التميمي، ط1 (الرياض: مدار المسلم للنشر 2011)
36. الإمام الجويني، الشامل في أصول الدين، تحقيق، علي سامي النشار وآخرون (الاسكندرية، المعارف 1969)
37. تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو 426/4 .
38. تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو،134/6 (فيصل البابي الحلبي 1383-1964)
39. تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، تحقيق، محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو،365/3، ط2(دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع 1413ه).
40. التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام 1/ 12 (دار المعارف النعمانية 1981)

41. سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام دار السلام، ط1 (القاهرة: دار المعارف 2008)
42. سيف الدين الآمدي، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق، حسن محمود عبد اللطيف (القاهرة، لجنة إحياء التراث 1391-1971)
43. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، 11/ 392 (القاهرة: دار الحديث-2006)
44. عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الايجي، المواقف في علم الكلام (بيروت: عالم الكتب، دت)
45. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، حمد صديق المنشاوي (دار الفضيلة، دت)
46. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، 248/1، ط1 (دار الفكر 1401 – 1981)
47. القاضي أبو بكر الطيب الباقلاني البصري، الإنصاف في يجب اعتقاده ولا يجب الجهل به، تحقيق، محمد زاهد الحسن الكوثري (الكتبة الأزهرية للتراث 1421-2000)
48. محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية أبو عبد الله، شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل (القاهرة: دار التراث)
49. محمد بن الحسن بن فورك، مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري تحقيق، أحمد عبد الرحيم السايح، ط1(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية 2005)

اليمن بين دول التحالف العربي وصراع المكونات المحلية

د. جمال محمد محمد

مقدمة:

توجد الكثير من التساؤلات حول طبيعة التحالف العربي ودوره وأهدافه والتي تدرجها بعض مراكز البحوث ضمن دول التداعي العربي، في إطار التداعي العالمي لمنطقة الشرق الأوسط التي أحاطت بها الدول الإقليمية وتكالبت عليها تكالب القصعة على أكلتها، بينما يذهب البعض إلى القول بصراع النفوذ والمصالح بين القوى الإقليمية الكبرى على دول ما بعد الثورات ومن ضمنها اليمن، ولذلك تحاول الدراسة قراءة نتائج التدخل والمعوق ودورهما وانعكاساتها الماثلة والمتوقعة على أمن اليمن واستقراره كجزء من منطقة تتأثر بها منطقة الجزيرة العربية على حد سواء، حيث تشرف اليمن على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر، وتتموضع في العمق الاستراتيجي لمنطقة القرن الإفريقي ودول الخليج العربي، كما تتمركز في العمق الديمغرافي والحضاري لمنطقة شبه الجزيرة العربية وحتى الشام، ويأتي التساؤل حول مفهوم الدور والغاية لدول التحالف العربي ودور القوى المحلية المرتبطة بأبعاد الدور الإقليمي. هل هناك علاقة طردية بين الأزمات الإنسانية والثقافية وأبعاد الدور الإقليمي والمحلي، وما انعكاسات ذلك على أمن واستقرار اليمن، ومنطقة الجزيرة العربية.

تمهيد:

أراد الأمير محمد بن سلمان أن يؤسس تنظيما للأمن التنسيقي بضم 35 دولة في إطار التحالف الإسلامي ممهدا لاستقلال السعودية في إطار التكامل الإسلامي لحماية أمن المملكة من التنظيمات الإرهابية ومواجهة النفوذ الإيراني[394] ولم تنجح دبلوماسية التنسيق مع باكستان التي لا تحبذ إعادة نفس التحالف الذي ساد لمواجهة الشيوعية، ولم تطور السعودية العلاقة مع باكستان إثر تفكك الاتحاد السوفيتي وتحرير أفغانستان من الشيوعية كما لم يكن لها برنامجا لإعمار وإعادة سيادة الدولة ومؤسساتها خلال فترات السلم، مما جعلها هيئ المنطقة للصراعات القبلية التي رأت من الحروب تجارة رائجة، وخصوصا استمرار تدفق رأس المال الاجتماعي من العالم الإسلامي.

---

[394]– براين مايكل جيكينز، تحالف بقيادة السعودية لمكافحة الارهاب، منظور تحليلي (راندا 2016) ص1

كما أن مشروع التحالف الذي قدمه بن سلمان وجد استدراجا قبل الإعلان وتخليا بعده، كما لاقى الرفض الأمريكي التي رأت من المبادرة تخليا عن الحماية الأمريكية.

ونظرا لسيادة النفط في المعاملات الدبلوماسية بين دول الخليج وغياب الثوابت المحددة للعلاقات بين الدول العربية كأحد منتجات التباين العقائدي والتاريخي والثقافي والنفسي لصناع قرار الدول العربية والإسلامية والتنافس بينهما على سيادة المنطقة كالتنافس الذي كان بين صدام وإيران والذي ترتب عليه إدخال جغرافية النفط في صراع من الأزمات التي تتسع يوما بعد يوم.

وأيضا فشلت نظرية الأمن الجماعي للتحالف العربي، وتلتها ضعف نظرية الدفاع الجماعي لدول مجلس التعاون الخليجي نتيجة لغياب القيم الكلية التي تجمعها لصالح البعد العقائدي البراجماتي المشحون بالأزمات التاريخية والجغرافية والقبلية ونتيجة لارتباط بعض قرارات دول الخليج العربي لمراكز البحوث التابعة لإدارات أجنبية، وهي تؤصل لتفكيك عرى ووحدة مجلس التعاون بأبعاد إسلامية على غرار تلك الأبعاد الأيدلوجية للقوميات العربية التي أوجدت الصراع الأيدلوجي بين سوريا والعراق على القيم البعثية لمؤسسها ميشيل عفلق.

ألغى الصراع على القيم الوافدة ثقافة الدبلوماسية الناعمة بانحياز سوريا العربية إلى إيران لمواجهة العراق خلال الحرب الخليجية، وترتب على ذلك التحالف سقوط العراق والشام في أزمات اجتماعية متصاعدة غيرت خارطة العالم واستقطبت التدخلات الإقليمية والدولية خلال أزمات الربيع العربي، كما أن تحالف دول مجلس التعاون العربي بين مصر، والعراق، والأردن واليمن تحول إلى أزمة عربية أخرى ذهبت ضحيته الكويت وأصل لاستقرار القواعد العسكرية الأمريكية والغربية في المنطقة.

كل تلك الأحداث أثرت سلبا على الذهنية السياسية الخليجية التي رأت من القوى الإقليمية المحيطة أكثر تهديد من القوى الدولية التي تتقاسم معها المصالح غالبا، وترتب على ذلك انحياز الدويلات الخليجية إلى نظام الحماية الثنائية خارج إطار وحدتها الإقليمية عدا اليمن التي تنتمي لنفس الإقليم.

كل تلك المعوقات حالت أمام الأمير السعودي الشاب الذي بدأ في سياسة جديدة مشابهة لجده الملك عبد العزيز آل سعود ووجد نفس الظروف التي أعاقت مشروع إقامة الوحدة الإسلامية فالعربية التي دعا إليها مؤسس الدولة السعودية الثانية، وفرضت عليها مهادنة القوى الدولية للخروج من أزمة الصراعات والطموحات المحلية التي ارتبطت بأنظمة الحماية مع القوى الدولية قبل أن يدخل في علاقات مع بريطانيا العظمى واستطاعت حماية جزيرة العرب من أي وجود أجنبي، أو ذلك الوجود العسكري الذي دعا إليه الشريف حسن شريف مكة.

أما تلك الدول التي أعلن عنها الأمير محمد بن سلمان فقد وافقت على التحالف ضمن مستوياته الإسلامي والعربي مما حدا به لإعلان عاصفة الحزم وبعد ذلك تخلت أكثر الدول عنه تدريجيا لكون ذلك لم يتوافق مع مصالحها الوطنية ولارتباطها بمصالح أمريكية، وهذا يعكس طبيعة التقلبات البرجماتية لأنظمة الشرق الأوسط، وما كان ليتم التحالف بعيدا عن مباركة الولايات المتحدة سيدة النظام العالمي التي فاجأها الإعلان الأحادي أو قد يكون تظاهرت بالمفاجئة وهي التي تدير العالم وأجهزتها في مواقعها العسكرية تحيط بمنطقة الشرق الأوسط وتتمركز في كل دولة من دوله بحرا وبرا، ويعتبر هذا التحالف وليد للتحالف الذي كان في

أفغانستان بين العالم الإسلامي بقيادة المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة ومن خلفها حلف شمال الأطلسي، ويندرك التحالف العربي في عاصمة الحزم تحت قيادة السعودية والامارات العربية المتحدة.

خشي الأمريكان من سياسة السعودية الإسلامية مع طفرة النفط أن يهدد وجودها في المنطقة ومن ثم وضعت استراتيجية مستقبلية لا عادة توظيف الإسلام مع الملوك، لتفريغ قوة الإسلام من حيويته باستغلال مركزية السعودية الدينية وتأثيرها على العالم الإسلامي، ومن ثم أوجدت العديد من بؤر التوتر لتعطيل دور الإسلام بمقومات النفط وإبعاد السعودية عن محيطها الجغرافي وعالمها الإسلامي[395]، وسيكون ذلك في إطار تصيد أخطاء السعودية وأحاديتها في جزيرة العرب وممارسة الضغوط عليها مستقبلا.

وفي إشارة تاريخية لطبيعة النظام السعودي فإن الملك عبد العزيز آل سعود يعد أول سياسي عربي تبنى فكرة العروبة عرقا ولسانا، وطبق سياسة عدم الانحياز ونادى بالوحدة العربية.[396]؛ وقد تعرقل مشروعه بصراع التعدد العقائدي في المنطقة، وبين النظم القبلية وطموحاتها المشيخية وصراعها على النفوذ والسيادة، إضافة إلى طموح مكة بقيادة الشريف حسين في الحلول مكان العثمانيين في قيادة الجغرافية الإسلامية، وقد رفض الشريف حسين وإمام اليمن حميد الدين وأمير الكويت وحائل الاستجابة لرسائل الملك عبد العزيز الداعية لبناء قوة عربية تقوم على التحالف بين المكونات لمواجهة التهديدات الأوربية بقيادة بريطانيا واستغلال الفرصة للتخلص من السلطنة العثمانية دون الوقوف إلى أحد أطرف الصراع[397].

كانت التجربة التاريخية التي شهدتها بريطانيا مع عبد العزيز هي التي دفعت أمريكا من جديد لإعادة نظام الحماية مع السعودية ودعمها بالسلاح لمواجهة الإرهاب ومواجهة الحوثية، بعد أن رأت خطر التمدد الإيراني في المنطقة وتمركز الحوثيين على باب المندب والساحل الشمالي والأهم من ذلك تفكيك عرى المنطقة واخماد صوت الأمير الداعية لإعادة بناء القوة والاعتماد على الوحدة العقائدية، حيث سعت السعودية لدعم الشرعية ومواجهة التنظيمات التابعة لإيران وخشيتها أن تتحول منطقة اليمن إلى بؤرة للتشيع كما كانت بؤرة للشيوعية التي واجهها الملك فيصل وكادت تؤثر على أمن المنطقة واستقرارها. ومن ثم فإن هذه التباينات المحلية والإقليمية والدولية هي التي تحدد لنا طبيعة النظام الدولي والطبيعة المحلية والإقليمية.

استطاعت إيران تكريس البعد العقائدي والتاريخي والحضاري في علاقتها بالتنظيمات الموالية والنظم السياسية المتناقضة مع السياسة الخليجية، وارتكزت على موروث سياسي ثقافي حضاري استطاعت به غزو منطقة الخليج واليمن عقائديا، وكذلك في ارتباطها المتأرجح مع قطر وعلاقتها التاريخية مع مسقط، بالإضافة إلى سيطرتها على مناطق الطوق الشام والعراق وارتباط الفصائل الفلسطينية بأبعادها العسكرية والسياسية في المنطقة، وقد ساعدها على الحضور والتأثير في المنطقة تباين أدوار أبو ظبي والرياض في التعامل مع الأطراف اليمنية، أو تلك المكونات التي وجدت من التدخل الخليجي فرصة لاستثمار الحروب

---

[395]– علاء طاهر، العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة، ط1 (باريس: مركز الدراسات العربي الأوربي 1998) ص564–567

[396]– محي الدين القابسي، المصحف والسيف مجموعة خطابات وكلمات ومذكرات وأحاديث جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مؤسسة المملكة العربية السعودية، ط4 (الرياض: دار الصحراء 2004) ص162

[397]– أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، مج2، ج6 (بيروت: مؤسسة عبد الحفيظ البساط، دت) ص1195

على معاناة الشعب وذلك للحصول على الدعم على غرار قبائل أفغانستان سابقا مما يهيئ اليمن لمناطق نفوذ متعددة.

لم يبق من خيار للرياض سوى القوة الصلبة في اليمن، ولم تشاركها سوى الدول التي تعاني اضطراب الشرعية وترتبط معها ماديا أو تخشى قوى ثورية كامنة تسعى لمواجهته بالدعم الخليجي.

ولهذا تراجعت المغرب وركزت مصر على أمنها القومي في باب المندب وتغلبت البرجماتية على المبادئ الثابتة وكذلك شاركت بعض دول الخليج بقوى رمزية في ضل غياب رؤية موحدة حول مفهوم الأمن الشامل والتكامل الإقليمي والتعاون بين وحدات الإقليم، وللعامل الأمريكي الدور الأبرز في هذا التناقض بين الإعلان والتراجع، كما أن توظيف السعودية للنفط في العلاقات الدولية أفقدها المنطق السياسي.

في ظل هذا التأرجح بين إرادات الدول وتباين أهدافها ارتبطت أطراف اليمن المتصارعة بقوى خارجية، وأصبحت هذه الأطراف معوقا لإرادة السلطة الشرعية التي لاقت قبولا إقليميا ودوليا كما واجهة السلطة تحديا إقليميا ودوليا.

تلك التناقضات كانت على مستوى المكونات الإقليمية والتكوينات المحلية ليس على مستوى الانقلاب المرتبط أيدلوجيا بإيران، وإنما الانفصال الذي شاركه في الارتباط والمظلومية. إضافة إلى أن بروز دور القبائل والاقطاعيات العسكرية في علاقة مستقلة خارج إطار الشرعية مع القوى الإقليمية شكل معوقا لأمن واستقرار اليمن كما تشكلت تنظيمات عقائدية ارتبطت أيضا بالمكون الخارجي وتغلبت نفسية الأنا على فكرة الدولة الواحدة والحقوق المتساوية.

أولا: أزمة بناء الدولة والنظام السياسي

حدد "أيستون" طبيعة النظام السياسي بالشبكة الإدارية المعقدة التي تجمع بين التفاعل والعلاقة والأدوار اللواتي يشكلن منظومة القيم المحلية للدولة[398] وبما أن اليمن يتكون من إرادات حزبية نفعية مستقلة وإقطاعيات تقليدية جهوية ومشيخية ارتبطت البرجماتية بهذه التكوينات، وهو ما شكل عقلية المؤامرة والصراع والتنافس، فتارة تكون مع السلطة المركزية أو تنتقل أيضا لمعارضتها لعدة أسباب منها صناعة الشخصية الشعبية الأسطورية المعارضة للسلطة أو لابتزازها، وقد كانت العاطفة الدينية أهم أدوات التعبئة للمواطنين ويليها بالدرجة نفسها التقاليد القبلية والعوامل المادية والأمية التي تكرس في نفسية الفرد الجهل والتطرف وادعاء الحقيقة المطلقة.

لا سيما وأن دخل المواطن اليمني يقل عن مستوى دخل المواطن الخليجي أربعين مرة[399] كما بلغت نسبة الأمية وفقا لإحصائيات اليونيسيف والأمم المتحدة 64% بين 2007-2011، من 40-50% في مناطق

---

[398] – David East the political system , An inquiry into the state of political sciences(new York, Alfred knpof1953)P8-9

[399] – – جيني هيل، جيرد نونمان، اليمن والمملكة العربية السعودية ودول الخليج" سياسات النخب واحتجاجات الشارع والدبلوماسية، برنامج الشرق الأوسط وشمال افريقيا مايو 2011 (مذكرة إحاطة، 1/ 2011) ص1

التمدد الحوثي[400] إضافة إلى تشبع الشعب بأساطير الزير سالم والهلالي والصعاليك وغيرها من الأساطير الشعبية التي تسيطر على الثقافة العامة. ولذلك منهجت السلطة ثقافة الأمية التي وصلت إلى تعز عاصمة اليمن الثقافية أمام افتقار المؤسسات التعليمية للمنهج المبني على أصول علمية يمنحها القدرة على البناء في ظل سيطرة الثقافة القبلية والتنظيمات الحزبية.

إضافة إلى أن الإعالة كانت من أهم أسباب قسوة اليمني في التعامل مع الحياة الاقتصادية، حيث بلغت نسبة القوى العاملة32% في2013م ونموها 4.6%، والبطالة .25.3% وبذلك تقدر العمالة المستغلة بـ6.7% وترتفع نسبة إعالة الأطفال إلى 53% و3.5% من الشيوخ فإذا أضفنا البطالة إليها تصل النسبة إلى 81.8% بحصيلة 1:12 ويسكن الريف 75% وتقدر بطالته بـ 95% في الوقت الذي يسطر القطاع الخاص على قطاع الزراعة والتجارة والفنادق والمطاعم[401] وبلغ عدد السكان تحت خط الفقر50% وفقا لتقديرات الأمم المتحدة[402] كل ذلك ساهم في استغلال الاقطاع المكون من العسكر والقبيلة والنفوذ السياسي الديني ضمن دائرة الثالوث المقدس استغلال الأمية؛ فالصراع الأهلي عند "جيمس" عادة ما يقاس بدخل الفرد[403].

كما تميز اليمنيون بتغليب ولاء العقيدة على الوطن مما جعل اليمن منطقة جذب للمعتقدات والأيدولوجيات الوافدة التي كانت بالنسبة لليمني فوق اعتبارات الأمن القومي والنزعات البيولوجية المرتبطة بالتاريخ القديم، وقد حكمت الزيدية اليمن في المرتفعات الشمالية بصبغتها البيروقراطية المركزية في الفترة بين القرنين 17-19م حيث تنتشر في المناطق الشمالية[404] والصوفية في جنوبها لارتباطهما بمذهب آل البيت.

وعندما انتصرت الجمهورية تحولت الدولة إلى الاقطاعيات القبلية وبعد حرب 1990م نشأت الاقطاعيات العسكرية بينما تحكمت السلطنات التقليدية الفقيرة على الجنوب حتى الاستعمار البريطاني الذي أسهم في تكوين طبقة العمال في عدن بأيدلوجية يسارية زعزعت النسيج الاجتماعي التقليدي في الجزيرة العربية[405]. ولهذا كان البعد العقدي يؤدلج الصراع الزيدي الشافعي بصبغة سياسية وثورية.

ويقدر الشيعة بـ 28% والطائفة الإسماعيلية 5% ويقدر المذهب الجعفري بـ2% وهي ننفس مناطق التواجد للطائفتين السابقتين إضافة إلى مناطق التصوف في الحديدة وتعز[406] وهو من المذاهب المتطورة عن الجارودية أحد فرق الزيدية الغلاة.

---

[400]- أمل عالم، النفوذ الايراني في اليمن الأدوات، الواقع، المستقبل، مندى العلاقات الدولية، 23 إبريل 2015، http://fairforum.org/research

[401]- علي محمد النصيري، ملخص عن تقرير الجمهورية اليمنية حول العمل غير المهيكل (اليمن: وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل لقطاع علاقات العمل2014) ص568

[402]- وضع التنمية البشرية في اليمن، الجلسة العلنية السادسة (27/ 3/ 2013) http://www.ndc.ye/ndcdoc/develope_in_Yemen.pdf

[403]- داورتي جيمس، بالستغراف روبرت، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، ط1 (الكويت: كاظمة ديسمبر 1985) ص231

[404]- أمل عالم، مرجع سابق

[405]- جيني هيل، مرجع سابق، ص7

[406]- مركز الابحاث العقائدية، الشيعة في اليمن، http://www.aqaed.com/shia/world/_yemen/

وأي من المذاهب قد تبدو صغيرة العدد كالطائفة الإسماعيلية ولكنها تستطيع في ظل امتلاكها الثروة وانتشار الأمية والفقر والثقافة القبلية الانتهازية أن تنتشر سريعا في اليمن فقد حكمت الإسماعيلية باسم الدولة الصليحية حتى مكة كما حكمت الدولة الرسولية الصوفية والدولة الزيادية وغيرها من الدويلات داخل اليمن التي تعكس طبيعة المكون اليمني من الداخل وعلاقته بالتدخل الخارجي.

ولذلك لم تكن الجعفرية وليدة الصدفة فقد ظهرت خلال التسعينات ضمن تعدد الهويات المناطقية والعقائدية والنفعية التي حالت دون هوية واحدة أدت إلى الحروب الأهلية ومعها توسعت النزعة الراديكالية التي توسعت مع ثورة الربيع العربي وترتب عليها فشل الحوار الوطني، وفقد المواطنون الثقة بأية عمليات سياسية أو حكومة مركزية وافتقرت اليمن لقيادة قادرة على جمع الشتات ومع الثورة انتقلت السلطة من رئيس لعب على التوازنات المحلية إلى رئيس بشرعية دولية ليس له سلطة فعلية[407]

تشكل الثالوث المتكون من العسكر، والتمذهب السياسي، والقبيلة في إطار النظام الجمهوري لمواجهة الملكية الإقطاع الأكبر ومن ثم نشأت عدة اقطاعيات متنوعة ومع الوحدة وظهور الحزب الاشتراكي منافسا شرسا لتلك القوى في إطار دعوته لسيادة الدولة والنظام والمواطنة المتساوية ودمج تلك القيم في إطار الاشتراكية الإسلامية ولم يكن مدركا عقلية الثالوث المتميز بقدرته على اختراق مؤسسات الدولة وتفجيرها من داخلها لا سيما أن السلطة بيد المكونات الفاعلة. وقد استطاع الاشتراكي أن يتقدم بمدافعته عن الكادحين وكاد أن يسيطر على المناطق الشافعية المهمشة خلال فترة صالح وبعضا من المناطق الزيدية، وحينها دمج صالح الأفغان العرب وزعماء القبائل لتشكيل النخب الجديدة للنظام والقائمة على تقاسم نفوذ السلطة[408].

ثم تقاسم مع حلفاءه الأدوار لمواجهته وبدأ باختراق معسكرات الجنوب وتفكيكها ونقلها لتكون طعمة بين القبائل وعسكر الشمال، وسيطر حليفه الإصلاح على مؤسسات التعليم والمؤسسات الدينية والرأي العالم والمجاهدين لمواجهة الاشتراكية، ومارست القبلية سياسة التهميش العنصري لمواطني الجنوب، ومن ثم سرحت موظفي الجنوب من المؤسسات السيادية وتشكلت مع الثالوث ثقافة التكفير والتمييز العنصري خلال فترة التنافس الديمقراطي تخللها اغتيالات لأعضاء الحزب الاشتراكي مما دفع هذا نحو الانفصال وهو نفس التسرع الذي أعلن به الوحدة مما أعطى الفرصة للثالوث في تشريع ثقافة النفير والحرب والفيء.

بعد القضاء على الحزب الاشتراكي أعلن النظام سياسة الخصخصة لمؤسسات الدولة العامة وتقاسم النفوذ، وخصصوا المؤسسات الخدمية والاستثمارية واستبدلوها بمؤسسات ينقصها الأهلية والفاعلية[409]. ومن ثم أصبح الاستبداد القبلي والحزبي يمارس نفوذا جهويا بنفس العقلية الاستبدادية للنظام السياسي.

---

[407]– الكسندر مترسكي، الحرب الأهلية في اليمن: صراع معقد وآفاق متباينة، تقيم حاله، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات (الدوحة: سبتمبر 2015) ص2

[408]– روبرت موغا، تقيم العنف السياسي في اليمن، تقرير، ع2 (بحوث مسح الأسلحة الصغيرة مايو 2010) ص2–3

[409]– المؤسسات هي صندوق التنمية الاجتماعية وصدوق الرعاية الاجتماعية ومشروع الاشغال العامة وبنك الأمل للقرض الأصغر وبرنامج مكافحة الفقر والبطالة والمؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية انظر: على النصيري، مرجع سابق، ص560–561

انتهك صالح حقوق الانسان في حربه على الحوثيين والجنوبيين بعد حرب الانفصال كما استخدم العنف ضد المحتجين السلميين الذي أدانه مجلس الأمن الدولي في21 اكتوبر 2011[410] ولم تنشأ تلك الحركات إلا ببيئة مهمشة وجدت اقصاءا عنصريا من السلطة المتمركزة على نفوذ الأسرة الحاكمة التي تنادي بقيم الديمقراطية والحرية والمساواة.

وبذلك تنوعت الهويات داخل إطار الدولة وارتبط قانون الدولة بقوى النفوذ الجهوي التي تطرفت في تهميش الجنوب والمنطقة الوسطى، ومعه سيطر الثالوث على موارد الدولة وجزرها وموانيها بالإضافة إلى ممارسة التجارة بقوة النفوذ السياسي بل واستثمارها في مشاريع التجزئة وسيطرت على عقارات الدولة ووزاراتها وبنوكها واستفادت من الإعفاءات الضريبية مما أدى الى القضاء على التجار والطبقة الوسطى كما مارست قبائل الشمال سياسة التهميش للقبائل الجنوبية ومن ثم أعادت الثورة تلك التشكيلات القبلية بنفس عقلية القبيلة في الشمال. وبهذه المكونات الثالوثية تشكلت النفسية اليمنية العاطفية وغابت عنها الحكمة اليمانية.

وقد بدأ الصراع بين تلك المكونات في 2000م ومن تجزئت الاقطاعيات بين تشكيلات قديمة وأخرى جديدة وتعددت القوى الطائفية منها الحوثية والسلفية الأم وحزب الرشاد السلفي وتنظيم الدولة والقاعدة وفي الجنوب الحراك الجنوبي المطالب بالانفصال ثم القوى القبلية المهمشة المؤيدة للإخوان المسلمين[411]

وتخلله ضعف الولاء للدولة وانتشار التنظيمات الإرهابية وسوق الأسلحة بالجملة والتجزئة وانتشار 60 مليون قطعة سلاح بين المواطنين دون ذكر للأسلحة المهربة[412] ولهذا ولدت النزعات الاستقلالية كالحراك التهامي والحضرمي والجنوبي والفيدراليات الجهوية من جهة والصراع على السلطة من جهة أخرى. ونظرا لغياب العدالة تجددت الحروب الأهلية التي بدأت خلال 1962-1970 بين الملكية والجمهورية والانقلاب في عدن 1986، ثم حرب الانفصال 1998 والمواجهة بين قبائل مأرب وقوات أمن الدولة 2004 والحروب الستة في صعدة 2007 والحراك الجنوبي السلمي الذي أصبح مسلحا في 2009[413]

ووفقا (لتقرير البنك الدولي2014) أن إيرادات مشتقات النفط المخصصة لصالح الفقراء يذهب منها 77% لأصحاب النفوذ أن دعم هذه المشتقات النفطية بـ 2 مليار يذهب هدرا وأن ممارسة القبائل تدمير أنابيب النفط والغاز كلف اليمن بما يعادل 94% من العجز المالي للثلاث السنوات الماضية[414]

ربط "بوزان" بين أمن العلاقات الدولية وقدرة الدول على حفظ تماسكها الوظيفي ووحداتها المحلية ضد قوى التغيير المعادية والمتدخلة في شؤونها[415] ومن الطبيعي عند مارسيل أن الدول المرتبطة بأنظمة استبدادية تختلق النزاع مع الآخر، وأن ثقافة المكون العقائدي والتاريخي يتعارض مع عقلانية إدارة العلاقات

---

[410]-الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان، اليمن تكريس الإفلات من العقاب وتهديد عملية انتقال السلطة (كانون الأول 2011) ص5-7

[411]- سماء الهمداني وآخرون، ادوار اللاعبين المحليين في الحروب الدائرة في اليمن، ورقة سياسات، ع1 (يوليو 2015) ص4

[412]- روبرت ناعوم، مرجع سابق، ص6-7

[413]- إريك روبنسون وآخرون، ما هي العوامل التي تدفع الأفراد في اليمن إلى رفض التطرف العنيف في اليمن؟ تقرير مقدم لوزارة الدفاع الأمريكية، (كاليفورنيا: مؤسسة راندا 2017) ص6

[414]- خلدون صالح سالم محمد، الثقوب السوداء في الاقتصاد اليمني وتحدياته في 2015، الجهاز التنفيذي لتسريع استيعاب تعهدات المانحين ودعم سياسات الإصلاحات (صنعاء: وزارة التخطيط 2015) ص91-93

[415]-Barry Busan people states and fear: An agenda for international security studies in the post-cold war era (London :Agusut 1982) p20

الدولية[416] وبناء على ذلك فإن غياب السلطة المركزية وتعدد القوى المحلية له انعكاس سلبي أمن العلاقات الدولية مع دول الإقليم التي ارتبطت بمكوناتها نظرا لغياب صفة الدولة ومن ثم كانت دول الخليج تتعامل مع اليمن كواقع لم تستطع تغيره في ظل تعدد النفوذ وفساد نظام صنعاء.

وغيرت السعودية سياستها في 2010 بعد أن رأت أن ارتباطها بشيوخ القبائل لم يعد مفيدا فتعاملت مع اليمن كقضية داخلية وأرسلت خالد بن سلطان لقيادة العمليات الجوية في صعدة لاعتقادها بنفوذ إيران على الحوثيين والحراك الجنوبي وقدمت دعمها لصالح الذي وظفه في الصراع ضد خصومه[417]

حيث خشيت السعودية من تمدد إيران من العراق إلى اليمن سعيها للتوثب على الواقع السياسي تمهيدا للانتقال الى طاولة المفاوضات[418] لا سيما في ظل تطور قدرات الحوثيين الصاروخية[419].

أما أمريكا فقد ضاعفت من تمويل الجيش بزيادة 12 ضعفا عام 2010 معدل 170 مليون دولار وقدمت بريطانيا 300 ألف جنيه وبلغ عدد العاملين في الدفاع الأمريكي 27 فردا منهم 26 أمريكا ويمني واحد كما ضمت الوكالة الأمريكية للتنمية 17 منهم 13 أمريكيا[420] ودعمها مشروط بمواجهة القاعدة والتيارات الإسلامية والتي استخدمها لمواجهة الثورة ومن ثم لصالح الحوثي. حيث وظفت أمريكا جماعة الحوثي وسهلت تمددهم باتجاه عمران والسيطرة على صنعاء لإضعاف الإخوان باعتبارهم حاضنة لتنظيم القاعدة وتغير موقفها حينما أراد الحوثيون السيطرة على عدن في فبراير 2015[421]. وقد أدركت السعودية التلاعب الأمريكي حول استخدام صالح للحوثية كمصدر لتهديد المملكة والذي بها تلقى الدعم الخليجي. خصوصا بعد أن رحيل عبد الله لأحمر رجل السعودية المناهض للسلطة[422] وصانع الرئيس في السلطة.

عاش صالح ردحا من الزمن على شعب استنزف ثقافته وموارده ودمج بعضه في الجندية مقابل 50 دولار واستخدم البعض في عمليات واغتيالات بالإرهاب وباسم محاربة الإرهاب الذي كان يختلقه لمغازلة المجتمع الدولي. ومنذ قيام الثورة 2011 في اليمن سعت دول مجلس التعاون بجهودها الدبلوماسية والاقتصادية لضمان استقرار اليمن وسعى صالح الذي عرقل سلطة الرئيس بدعمه للحوثي الذي تمكن من السيطرة على صنعاء وحتى تعز وكذلك مطار عدن والمدن الكبرى في الجنوب[423] وعرقل أحمد صالح قائد الحرس

---

[416]– مارسيل ميرل، سيسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة، حسن نافة، ط1 (القاهرة: دار المستقبل العربي 1986) ص2

[417]– تشتام هاوس وآخرون، اليمن الفساد وهروب رأس المال والأسباب العالمية للصراع، تقرير برنامج الشرق الاوسط وشمال افريقيا لتشتام هاوس (منتدى اليمن: سبتمبر 2013) ص22

[418]– الكسندر مترسكي، سبتمبر ايلول 2015، الحرب الأهلية في اليمن: صراع معقد وآفاق متباينة، تقيم حاله، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات (الدوحة قطر، دت) ص6-7

[419]– علي الذهب، ميزان القوى العسكري في اليمن: التحولات والسيناريوهات، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات (26 يناير 2017) http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2017/01/

[420] تشتام هاوس، مرجع سابق، ص24

[421]–عادل عبدالقوي حاتم الشرعبي، الدور الدولي تجاه اليمن، دراسات مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة مج2، ع1 (2015) ص82

[422]– يوسف الهاجري، قصة التدخلات السعودية في الشطر الشمالي لليمن (لندن: الصفاء للنشر 1988) ص30

[423]– إريك روبنسون وآخرون، ما هي العوامل التي تدفع الأفراد في اليمن إلى رفض التطرف العنيف في اليمن؟ تقرير مقدم لوزارة الدفاع الأمريكية، (كاليفورنيا: مؤسسة راندا 2017) ص7

الخاص إصلاحات هادي العسكرية وعملية الانتقال السلمي للديمقراطية ووزع السلاح على ألوية الحرس الجمهوري وشيوخ القبائل[424]

وأخير أدرك الرئيس صالح أن الرقص على رؤوس الثعابين وتهديد الخليج بالقاعدة وإيران عبر حلفاءها تحول من أداة إلى حقيقة منذ أن استقطب في عام 2000 مدرسين عراقيين من الشيعة إلى المناطق الزيدية ثم سمح لطالبين من الطلاب المبتعثين عبر وزارة التعليم العالي بنشر المذهب الجعفري بعقلية يمنية بعيدة عن النفوذ الإيراني وبالفعل تمكن المذهب الاثني عشري من الانتشار في صنعاء والجامع الكبير والأمن السياسي ووزارة الدفاع وذلك كله لمواجهة حركة الإخوان بعد أن فشلت الزيدية والصوفية بدعم السلطة عن مواجهتها. أما الجهاديون فقد استخدموا لمواجهة الاشتراكيين وبهم اغتال سكرتير الحزب الاشتراكي الوحدوي جار الله عمر ثم أطلقهم وجعل من أمريكا فوبيا لتهديد الإسلاميين ومن الإسلاميين فوبيا لتهديد أمريكا.

ثانيا: اليمن بين أزمة الصراع والبعد الإنساني.

تمتلك اليمن 62.3 مليون هكتار صالح للزراعة يشتغل منه 19.1 مليون بطريقة عشوائية منها 10% في زراعة القات[425] وتشرف على ساحل بحري يبلغ 1906كم بيعت ثرواته إلى الشركات الصينية التي تستخدم الجرافات العشوائية في إبادة قاتلة للأحياء البحرية، كما ينتج اليمن 520 مليون متر من الغاز وفقا لتقديرات 2009 وله احتياطي يصل إلى 478.5 بليون متر مكعب طبقا لـ 2011 وقدر النفط بـ 258.800 برميل يوميا عام 2010[426].

فاليمن الذي يمتلك كل تلك الثروات إضافة إلى غيرها ليس بلدا فقيرا بقدر ما هو مستنزفا من تلك المكونات التي أدت إلى ثورة الشعب، ونتيجة لموقف اليمن السلبي في دعمها للعراق على الكويت وطرد العمالة اليمنية من السعودية فقد ترتب عليه حرب الانفصال والصراع المسلح مع السعودية ثم مع ارتيريا على جزيرة حنيش[427] وذلك كما يبدو عند "ليدل" أن الحرب ترتبط بالمكون النفسي لصانع القرار وليس لها علاقة بالاقتصاد والدين والسياسة[428].

وتشير الاحصائيات إلى وجود ما يقارب من 22 مليون يمني يعيش على المساعدات الإنسانية منذ انطلاقة عاصفة الحزم وأكثر من 8 ملايين تجتاحهم المجاعة، في أسوأ كارثة إنسانية عالمية[429] ولا يعني ذلك أن المجاعة بدأت بعاصفة الحزم فقد كانت تقتل أنفاسا في مناطق الريف وأكثرهم يعيشون على إحسان الجمعيات في عهد صالح. وما تزال اليمن في أزمة الأمن الغذائي بمعدل 6 من كل 10 وتصنف ضمن

---

[424]– مجلس الأمن، القرار لذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته 7426، المنعقدة (14 نيسان–أبريل 2015) ص9

[425]– الري في إقليم الشرق الأوسط، اليمن (اكاستا 2008) ص1

[426]– جمال محمد الهاشمي، اليمن وأبعاد الدور الأمريكي، مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة (كلية الدفاع 2010) ص18

[427]– Stephen C. Pelletiere, Yemen and Stability in the Persian Gulf: Confronting the Threats from Within, (Strategic Studies Institute May 22, 1996)p 22-26.

[428]–أبو خزام إبراهيم، الحروب وتوازن القوى: دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام، ط1 (بيروت: منشورات الأهلية 1999) ص253

[429]– رأي اليوم، الإندبندنت: طرد السعودية للعمّال اليمنيين يزيد عدد مقاتلي الحوثي (16 يونيه2018) /https://www.raialyoum.com/index.php

دول السبع التي تعاني من سوء التغذية بنسبة 48% لعام 2017[430] إضافة إلى أن السعودية وضعت برنامجا جديدا لإحلال العمالة الوطنية مكان العمالة الوافدة عام 2013م ورحلت 400 ألف يمني[431].

ومع كل تلك الظروف فقد سحبت النخب السياسية خلال فترة صالح كافة رأس المال إلى الخارج ساهم في تسهيلها علاقة الدول بتلك النخب لمواجهة الارهاب وتركيز السعودية وبريطانيا وأمريكا على القطاع الأمني وتنظيم القاعدة بدلا من سياسة الإصلاح[432]. ومع الحرب الأهلية 2011 دخلت اليمن في الأزمة ووصل نسبة المستحقين للمساعدات الإنسانية 80% وأن 14.4 مليون غير قادرين على توفير الغذاء الكافي و7.6 مليون يعانون من أزمة الأمن الغذائي الحاد وغياب الصرف الصحي والرعاية الصحية بالإضافة الى النزوح المحلي والخارجي[433].

إن هذه الاحصائيات في نظر الباحث قد وجدت معظمها في عهد نظام صالح ولم تكن الثورة إلا تعبيرا عن ألم المعاناة فاستغلته المكونات الحزبية والتنظيمية التي كانت جزء من النظام لإضفاء شرعيتها وبذلك انقسم الثالوث إلى عدة مكونات نفعية قديمة وجديدة تحمل نفس العقلية القائمة على عسكرة الارتزاق.

ولم تكن دول الخليج بما فيها السعودية من مصلحتها الأخذ بسياسة مارسيل بأن حفظ مصالحها يتطلب منها دعم التخلف وتطويره وخلق الصراع الطبقي لضمان تفعيل التدخل في العلاقات الدولية[434] كما هو موجود في ثقافة النخب اليمنية المعوقة لعجلة التقدم.

ومع هذا حاولت التعامل مع نظام صنعاء لتحسين مستوى التنمية بالإضافة أنها فتحت مجتمعاتها عبر الجمعيات الخيرية والإعالة المباشرة لمكافحة الفقر الذي كان أحد مخرجات الثالوث. وفتحت دول المجلس التبادل التجاري، فازداد عجز الميزانية على الرغم من ارتفاع الصادرات إلى دول المجلس[435] وكانت الثورة في اليمن بالنسبة لدول الخليج أزمة ومن ثم وظفت إجراءاتها لاحتواء لازمة والسيطرة عليها ومنع تحولها الى الحرب[436] ومن ثم أدركت السعودية أن تلك المكونات اليمنية التي تتسولها تارة بالولاء أو بالدفاع عن أمن المملكة ضد تنظيمات القاعدة والحوثية أو باسم الشعب غدو أباطرة منافسين لأثرياء الخليج.

---

[430]– أشارت "أوتشا" في ديسمبر 2017 إلى أن 1.8 مليون طفل، 1.1 مليون امرأة حامل يعانون من سوء التغذية المزمن ويتوقع الزيادة بمعدل 2: 5 للأطفال كما تعرضت 1.842 مدرسة للتدمير بفعل الضربات الجوية وتحويلها إلى ثكنات عسكرية للحوثيين وأن 52% من المرافق الصحية معطلة وصاحب ذلك كله انقطاع راتب الموظفين وانتشار وباء الكوليرا حيث قدر عدد المصابين مليون حالة في عام 2016 انظر: وزارة التخطيط والتعاون الدولي قطاع الدراسات والتوقعات الاقتصادية. المستجدات الاقتصادية والاجتماعية في اليمن، ع30 (ديسمبر 2017) ص8

[431]– وفي أكتوبر 2013 أنشأت المنظمة الدولية للهجرة في اليمن مكتبا على الحدود سجلت عودة 370 الف وفرت الغذاء لـ150 الف شخص والصحة لـ23 الف انظر: مايكل نيوسون، داكس روكي، هاري كوك، المهاجرون اليمنيون غير النظاميين في المملكة العربية السعودية والآثار المترتبة على عودة واسعة النطاق: تحليل لأوضاع المهاجرين اليمنيين العائدين من المملكة العربية السعودية، في الجالية العربية الوافدة في دول مجلس التعاون الخليجي، تقرير موجز لمجموعة العمل، تقرير"12" (جامعة جورجيتاون في قطر: مركز الدراسات الدولية والإقليمية 2016) ص17

[432]– تشتام هاوس، مرجع سابق، ص 20

[433]– إريك روبنسون، مرجع سابق، ص11

[434]– ميرل مارسيل، مرجع سابق، ص2

[435]– محمد عمر باطويح، أحمد سعيد بامخرمة، مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية، انضمام اليمن لاقتصاديات مجلس التعاون الخليجي في ظل المتغيرات المعاصرة "المتطلبات والتطلعات"، مج3، ع6 (جامعة حضرموت: مارس 2011) ص201–204

[436]– لوند مايكل س، منع المنازعات العنيفة، ترجمة عادل عناني، ط1 (القاهر: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية 1999) ص6

وفي عام 2011 تبين للسعودية أن صالح لم يعد عنصر استقرار لليمن ومن ثم دعمت عملية انتقال السلطة وقطعت العلاقة مع ابناء حسين الأحمر بعد أن أصبحوا ملياديرات ونافذين وهكذا أغلقت الصورة النمطية التقليدية التي لم تعد مجدية[437]

حيث استغلت النخب الحليفة للسعودية موقع اليمن لتهديد دول الجوار وإمدادات النفط بعدد 33 عاما من رواتب الخليج ومساعداتهم وجسدوا المقولة المكذوبة على عبد العزيز "احفظوا اليمن ضعيفا" في ثقافة النخبة والثقافة العامة ومع هذا جاءت المبادرة الخليجية 2011 لإنقاذ اليمن ولم شتاتها[438] ومن قبل جندت الإمارات الكثير من أبناء اليمن في شرطتها وقدمت المساعدات المستمرة في عدة مجالات[439] وأعادت بناء سد مأرب.

إلا أن موقف اليمن من حرب الخليج الثانية أدخلها في عزلة محلية وكان ذلك منها ردا على انعقاد مجلس التعاون الخليجي دون اليمنين آنذاك ومن ثم دعت اليمن الديمقراطية إلى انعقاد مجلس دول الجزيرة العربية والقرن الأفريقي[440] واستقبلت القاعدة السوفيتية في عدن لتهديد امداد النفط في البحرين الهندي والأحمر[441] كما استقبلت تنظيم المعارضة العمانية[442] ومنطلقا للعمليات العسكرية ضد نظام صنعاء الموالي للسعودية[443] كما صرح الرئيس السلال بتبعية جيزان ونجران لليمن ومنها ضرب الطيران المصري جنوب السعودية[444] ردا على موقف السعودية المؤيدة للملكية.

ومع ذلك فقد حاول مجلس التعاون الخليجي تطوير ميناء عدن في 1992 ومنح اليمن عدة مقاعد كالصحة والاقتصاد تمهيدا لدمجها التي اعاقتها تباين التركيبة الاجتماعية[445] وتعهد بدعم اليمن في 2010 بـ 3.7 مليار دولار وإنشاء صندوق تأمين اجتماعي على أن تديرها منظمات اقليمية، وقدمت قطر منح دراسية لأكثر من نصف مليون يمني وبدأت دول المجلس آليات دمج العمالة اليمنية وفتحت مكتب أمانة التعاون الخليجي في صنعاء في 2011 وحال الفساد البيروقراطي ونقص الخبرات في وزارة التخطيط اليمنية والأزمة دون ذلك[446] فتوقف دعم المانحين وانكمشت مستوى النفقات العامة إلى 34% عام 2017 وتوقف سداد

---

[437]– تشتام هاوس، ص21–24

[438]– جيني هيل، ص10

[439]– نفسه

[440]– محمد سيف حيدر، اليمن ومجلس التعاون لدول الخليج العربية: البحث والاندماج، مركز الإمارات للبحث والدراسات الاستراتيجية، دراسات، ع150، ط2 (2014) ص 11–12

[441]– جريجوري جويس، العلاقات اليمنية السعودية بين الماضي والمستقبل، ترجمة، سامية الشامي، طلعت حسن (القاهرة: مكتبة مدبولي 1993) ص17

[442]– جيني هيل، ص11

[443]– علي محمد العامري، أثر العوامل الخارجية في الحياة السياسية اليمنية، مجلة الدراسات الدولية، ع46 (جامعة بغداد: 2011) ص135–136

[444]–عمر الترابي و"آخرون"، الإخوان المسلمون في الخليج، ط4 (دبي: مركز المسبار العربي 2011) ص33

[445]– جيني هيل، ص11

[446]– السابق، ص12

فوائد الدين المحلي والدين الخارجي وارتفع الدولار بمعدل 103% والتضخم ونفاذ الاحتياط النقدي وفقا لدراسة صندوق النقد الدولي[447].

أدركت دول الخليج طبيعة الأزمة اليمنية ومكوناتها، بينما اعتبر الاستراتيجيون اليمن المهدد الرئيس لأمن منطقة الخليج[448] ومن ثم كان قرار الحرب في (17مارس 2015)[449] حيث بنى محمد بن سلمان استراتيجيته على القوة الصلبة لإخماد فتيل الثورات الطائفية المتوقعة من الداخل وتغيرت معه استراتيجية النفس الطويل التي كانت شبه سائدة مع الجيل الأول. وبدأ أن اليمن أخطر المناطق التي تهدد أمن المملكة لاحتضانها فوبيا المربع السياسي العسكري: القاعدة، الإخوان، الشيعة، الاشتراكية ومن ثم جاءت مشاركة دول التحالف متفاوتة وموزعة جغرافيا تتقدمها السعودية في مأرب وعلى الحدود والمناطق المحررة وتلتها الامارات في عدن وحضرموت وكذلك وجود قوة برية وجوية للسودان، كما شاركت قطر والكويت والبحرين بقوات رمزية وكذلك المغرب والأردن وقدمت مصر بعض القوات الجوية بينما تولت تأمين الملاحة في مضيق المندب[450]

أدى موقع اليمن الاستراتيجي في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة العربية بجزرها 112 في البحرين العربي والأحمر وخليج عدن وباب المندب[451] إلى تعدد الأطراف الإقليمية والدولية؛ فالموقع الجغرافي أحد عوامل الصراع التي به تتحدد مكانة الدولة جيبوليتكيا واقتصاديا قواعدها العسكرية والمواصلات الحيوية[452]. ولأجل ذلك أدخلت أمريكا اليمن ضمن لجنة تقصي الحقائق في القرن الافريقي لمواجهة الإرهاب وتأمين مضيق باب المندب في 2002[453] وفي عام 2012 اعتبرت الحكومة الأمريكية أن تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية يشكل تهديدا للأمن القومي أكثر من تنظيم القاعدة الأم في باكستان وبنت ذلك على تطورات منها تدمير المدمرة كول في عدن والهجوم المنظم على السفارة الامريكية في صنعاء[454].

وبعد ان استهدف الحوثيون مدمرتين امريكيتين بهجومين صاروخيين إيرانيين قبالة الساحل اليمني على البحر الأحمر[455] تأييد الرئيس هادي لضرباتها الجوية على القاعدة دعمت الرئيس هادي والحقت اليمن

---

[447]– وبما أن اليمن ليس بموصفات دولة بالمعنى الحديث فقد تراجعت الإيرادات العامة 6.60 % بسبب تقوف النفط عام 2016 ورفع الدعم عن 1.5 مليون أسرة وتوقفت برامج الحماية الاجتماعية ونفقات التشغيل للمؤسسات والمرافق الخدمية في التعليم والصحة والكهرباء ورواتب 1.25 مليون موظفا وارتفعت أسعار المواد الغذائية وارتفع التضخم التراكمي للغذاء 38.7% بينما انخفض في العالم بنسبة 4.5% بسبب نقص الواردات مما وسع من دائرة الفقر انظر: وزارة التخطيط والتعاون الدولي قطاع الدراسات والتوقعات الاقتصادية. المستجدات الاقتصادية والاجتماعية في اليمن، ع30 (ديسمبر 2017)

[448]–Stephen C. Pelletiere, *Yemen and Stability in the Persian Gulf: Confronting the Threats from* p. 2 *Within* (Carlisle Barracks: PA: Strategic Studies Institute, Army War Collage, 1996)

[449]– أحمد التلاوي، تداعيات الأزمة اليمنية على النظام السعودي، المعهد المصري للدرسات السياسية والاستراتيجية(2016/8/20) https://eipss-eg.org

[450]– أبو بكر أحمد بذياب، الفرص المتاحة: مدخل لتنشيط السياسة المصرية الخارجية تجاه الصراع في اليمن، بدائل ع23 (يوليو 2017) ص5-9

[451]– الري في إقليم الشرق الأوسط، اليمن (اكاستا 2008) ص1

[452]– كولار دانيال، العلاقات الدولية، ترجمة خضر، ط 1 (بيروت: دار الطليعة، مارس1980) ص3

[453]– جمال محمد الهاشمي، إدارة الأزمات في الاستراتيجيات الدولية، مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة (صنعاء 2010) ص1

[454]– إريك روبنسون، ص1

[455]– علي الذهب، مرجع سابق.

بإدارة الأمن الداخلي لمجلس الأمن القومي الأمريكي ويرجح أن العمليات السرية انطلقت من قاعدة سعودية وفقا لصياغة أمنية مشتركة مع جون رينان مستشار الأمن الداخلي[456].

ولذلك ربط البعض الصراع المحلي اليمني بتهديد الملاحة الدولية على البحرين العربي والاحمر وهو الذي دفع بالمجتمع الدولي لمواجهة القاعدة ثم تراجع التدخل الدولي لصالح التدخل الخليجي بقيادة السعودية[457] بعد فشل المبادرة الخليجية التي وجدت دعما دوليا[458]، وقد دعمت دول الخليج الرئيس هادي بعاصفة الحزم وقدمت السعودية والامارات اسلحة ثقيلة ومساعدات انسانيا عبر طائرات الاغاثة إلى عدن[459]. وأخذت الإمارات دورها للتصدي لتنظيم القاعدة الذين سيطرو على أبين وميناء المكلا في ابريل 2015 وحررتهما في ابريل 2016 بينما انقلب الحراك الجنوبي على تحالفه مع الشرعية واستخدم القوة لإجبار الرئيس هادي على الاستقلال في فبراير 2016[460]، وأقرت وزارة الدفاع الأمريكي تشكيل قوة عربية مشتركة للتصدي للتهديدات الأمنية بما يتوافق مع المصالح الأمريكية كما ذكر جيمس في مجلة فورون بوليسي أن غارات التحالف تجد مساندة أمريكية وهو ترجمة لقول أوباما أن واشنطن لن تتصدى للإرهاب خارج حدودها بمفردها وانما بالتعاون مع دول تعاني من الإرهاب[461].

الخاتمة.

بدأت اليمن في نظر المجتمع الدولي بلدا استراتيجيا ليس له حكومة مركزية أو هوية واحدة في ظل تعدد النفوذ القبلي والديني والعسكري، وفي ظل نظام فوضوي يغذي الصراعات المحلية لإدارتها والإدارة بها

---

[456]– تشتام هاوس، ص23

[457]– عادل الشرعبي، سابق، ص79–80

[458] تشتام هاوس، ص21–22

[459]– الكسندر مترسكي، سابق، ص3

[460]– إريك روبنسون، ص10–11

[461]– أشرف محمد كشك، مقترح تشكيل قوة عربية مشتركة للتدخل في الازمات والفرص والتحديات، دراسات، مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، مج2، ع1(2015) صً27

واستخدامها لتهديد الدول الإقليمية والمجتمع الدولي بهدف الحصول على المساعدات الإنسانية والقروض ودعم السلاح من الدول ذات المصالح في المنطقة.

ومع تعدد ثروات اليمن وغنى طبيعته إلا أن اللادولة والفوضى والعشوائية وغياب البعد الثقافي التنموي وأمية الكتابة وجهل المثقف وضعف مخرجات التعليم وعدم وجود القوى العاملة المؤهلة والمتخصصة والتعصب القبلي والطائفي وتعدد الإقطاعيات وعرقلة المشاريع الخدمية وهشاشة البنية التحتية واستنزاف نفوذ الثالوث للثروات الطبيعية والأثار والموارد البشرية وتعطيل المشاريع القائمة وإعاقة السلم الاجتماعي حال دون قيام الدولة الحقيقية كوحدة سيادية في بنية العلاقات الدولية، الدولة التي تمتلك السيادة الفعلية بقوتها الناعمة والصلبة على كافة أراضيها ومواطنيها في إطار العدالة الاجتماعية والمساواة والقانون.

ومن ثم فإن سياسة التدمير المحلي وغياب البعد الإنساني والأزمة المجتمعية وسوء التغذية والأمية وهشاشة الثقافة والمعرفة كان محصلة محلية ونتيجة لنفوذ أقلية فوضوية أو فردية منذ عهد الملكية الأولى التي كانت تقدم المعونات الاقتصادية لدول الجوار بينما ترهق رعيتها بالمكوس ويموت جوعا وقد استمرت تلك المعاناة للشعب اليمني خلال تأريخه باستثناء فترة لم تتجاوز العامين كان فيها المواطن والمتعلم وما زال تبعا للتقاليد القبلية عاجزا عن التفكير إلى بعقلية دريد بن الصمة.

ولكن حدثت فترات جففت الصراع الاجتماعي والأزمة الإنسانية منها اغتراب العمالة اليمنية في دول الخليج التي بهم تحققت نهضة عمرانية وأسسوا بنية تحتية وإن كانت ضعيفة وعشوائية للقرى والريف التي هي من اختصاص الدولة، إلا أن تلك العمالة لم تندمج بالثقافة الحضرية السعودية لهشاشتها أو اختلاطها بالعمالة الوافدة أمام قوة الثقافة اليمنية التقليدية كما أن العاملة اليمنية لم تكن من نسيج اجتماعي واحد حال دون اندماج الثقافة الأصلية للمجتمع السعودي.

وقد حالت مراكز النفوذ في اليمن دون وصول الدعم الخليجي للمواطن مما وسع دائرة الكراهية المجتمعية والطائفية والسياسية ومن الطبيعي ألا تندمج دول الخليج المستقرة مع جغرافية مهمة تتعدد فيها النفوذ ويغيب فيها الأمن والقانون وتنتشر فيها الحروب المجتمعية وما مع عاصفة الحزم وثورة الربيع والأزمات الإنسانية والمجتمعية والفوضى إلا صراعا بين النفوذ على مصالحه وظف كل قدراته لاستغلال البطالة والجهل لخدمة مشاريعه الطائفية أو السلطوية وقد أسهم في تكوين مليشيات الصراع تلك الحروب شبه اليومية في مجتمعات الريف وبعضها أو بينها والعسكر.

ومن ثم كان من الطبيعي أن تتعامل دول الخليج مع تلك المكونات التي غيبت اليمن لحفظ أمنها واستقرارها إلا أن تلك السياسة الأمنية التي اعتمدت على قبائل الحدود ساهمت في توسيع ثقافة عسكرة الارتزاق ومن لترتبط تلك القبائل في علاقات أحادية مع ليبيا والعراق ودول الخليج.

ومن جهة أخرى فقد كانت دول الخليج تدرك محاولة نظام صالح الارتباط بقوى دولية كإيران وروسيا وأثيوبيا ودخل مع دول التعاون العربي لغزو الخليج في الوقت التي تتدفق الأموال الخليجية لدعم ميزانية الدولة وقد سمح صالح لأمريكا إدارة المؤسسات العسكرية اليمنية وقد أدركت السعودية رغبة أمريكا مع بداية ثورة الربيع في بناء قاعدة عسكرية في اليمن على غرار وجودها في القرن الأفريقي ومن ثم بادرت لإنقاذ اليمن بتبني المبادرة الخليجية ومن ثم عاصفة الحزم لتحييد النفوذ الأمريكي وقطع النفوذ الإيراني. ومع هذا فقد

قدمت دول الخليج استراتيجيات ضعيفة وغير فاعلة لتقريب التباين الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والأمني، وتطوير البنية التحتية تمهيدا لنقل رأس المال الخليجي للاستثمار في اليمن.

قائمة المصادر

1. أبو بكر أحمد بذياب، الفرص المتاحة: مدخل لتنشيط السياسة المصرية الخارجية تجاه الصراع في اليمن، بدائل ع23 (يوليو 2017)
2. أبو خزام إبراهيم، الحروب وتوازن القوى: دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام، ط1 (بيروت: منشورات الأهلية 1999)
3. أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، مج2، ج6 (بيروت: مؤسسة عبد الحفيظ البساط، دت)
4. إريك روبنسون وآخرون، ما هي العوامل التي تدفع الأفراد في اليمن إلى رفض التطرف العنيف في اليمن؟ تقرير مقدم لوزارة الدفاع الأمريكية، (كاليفورنيا: مؤسسة راندا 2017)
5. إريك روبنسون وآخرون، ما هي العوامل التي تدفع الأفراد في اليمن إلى رفض التطرف العنيف في اليمن؟ تقرير مقدم لوزارة الدفاع الأمريكية، (كاليفورنيا: مؤسسة راندا 2017)
6. أشرف محمد كشك، مقترح تشكيل قوة عربية مشتركة للتدخل في الازمات والفرص والتحديات، دراسات، مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، مج2، ع1(2015)
7. براين مايكل جيكينز، تحالف بقيادة السعودية لمكافحة الارهاب، منظور تحليلي (راندا 2016)
8. تشتام هاوس وآخرون، اليمن الفساد وهروب رأس المال والأسباب العالمية للصراع، تقرير برنامج الشرق الاوسط وشمال افريقيا لتشتام هاوس (منتدى اليمن: سبتمبر 2013)
9. جريجوري جويس، العلاقات اليمنية السعودية بين الماضي والمستقبل، ترجمة، سامية الشامي، طلعت حسن (القاهرة: مكتبة مدبولي 1993)
10. جمال محمد الهاشمي، إدارة الأزمات في الاستراتيجيات الدولية، مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة (صنعاء 2010)
11. جمال محمد الهاشمي، اليمن وأبعاد الدور الأمريكي، مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة (كلية الدفاع 2010)
12. جيني هيل، جيرد نونمان، اليمن والمملكة العربية السعودية ودول الخليج" سياسات النخب واحتجاجات الشارع والدبلوماسية، برنامج الشرق الأوسط وشمال افريقيا مايو 2011 (مذكرة إحاطة، 1/ 2011)
13. خلدون صالح سالم محمد، الثقوب السوداء في الاقتصاد اليمني وتحدياته في 2015، الجهاز التنفيذي لتسريع استيعاب تعهدات المانحين ودعم سياسات الإصلاحات (صنعاء: وزارة التخطيط 2015)
14. داورتي جيمس، بالستغراف روبرت، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، ط1 (الكويت: كاظمة ديسمبر 1985)
15. روبرت موغا، تقيم العنف السياسي في اليمن، تقرير، ع2 (بحوث مسح الأسلحة الصغيرة مايو 2010)
16. الري في إقليم الشرق الأوسط، اليمن (اكاستا 2008)

17. سماء الهمداني وآخرون، ادوار اللاعبين المحليين في الحروب الدائرة في اليمن، ورقة سياسات، ع1 (يوليو 2015)
18. عادل عبد القوي حاتم الشرعبي، الدور الدولي تجاه اليمن، دراسات مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة مج2، ع1 (2015)
19. علاء طاهر، العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة، ط1 (باريس: مركز الدراسات العربي الأوربي 1998)
20. علي محمد العامري، أثر العوامل الخارجية في الحياة السياسية اليمنية، مجلة الدراسات الدولية، ع46 (جامعة بغداد: 2011)
21. علي محمد النصيري، ملخص عن تقرير الجمهورية اليمنية حول العمل غير المهيكل (اليمن: وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل لقطاع علاقات العمل2014)
22. عمر الترابي و"آخرون"، الإخوان المسلمون في الخليج، ط4 (دبي: مركز المسبار العربي 2011)
23. الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان، اليمن تكريس الإفلات من العقاب وتهديد عملية انتقال السلطة (كانون الأول 2011)
24. الكسندر مترسكي، الحرب الأهلية في اليمن: صراع معقد وآفاق متباينة، تقيم حاله، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات (الدوحة: سبتمبر 2015)
25. الكسندر مترسكي، سبتمبر ايلول 2015، الحرب الأهلية في اليمن: صراع معقد وآفاق متباينة، تقيم حاله، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات (الدوحة قطر، دت)
26. كولار دانيال، العلاقات الدولية، ترجمة خضر، ط 1 (بيروت: دار الطليعة، مارس1980)
27. لوند مايكل س، منع المنازعات العنيفة، ترجمة عادل عناني، ط1 (القاهر: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية 1999)
28. مارسيل ميرل، سيسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة، حسن نافة، ط1 (القاهرة: دار المستقبل العربي 1986)
29. مايكل نيوسون، داكس روكي، هاري كوك، المهاجرون اليمنيون غير النظاميين في المملكة العربية السعودية والآثار المترتبة على عودة واسعة النطاق: تحليل لأوضاع المهاجرين اليمنيين العائدين من المملكة العربية السعودية، في الجالية العربية الوافدة في دول مجلس التعاون الخليجي، تقرير موجز لمجموعة العمل، تقرير"12" (جامعة جورجيتاون في قطر: مركز الدراسات الدولية والإقليمية 2016)
30. مجلس الأمن، القرار لذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته 7426، المنعقدة (14 نيسان- أبريل 2015)
31. محمد سيف حيدر، اليمن ومجلس التعاون لدول الخليج العربية: البحث والاندماج، مركز الإمارات للبحث والدراسات الاستراتيجية، دراسات، ع150، ط2 (2014)

32. محمد عمر باطويح، أحمد سعيد بامخرمة، مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية، انضمام اليمن لاقتصاديات مجلس التعاون الخليجي في ظل المتغيرات المعاصرة "المتطلبات والتطلغات"، مج3، ع6 (جامعة حضرموت: مارس 2011)
33. محي الدين القابسي، المصحف والسيف مجموعة خطابات وكلمات ومذكرات وأحاديث جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مؤسسة المملكة العربية السعودية، ط4 (الرياض: دار الصحراء 2004)
34. وزارة التخطيط والتعاون الدولي قطاع الدراسات والتوقعات الاقتصادية. المستجدات الاقتصادية والاجتماعية في اليمن، ع30 (ديسمبر 2017)
35. وزارة التخطيط والتعاون الدولي قطاع الدراسات والتوقعات الاقتصادية. المستجدات الاقتصادية والاجتماعية في اليمن، ع30 (ديسمبر 2017)
36. يوسف الهاجري، قصة التدخلات السعودية في الشطر الشمالي لليمن (لندن: الصفاء للنشر 1988)

1. Barry Busan people states and fear: An agenda for international security studies in the post-cold war era (London :Agusut 1982)
2. David East the political system , An inquiry into the state of political sciences(new York, Alfred knpof1953)
3. Stephen C. Pelletiere, *Yemen and Stability in the Persian Gulf : Confronting the Threats from Within*, Strategic Studies Institute May 22, 1996)
4. Stephen C. Pelletiere, *Yemen and Stability in the Persian Gulf: Confronting the Threats from*
5. *Within* (Carlisle Barracks: PA: Strategic Studies Institute, Army War Collage, 1996)

مواقع الانترنت

1. أحمد التلاوي، تداعيات الأزمة اليمنية على النظام السعودي، المعهد المصري للدرسات السياسية والاستراتيجية(2016/8/20) https://eipss-eg.org
2. أمل عالم، النفوذ الايراني في اليمن الأدوات، الواقع، المستقبل، مندى العلاقات الدولية، 23 إبريل 2015، http://fairforum.org/research
3. رأي اليوم، الإندبندنت: طرد السعودية للعمّال اليمنيين يزيد عدد مقاتلي الحوثي (16 يونيه2018) /https://www.raialyoum.com/index.php

4. علي الذهب، ميزان القوى العسكري في اليمن: التحولات والسيناريوهات، تقارير، مركز الجزيرة للدراسات (26 يناير 2017) http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2017/01/
5. مركز الابحاث العقائدية، الشيعة في اليمن، http://www.aqaed.com/shia/world/_yemen/
6. وضع التنمية البشرية في اليمن، الجلسة العلنية السادسة (27/ 3/ 2013) http://www.ndc.ye/ndcdoc/develope_in_Yemen.pdf

اليمن وأبعاد الدور الأمريكي المتخطية للحدود القومية
"قراءة مختصرة"

د. كمال أنطاكي.

قدم هذا البحث إلى مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة–صنعاء
في شهر 2/ 2009م للباحث: جمال الشرعبي

مقدمة:

إن البحر الأحمر يمثل المكان الحيوي للدول الكبرى لا سيما بعد اكتشاف المناجم والثروات النفطية في السودان، وله أهمية استراتيجية نتيجة للصراع العربي الإسرائيلي؛ فضلا عن أهميته الجغرافية الذي يفصل إفريقيا عن أسيا، وله أهمية استراتيجية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، والقرن الإفريقي في المحيط الهندي[462]. كما يتميز البحر جيبوبولتيكيا بجزره المتناثرة؛ وبعضها تتميز بموقعها في الرقابة على الملاحة البحرية كجزر زقر وحنيش الكبرى والصغرى وبريم وقمران التابعة لليمن[463]، وتعتبر جزيرة بريم في باب المندب ذات أهمية استراتيجية بحكم موقعها الجغرافي وقربها من الساحل اليمني عند رأس الشيخ سعيد[464].

وقد مثل البحر الأحمر أهمية دينية للمماليك أهمية اقتصادية للتجارة ولما سيطروا على اليمن في عام 1250– 1517م منعوا عبور المراكب غير الإسلامية لأنها تؤدي إلى الأماكن المقدسة[465] ويمتد البحر الأحمر من باب المندب وحت قناة السويس كما يربط المحيط الهندي بينه وبين الخليج العربي، ويمر من خلاله النفط إلى الدول الصناعية الكبرى، مما جعله بؤرة للصراعات الدولية والإقليمية والتاريخية[466] وبموقعه هذا فقد كان محورا عسكريا، ورابطا استراتيجيا جديدا بين شرق المحيط الهادي وجنوب آسيا وشرقها، والشرق الأوسط وشرق أفريقيا، حيث يمر عبر المحيط الهندي الجزء الأكبر من النفط، ويخضع لرقابة القوى الدولية وحماية لنفط من التهديدات الإرهابية، وتكمن أهمية واستراتيجية المحيط الهندي بمضيق هرمز في جنوب الخليج، وباب المندب جنوب البحر الأحمر، وملقة بين ماليزيا والمحيط الهندي، ورأس الرجاء الصالح في جنوب أفريقيا.

---

462 – انطون متى، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الإيرانية (1798–1978)، ط1 (بيروت: دار الجيل 1423–1993) ص16

463 – صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي، عالم المعرفة، ع49 (الكويت، ربع اول–ربيع اخر 1402هـ –يناير 1982) ص82.

464 – المرجع نفسه،67–106

465 –محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج: في الفترة ما بين (1507–1525) (الامارات: مركز زايد للتراث والتاريخ د.ت) ص16.

466– انطون متى، مرجع سابق، ص19.

ويرى "روكو بانية" أن المحيط الهندي هو القلب الجديد للعالم لغنائه بالموارد الأولية والبشرية ومن يسيطر عليه يهيمن على السياسة الدولية، وتمثل قاعدة (دييغو غاسيا) الأهمية الكبرى للإمدادات العسكرية في المنطقة والخليج العربي، و يقول الاميرال المور زاموالت: القائد السابق للبحرية الأمريكية" إن تواجد أمريكا في المحيط الهندي يجعلها تتدخل عسكريا في أي منطقة في الشرق الأوسط؛ لضمان توازن القوى بين إسرائيل والعرب، وتستخدم لمنع حظر للنفط أو أي تهديد للمصالح الأمريكية الأوربية، وأهمية هذه المنطقة تأتي من أهميتها الاستراتيجية في السيطرة على المحيط الهادي والهندي والجزر البحرية فيهما، وقد امتدت القواعد الأمريكية من اليابان وأوكيناوا في شمال غرب المحيط الهادي حتى سنغافورة وديجو غارسيا وجزر سيشيل في المحيط الهندي، بالإضافة إلى قواعدها في كينيا والصومال ومصر وعمان[467]. كما توجد قاعدة كاجينو الأمريكية القريبة من أسمرة، ويوجد في مصوع أضخم قاعدة اتصالات أمريكية ترصد حركة المحيط الهندي وبحر العرب والخليج العربي وخليج عدن والبحر الأحمر[468].

ومنذ احتلال بريطانيا لعدن عام 1839م مدت نفوذها في الساحل الشرقي لأفريقيا لتتمكن من إمداد قواعدها في عدن والسويس بالمواد الغذائية، وتامين الساحل الصومالي من أي قوى إقليمية أو دولية، بالإضافة إلى إكمال السيطرة على المنافذ البحرية كونها من أفضل الاستراتيجيات الدولية سيطرة ونفوذا[469].

لذلك فإن البحر الأحمر بكل مميزاته الجيبوبولتيكية يرشح ليكون من أخطر مناطق الصراع الدولي، وأهم محاور التحكم الاستراتيجي بالبترول والتجارة الحرة والقوى العسكرية ما بين البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلنطي، والمحيط الهندي، والبحر الأسود، والمحيط الهادي. وبهذه الميزات ارتبطت أهمية البحر الأحمر بالقرن الأفريقي واليمن جنوبا، وقناة السويس وخليج العقبة شمالا.

ومن ثمة فإن معرفة الجغرافيا قد تكون نقمة إذا لم يكن لها نظاما سياسيا يستطيع حمايتها، بالنظر إلى معرفة موقعها في الوسيط المحيط بها، وموقعها الجغرافي وتأثيره على السياسات المكانية وعلاقاتها بالسكان وطبيعة التماسك الاجتماعي[470]. أما دراسة الداخل فيحدد طبيعة الإمدادات الداخلية ومشاريعها الخدمية، وتضاريسها المتهيئة للاستفادة من عامل الزمن ودعم جبهات القتال، وبالنسبة للتنمية فهي تعطي نوعا من استقرار الدولة خلال الحرب في استمرار خدماتها لشعبها. ويتوقف ذلك كله على دور الحكومة وأهميتها لمعرفة مقومات الدولة وكيفية استغلالها، والعمل على بناء حضارة الإنسان، أو إنسان الحضارة الذي يمتلك مقومات بقاءه دون الحاجة إلى استجداء المساعدات المشروطة، كما أن المواقع الاستراتيجية البحرية التي القارات بالمضايق والممرات المائية بالإضافة إلى خطوط إمداد النفط وقربها من الحقول النفطية، يفرض عليها الاهتمام بموقعها وإعادة بناء المؤسسات العسكرية والقوى البحرية وفقا لفلسفة الاستراتيجية البحرية عند ماهان[471].

---

[467] – انطون متى، مرجع سابق، ص22– 26.

[468] – صلاح الدين حافظ، مرجع سابق م،103.

469 – صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص61.

470 – يسرى الجواهري، الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية (مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1993) ص6– 7.

[471] الأميريال بيير سيليريه، الجغرافيا السياسية والجغرافية الاستراتيجية، ترجمة، أحمد عبد الكريم، ط1 (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1988) ص34–35

وقد سمى السياسي الجغرافي ماكندر الكل المكون من أوربا – أسيا–أفريقيا جزيرة العالم، وجعل منطقة الشرق الأوسط والجزيرة العربية من دول الارتطام[472]، ومن يستولى عليها يصبح سيدا للعالم إشارة منه إلى قوة الأرض، وقوة الارتطام، وإمكانيات تفعيلها، وتتميز اليمن تتميز بحصونها الطبيعية إضافة إلى مكانتها البحرية، وهذا ما يمنحها المناعة لمواجهة التحديات العسكرية، وتدخل ضمن محاور التهديد، باعتبارها أحد محاور الاستنزاف للغزوات الخارجية، كالجبهات التي تنظمت في المناطق الشمالية للدفاع عن مدينة عدن ضد الاستعمار البريطاني، وهذا ما يميز اليمن بحصونها الطبيعية في جزيرة العرب، وأثيوبيا في القرن الأفريقي.

وتتحدد أهمية الخليج العربي بموقعه الرابط بين أوربا واسيا وأفريقيا والمحيط الهندي وروسيا، وأهمية موقعه من عمقه الحضاري والسكاني والتاريخي ممثلة باليمن، باعتبارها أهم جغرافية المنطقة لحركة الملاحة البحرية والبرية والجوية، وأهم طرق الخليج لاستثمار وتصدير مواردها النفطية، ويرى "بيار" أن الخليج العربي بثرواته النفطية من أهم محددات العلاقات الدولية وأهم مناطق التنافس الدولي والإقليمي[473]، نظرا لهشاشة التركيب البنيوي للسكان، وهاشة البنية العسكرية وضعفها، وتعتبر اليمن العمق السكاني والحضاري والسياسي لمنطقة الجزيرة والشام والعراق، حيث أشار المؤرخ "طه" إلى ارتباط البطالسة الأغنياء في سوريا، وتجار فينيقيا باليمن وجزيرة جرعاء التي كانت محطة الترانزيت لمملكة سبأ وتتبع نفوذها في العلاقات الاقتصادية، وأن سقطرى والمدن العربية على سواحل الخليج احتكرت التجارة بين مصر والهند حتى عرفت عدن باسم "يودا يمون" بمعنى الأرض السعيدة [474].

وتسعى الدراسة لمعرفة أبعاد الدور الأمريكي وتأثيره على القرار السياسي وتأثير ذلك على أمن اليمن والمنطقة العربية، لا سيما وأن النظام السياسي يعاني من أزمة التناقض بين الولاء والقيمة، والأهداف والطموح؛ والإدارة والقانون؛ وارهاصاته التنموية، إضافة الى التنافس الإقليمي والدولي على موقع اليمن واستهدافه عقائديا، وثقافيا، وسياسيا وعسكريا.

المبحث الأول

اليمن والقرن الافريقي في التاريخ والجغرافيا.

اليمن كما ذكرها المؤرخون هي البلاد الواقعة بين خليج العجم من الشرق، وبحر العرب من الجنوب، والبحر الأحمر من الغرب، وبادية الشام والعراق من الشمال، وتضم إليها جزر فرسان غرب جيزان، وكمران غرب الصليف، ودهلك في جنوب البحر الأحمر، وزقر غرب زبيد، وبريم (ميون) وفاطمة غرب المندب، وسقطرة وكوريا موريا جنوب المهرة، وجزيرة مصيرة[475]، ويرجع الؤرخون أقدم علاقة بين اليمن وأفريقيا إلى قيام

---

[472]– Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, Foreign Affairs Vol. 21, No. 4 (New York: Council on Foreign July 1943)p 595-60

473 – انطون متى، مرجع سابق، ص16-17.

[474]– سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي (العراق: منشورات وازرة الثقافة والاعلام–دار الرشيد للنشر) ص30

475 – حسين بن علي الويسى، اليمن الكبرى "كتاب جغرافي جولوجي تاريخي"،ج1، مكتبة الارشاد ، صنعاء، د.ت، ص19-20.

مملكة اكسوم على يد ملنيك الأول من أحفاد مملكة سبأ الذي هو رأس الأسرة الحبشية المالكة والمؤسس الأول للدولة في القرن العاشر قبل الميلاد، وجاء في التاريخ الحبشي القديم أن مملكة سبا حكمت اليمن والحبشة معا، ثم تدخلت مملكة اكسوم في الصراع بين سبا وحمير، ومن ثم أصبحت اليمن أحد المواقع الجغرافية للصراع الديني بين اليمن والحبشة[476].

وانتشرت الهجرات اليمنية من أثيوبيا حتى حدود السودان في القرن الرابع قبل الميلاد، وتأسست بهم عددا من الممالك حول بحيرة تشاد غرب السودان مثل كانم وبرنو التابعة للملك سيف بن ذي يزن[477]، وساهمت الجغرافيا من استمرار التداخل بين شعب اليمن شعوب أفريقيا خلال القرنين السابع والعاشر الميلاديين[478] وقد تأسست أول إمارة عربية على الساحل الشرقي لإفريقيا في العصر الأموي وسميت "لامو" وهم من عرب الجزيرة المعارضين للسياسات الأموية[479] واستمر الانسجام والتداخل العاطفي بين شرق أفريقيا وحضرموت وعمان أيضا خلال فترات الصراع الصفوي العثماني[480] وقد مكن هذا التداخل من سيطرة الدولة الأموية والدول التابعة لها على خطوط الملاحة في البحر الأحمر.

كانت اليمن في معتقداتها الأشعرية والصوفية تمثل المركز الديني لشعوب القرن الأفريقي ومكة، بينما كانت أثيوبيا هي المركز المسيحي في القارة الأفريقية، وقد استطاع الصومال من التوسع في جغرافية أثيوبيا عام 1515م، وهو ما دفع الأخير للاستعانة بالبرتغال التي تمكنت من الساحل الصومالي وأوقفت التوغل[481] وكانت ذلك بداية التدخل الديني الأوربي في المنطقة اضافة الى العامل الاقتصادي. واعادت السلطنة العربية العمانية الصلة التاريخية بين العرب وأفريقيا وامتدت سيادتها من جنوب الحبشة حتى موزمبيق وقد جاء في تقرير واشنطن وتقارير الرحالة ادموند روبرتس: أن السلطنة العربية لديه قوة بحرية متفوقة على كل القوى البحرية من رأس الرجاء الصالح حتى اليابان، ولديه سفنا تجارية، بالإضافة إلى موارده من رسوم الجمارك وأموال الجزية والهدايا التي تبعث له في كل عام، وأن السلطان سعيد هو السيد الوحيد للمحيط الهندي، ويعلق السير توماس ارنولد: أن العرب لم يفتحوا أفريقيا بالقوة العسكرية لم، وإنما بالتجارة والأخلاق ولقطع ذلك التوغل بدأت سياسة البرتغال في السيطرة على خطوط الملاحة البحرية من خلال اتفاقيات الشراكة ثم دخلت في الصراع مع السلطنة الملاحة البحرية التي تربط عمان بحضرموت ومصر وسلطنة كجرات الإسلامية في الهند، وشجعت قراصنة البحر ومن ثم تمكنت من السيطرة على الملاحة البحرية ومصادر التجارة في ملقا الماليزية وجزر اندونيسيا، ثم قطعت التجارة مع حضرموت، وهو ما دفع التجار الحضارمة لدعم المقاومة الأسيوية للوجود البرتغالي واقامت حكم إسلامي في جزيرتي سومطرة وجاوه، حتى جاء الهولنديون بحجة تحرير العرب من البرتغال ومن ثم لم يكونوا مختلفين عنها[482]. واستطاع البرتغال

476 – صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص33–34.

477 – المرجع نفسه، ص22–34

478– صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص32.

479 – صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص 44

480 – محمد حسن العيدروس، العلاقات العربية الأفريقية، ط1 (أبو ظبي: دار المتنبي، دت) ص13.

481 – تمام همام تمام، تطور حركة الجهاد الوطني في الصومال (القاهرة: دار النهضة العربية، 1983) ص145.

482 – محمد حسن العيدروس، سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي، مرجع سابق، ص13– 16.

خلال قرنين من السيطرة؛ قطع العلاقة بين شرق إفريقيا واليمن وعمان، ثم عاد النشاط من جديد بعد خروج البرتغال وتوغل التجار اليمنيين إلى هضبة البحيرات، وأوغندة خلال القرن 18م[483]، وقد فشلت السياسة البرتغالية في إدارة مستعمراتها نتيجة للعوامل التالية:

1- الروح الصليبية وعقلية الاسترداد حيث يقول يوركا البرتغالي: إن فشلها راجع إلى عجزها في تحويل الناس إلى المسيحية.

2- استخدام القوة العسكرية وقيامها على الاقتصاد الحربي للسيطرة التجارة وفرض الضرائب وإدارة البلاد بالقمع والتهديد والإرهاب.

3- تنامي روح المقاومة العربية في البر والبحر في صورة تنظيمات قبلية ثم تحت حكم أئمة اليعاربة في جنوب اليمن.

4- تنامي العقيدة الجهادية وابتعاث التاريخ المتجدد ضمن ظاهرة التغيير للنفس وتربيتها واعادة تأهيليها لإعادة بناء الذات الانتمائية وتحقيق التحرر الوطني[484]

5- تركز الاحتلال البرتغالي على المراكز الاستراتيجية والتجارية والبحرية كهرمز ومسقط والهند.

6- ضعف الموارد البشرية حيث لم يتجاوز سكان البرتغال المليون آنذاك مع اعتمادهم على المرتزقة من الهنود الهندوس، بالإضافة إلى إقامة تحالفات مع بعض الدول والإمارات وتوظيف أبنائها كمرتزقة أو في تنظيمات عسكرية وقراصنة.

7- انتشار الرشوة والفساد في تولي مناصب الدولة العلياء.

8- الاحتكار البيروقراطي للسلع المربحة والتحيز المركزي والإداري.

9- عدم التطور الصناعي وانشغالها في احتكار الثروات.

10- وحدة علماء المسلمين وتوحيد قيادة إسلامية لتوحيد المناطق المجزئة تمثلت نموذجها في مبايعة ناصر بن مرشد اليعربي في عمان وإعلان الجهاد[485].

وبالنسبة لإسرائيل فقد أدركت أهمية موقع البحر الأحمر خلال حربها مع مصر وجبهات الشام، واستطاعت أن تسيطر على ميناء إيلات المطل على البحر الأحمر بمقدار سبعة أميال في مياه خليج العقبة؛ ليكون حلقة وصل لها بجغرافية آسيا وأفريقيا[486]، وشكلت التكامل الاستراتيجي مع أثيوبيا أحدهما شمال البحر الأحمر والأخرى تطل على جنوبه، وأخرجته عن عروبته أو اسلاميته التي كان سائدا خلال عصر المماليك والدولة العثمانية. كما تشرف القواعد الإسرائيلية في اريتريا على مضيق باب المندب من الجانب الغربي الافريقي.

---

483 – محمد حسن العيدروس، العلقات العربية الافريقية، مرجع سابق، ص13-26، 79

484 جمال محمد، القرن الافريقي في الاستراتيجية العربية، دراسة في الامن القومي اليمني تحت التأليف، ص 45.

485 – محمد حسن العيدروس، سقوط الحكم البرتغالي في الخليج، مرجع سابق27-.42

486 – صلاح الدين حافظ، مرجع سابق،81.

وبعد استيلائها على سيناء ساومت بشرم الشيخ المتحكم على مضايق تيران وخليج العقبة؛ ونجحت بالفعل في اخضاعه للرقابة الدولية، مما سهل عليها الدخول إلى مياه المحيط الهندي والبحر الأحمر تحت مظلة القوى الدولية، وكسرت الحصار العربي، وتمكنت من التواصل مع دول شرق أفريقيا، التي كانت محل اهتمام الملكية المصرية، ومنها وجهة مصر ضربتها على السفينة الإسرائيلية إيلات خلال حروب الاستنزاف، كما ضربت الناقلة كورال سي في قلب البحر الأحمر بهجوم بحري.

وهكذا تراجعت فكرة الطوق الأمني، وتطورت نظرية الأمن الاسرائيلية الاستراتيجية بالاتجاه نحو جنوب البحر الأحمر. ووضعت لها في أثيوبيا مراكز عسكرية، وقواعد بحرية في اريتريا وتمكنت من البقاء في مينائي عصب ومصوع وأرخبيل وجزر دهلك نتيجة للظروف الاقتصادية التي دفعت بإرتيريا لإحياء قوميتها الوطنية، وخروجها من جامعة الدول العربية، ودعم الطيران الإسرائيلي وتمكينه من ضرب باب المندب برا وجوا، وقد سهلت أثيوبيا لإسرائيل بناء قواعد عسكرية في جزيرتي جبل الطير وأبو عيل اليمنيتين بعد أن احتلتهما الأولى، ووضعت عليهما منارات استطلاعية واستكشافية على مضيق باب المندب[487].

وتحاول أن تفرض نفسها كقوة دولية في المنطقة لتضطلع بالدور المستقبلي في التحكم ببترول الخليج وحماية خطوط الامداد إلى السوق الأمريكي وأوروبا وآسيا، ويساعدها في ذلك علاقته البراجماتية مع أثيوبيا، وعزلتهما داخل المنظومة العربية، وتوافقهما في مواجهة الاحتواء العربي، كما أن الصراع الأثيوبي في اريتريا هو نفس الصراع الإسرائيلي في فلسطين، بالإضافة إلى قصة البيولوجيا العرقية الواحدة لكلا النظامين، وتقوم الاستراتيجية البحرية الإسرائيلية على:

1- صناعتها المتقدمة في إعداد المعدات البحرية المتطورة.

2- شراء غواصات تلاءم ضرورات الأمن الإسرائيلي في البحر الأحمر ومضيق باب المندب.

3- تطوير إمكانيات الضفادع البشرية في أعالي البحار.

4- تخصيص الطائرات الإسرائيلية بأنواعها المختلفة للعمل مع القوى البحرية الدولية للحماية والمراقبة والاستطلاع.

وتتفق أمريكا مع قرار ايمانويل الأول ملك البرتغال 1505م في القضاء على سيطرة الدول العربية على التجارة والملاحة العربية عن طريق احتلال عدن وهرمز وملقا، وتحمل القيم البروتستانتية مقارنة بالقيم التي حملها المقاتلون البرتغال على أساس السيف في يد، وفي اليد الأخرى يحملون إنجيلا، وبتلك القيمتين تمكنوا خلال القرن السادس عشر من احتلال الخليج ومضيق هرمز[488]. ولكن.. تختلف وسائل الحرب مع توافق الأهداف كما تمليه الواقعية السياسية.

وبالنسبة لأمريكا فإن الساحل اليمني من المناطق المهددة للملاحة البحرية بوجود القراصنة وكذلك التنظيمات الإرهابية لمواجهة السفن التي تحمل العلم الأمريكي، واعتبارا بحجم السفن وصعوبة حمايتها، وأن المرافق الاقتصادية الأمريكية والغربية الممتدة على الشريط الساحلي والممثلة بشركات التنقيب تعتبر من الأهداف التكتيكية للتنظيمات الإرهابية، وتشير تقارير أجهزة الأمن الإسرائيلية إن شقيق أسامه بن لادن له

---

487 – المرجع نفسه، ص94،100– 102.

488 – محمد حسن العيدروس، العلاقات العربية الافريقية، مرجع سابق، ص32.

استثمارات بحرية في مدغشقر واسيا؛ مما يثير مخاوف أمريكية إسرائيلية في أن يقدم الدعم العسكري للعمليات البحرية مستقبلا، لا سيما بعد تدمير المدمرة كول الأمريكية في خليج عدن[489].

ولذلك تركز واشنطن على السلفية وتراها الأكثر خطرا على مصالحها من الشيعة، كما أن امتداد الشيعة في المنطقة يخدم مصالحها، وفي الغالب تبنى استراتيجية الدول العظمى ذات الدور العالمي على قاعدة المصالح دون اعتبار للأيدولوجيات لضمان استمرار وجودها في المنطقة وحفظ مصالحها وتوظيف المعتقدات الدينية والطائفية والقبيلة لرعاية المصالح القومية[490].

كما أن النظم السياسية التى سقطت أثناء الحروب الصليبية تؤكد هشاشة النظم الحالية في إستراتيجيتها وسياستها في ظل تواجد المد الصليبي وبروز الدور الشيعي والتاريخ يعيد الصراع بين الأيوبيين السنة والفاطميين الشيعة، ثم الصفوية التى تحالفت مع البرتغال وكانت من أهم عوامل سقوط الإمبراطورية العثمانية. كما أن تاريخ الدويلات اليمينة يتموضع في الوعي السياسي الأمريكي والدراسات النفسية المبنية على الدراسات التاريخية والاستشرافية للمنطقة فالتاريخ يعيد سياسة الدولة السعودية مرة أخرى كما كانت من قبل مع السلطنة العربية في عمان للتدخل في حروب الانفصال والحروب في صعدة على أساس مصالحها القومية التكتيكية دون استراتيجية تقوم على استيعاب اليمن في المنطقة.

وحينما كان السلطان سعيد بن سلطان منشغلا بأوضاع سلطنته العربية الإفريقية ومواجهة المد الدولي، كانت السعودية تتوسع في جغرافية السلطنة، واستمرت فترة الحروب بينهما ثلاثين عاما.

بينما كان القواسم يهاجمون التجارة على مدخل الخليج خلال القرن 18م، وقد ساهم تهديد القواسم والسعودية للسلطنة العمانية من تقارب سعيد بن سلطان مع كل من بريطانيا وأمريكا وفرنسا، وبهذا التقارب انحسر التمدد العماني عن إفريقيا وغيب معها تاريخ العلاقة بين المنطقة العربية والقرن الافريقي.

وتوطد في عمان نظام الحماية والتعاون والشراكة مع تلك القوى، وفتحت قنصليات في زنجبار وتوجت بمعاهدة سعيد مع أمريكا عام 1833، ومع بريطانيا عام 1839، ومع فرنسا عام 1844 مما مهد للوجود الغربي في المنطقة، واسقاط السلطنة العربية الافريقية، ومن ثم ارتبطت أفريقيا بالنظام الأوربي الغربي بناء على قاعدة المصالح المشتركة للقوى الدولية[491].

وقد اندفع السلطان سعيد لمواجهة التوسع السعودي إلى الانفتاح الشامل على بريطانيا والثقة المطلقة بوعودها خلال العقد الأول من القرن19، وقد دعم بإمكانياته ثقافة التبشير المسيحي في أفريقيا والمنطقة لإثبات ولاءه المطلقة لبريطانيا، وقد تحدث المبشر المسيحي "كراميف" عن التسهيلات الذي قدمها السلطان سعيد من حراسة عسكرية ودعم مالي، والتي مكنته من التمدد في أدغال أفريقيا، وتأسيس العديد

---

489 – أشرف سليمان غربيال، الامن البحري ومشكلاته المحتملة في منطقة الشرق الاوسط، قضايا، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ع20(اغسطس 2006) ص37-39.

490– جمال محمد، اولويات السياسة الخارجية للدول العظمى بين استراتيجية العقائد وتحقيق المصالح (مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة، صنعاء) ص34.

491 – محمد حسن العيدروس، العلاقات العربية الافريقية، مرجع سابق، ص 18-27، 85-87.

من المدارس والجمعيات التبشيرية الانجليزية والفرنسية على نطاق الساحل والداخل، وبذلك أسست سلطنة عمان مبدأ الحماية لمشيخيات منطقة الخليج وسلاطين جنوب اليمن.

أما اليمن التي لا تختلف عن عمان من حيث المكون العقائدي والطبقي والسياسي فلم تتشكل فيها سلطنة وطنية إلا بالقمع والقوة أو بالتوليفات القبلية القائمة على عنصر المال، ولهذا كانت اليمن تابعة سياسيا لدولة المماليك والفاطميين والأيوبيين والرسوبيين، وفي العصر الحديث استمرت تبعيتها للدور المصري، والسعودي، والإيراني وفي لإطار التحالفات مع القوى الدولية والإقليمية دون أن تتمكن من بناء دور مستقل قادرا على المشاركة أو التأثير في المنطقة.

وهذا ما سيعيد تجارب تاريخ آسيا الوسطى في الجزيرة العربية والقرن الإفريقي للصراع المذهبي والقبلي والحزبي مما أدى إلى انعكاسات سلبية على الهوية بسبب اختلال المعايير والمقومات والمقاصد لعدة أسباب منها:

1- أن البيئة اليمنية تختلف عن البيئة الغربية في خصائصها ومقوماتها وتركيبتها الاجتماعية والدينية والاقتصادية.
2- أن الوعي اليمني ما زال متخندقا في فكر القبيلة القائم على من ليس معنا فهو علينا.
3- التمايز المناطقي والطبقي الأكثر عمقا في جينات الشعب اليمني.
4- الأنا والمصالح الشخصية والنفعية وثقافة الفيء والتجنيد الفئوي والعمالة والارتزاق.
5- غياب القانون والأمن والتنمية والإدارة.
6- النظام الاقطاعي وغياب السلطة الشرعية، وقيام السلطة على ثقافة التفريق بين مكونات الشعب والتلاعب الحزبي واستغلال الظروف الدولية لمحاربة الارهاب باختلاف الظاهرة التي قد تؤدي إلى تدمير الدولة ونظامها.

وكل ذلك أدى إلى اختلال مفهوم المواطنة والخدمة والمسئولية، وغياب القانون عن الممارسة والتطبيق، وغياب معايير الكفاءة والجدارة، وانتشار ثقافة الرشوة والمحاباة، وثقافة الوراثة والتملك للوظائف العامة وغياب دور المؤسسات الخدمية، إضافة إلى استغلال المساعدات العالمية للدولة لأصحاب النفوذ في الدولة، وتقاسم الأدوار الوظيفية والعسكرية بين القبائل النافذة، وكل هذه السياسات قد حدثت في الصومال وهيئتها لقابلية الدور الخارجي، وانفجار الحروب الأهلية، وقد مكنت الحرب الأهلية من غياب سلطة الصومال وتنميته الاقتصادية وتماسك الدولة ووحدتها ومن ثم فرضت القوى الدولية سياسة تقسيم الصومال بين دول الجوار فدفعت إقليم "أوجادين" لأثيوبيا، وإقليم "النفد" لكينيا، كما اقتطعت جيبوتي لتصبح قاعدة معزولة للقواعد الدولية[492] ومن ثم ربطت الولايات المتحدة وغيرها من الدول الأوروبية بين الإرهاب والمسلمين في منطقة القرن الإفريقي واليمن، وتحيزت في مواقفها السياسية ضد كافة النظم والحركات التي تبنت توجهًا إسلاميًّا، أو رفعت شعارات إسلامية.

492 – تمام همام تمام،مرجع سابق، ص123.

وتستغل واشنطن الأوضاع الاقتصادية في دول القرن الإفريقي وخلافاتها البينية للحصول على أعلى الامتيازات؛ كما تنافست دول القرن الإفريقي على تقديم فروض الولاء والطاعة لواشنطن، مقابل تخصيص الولايات المتحدة مبلغ (373) مليون دولار لتحسين الأوضاع المعيشية بها. ووجدت أمريكا في الاتفاقات الثنائية الموقعة سابقاً مع كل من كينيا وأثيوبيا وأوغندا بشأن التعاون الأمني والعسكري، المدخل لتكثيف الوجود الأمريكي في تلك البلدان، وتم اختيار جيبوتي لتكون مركزا عسكريا على جانبي البحر الأحمر الإفريقي منه، بالإضافة إلى الموقع الاستراتيجي الذي تتميز به الجمهورية اليمنية في التحكم المطلق على أكبر منطقتين هامتين في الوعي السياسي الأمريكي[493]

وفى عام 2002 سمحت اريتريا للقوات الأمريكية باستخدام المنشآت العسكرية والموانئ والمطارات الإريترية، وتبادل المعلومات لمكافحة الإرهاب ضمن منظومة التحالف الأمريكي الإفريقي مع كل من كينيا وأوغندا وإثيوبيا تحت عنوان تنسيق الجهود لمكافحة الإرهاب في شرق أفريقيا. وقد تكفلت الإدارة الأمريكية بتغطية التكاليف المادية اللازمة لمكافحة الإرهاب لهاتين الدولتين، وفي المقابل مارست أثيوبيا دورها العسكري على الصومال لمساندة سلطة أمراء الحرب مع القوات والطائرات الأمريكية انطلاقا من رؤية أيدلوجية واقتصادية تسعى من خلالها لتكون حليف أمريكا في القرن الأفريقي ومنطقة البحر الأحمر[494].

اندفع الرئيس صالح لحل أزمة الاقتصاد عبر الدعم الأمريكي وترتب عليه توصية الكونجرس بدعم اليمن لمواجهة حراك الجنوب، وصعدة في الشمال[495] بينما كان الدعم المقدم لصالح القوات المسلحة وليس لحل أزمة المواطن في التنمية وازمة الدولة الاقتصادية، حيث جاء عن مكتب بروان أن بريطانيا والولايات المتحدة سيقدمان دعما لقوات خفر السواحل اليمنية، ومن المقرر أن تزيد المساعدات البريطانية لليمن من 20 مليون جنيه إلى 50 مليون جنيه استرليني سنويا اعتبارا من عام 2010. وأن تعزيز الشراكة مع الحكومة اليمنية له أولوية في تدريب وتجهيز قواتهم الأمنية وتبادل معلومات المخابرات لمواجهة تنظيم القاعدة، والتدخل السريع من خلال تطوير شبكة الأحلاف العسكرية، وتطوير شبكة المعلومات الأمنية والاستخباراتية[496]. كما أن هذا التحالف العسكري مع الرئيس صالح سيدفعه إلى الدخول في صراع دموي مع مكونات الشعب اليمني وأحزابه وقد يترتب عليه تدميرا للقوة العسكرية لارتباطاتها بنفوذ القبيلة والأحزاب والشخصيات النافذة.

كما تتجه السياسة الأمريكية نحو النظام الحاكم في السودان بمساعدة كل من إسرائيل وأثيوبيا، مما يدفع بالسودان نحو المزيد من الحروب العنصرية والطائفية وثورة شعبية كانعكاس للظروف الاقتصادية، وقد تكون حرب أهلية على غرار الصومال، ولفترات تاريخية، وكذلك الموقف الأمريكي المعارض لاتحاد المحاكم الإسلامية في الصومال، التي استطاعت أن تحقق الأمن والاستقرار في المنطقة، إلا أنها في

---

[493]– Tanguy Struye de Swielande, Geopolitique de l'Afrique, le retour de Washington sur le continent africain, Diplomatie Magazine, n°12 (janvier–février 2005) p33–34

[494]– صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي، مرجع سابق، ص82

495 – على القاسمي، مرجع سابق.

[496] جمال الهاشمي، اليمن القرن الافريقي، مرجع سابق، ص13

المقابل لا تتوافق مع المصالح الأمريكية، ومادام الاستقرار لا يعني المصالح الأمريكية فإنه من أهم مقومات الإرهاب كما تؤكده القوى الدولية النافذة في المنطقة.

وقطع الوجود الغربي والقوى الدولية في منطقة القرن الأفريقي والملاحة في البحر الأحمر الدور اليمني في القرن الإفريقي والجزيرة العربية حيث كانت أفريقيا، من أهم دول المنطقة في العلاقات الاقتصادية، ومن ثم كانت خسارة اليمن في علاقتها مع هذا القرن الافريقي العظيم؛ إضافة الى عدم قدرة النظام السياسي اليمني في استثمار علاقاته التاريخية والثقافية والجغرافية مع دول الخليج العربي حيث ظل مصدر قلق للأنظمة الخليجية التي ساهمت في بناء علاقات قبلية خارج نظام السلطة اليمنية التي لم تكن تستطع فرض سيادتها على كل مناطق اليمن إلا بالتحالفات نفسها، ومع أزمة الخليج الثانية خسرت اليمن مكانتها التاريخية والأمنية في المنطقة.

يذكر المؤرخون أن الأمير العربي محمد بن ضرغام أمير هرمز من أحفاد ملوك مملكة سبأ هو أول من أسس مدينة هرمز واشرف على مضيقها، وهو الذي سماها هرمزا، وقيل أن والده كان ملكا في الجزيرة العربية، وقد خسر مع أعدائه فعبر إلى الخليج[497]، أما اليوم ونتيجة للتباعد السياسي والنفسي بين اليمن والخليج واستمرار التوطين التاريخي للعرقيات الأخرى قد مزق الثقافة العامة التي كانت توحد منطقة الجزيرة العربية، وغدت عناصر الصراع فيها أكثر من العناصر التي تجمعها وتعيد وحدتها؛ لا سيما وأن التقارب اليمني بدول القرن الأفريقي ودول المغرب العربي يكاد يكون أكثر اتصالا وترابطا على الرغم من البعد الجغرافي، بينما تتسع الفجوة بين اليمن ودول مجلس التعاون الخليجي، ويرجع ذلك إلى عامل النفط الذي وسع التقارب بين الشعوب الشقيقية، وخلق فيها ثقافات مختلطة ومتعددة بفعل العمالة ولغاتها وعاداتها في منطقة السعودية والخليج.

مما يجعل الترف وسيلة من وسائل تدمير الدول إذا قامت على ثقافة التمايز والاستعلاء وتدمير أواصر القربى، وعلى حد تعبير سيرتوماس هربرت (1627) "إن بلد الترف الغير منقطع والذي لا يتوقع زوالها في مدينة هرمز التجارية حل عليها سخط الزمان لتبقى خرائب ومساكن للبوم"[498].

المبحث الثاني:

اليمن بين بين نموذج العراق والتحديات الدولية.

تمارس السياسية الأمريكية معايير الازدواجية في التعامل مع وحدات الشرق الأوسط السياسية، ثم تطورت بالدبلوماسية الشعبية، وهي أكثر الدبلوماسيات تفكيكا لأنظمة الشرق الأوسط.

والتي بها وظفت بريطانيا القوميات لتفكيك السلطنة العثمانية، ثم تطورت مع أمريكا في صياغات جديدة لحقوق الإنسان والحرية والمساواة كأحد وسائل الدبلوماسية الناعمة لتفجير القوى الدولية بالثورات والمطالب

497 – الموسوعة البرتغالية، تاريخ الخليج والبحر الاحمر في اسفار بيدرو تخسيرا (مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر 1996)

498 – إبراهيم بشمى، مملكة هرمز. الفقاعة الذهبية، ط1(المنامة: مؤسسة الأيام للصحافة، د.ت) ص34.

الشعبية[499]. ومن جهة أخرى فإن اتفاقيات الحماية كانت أول مقدمات بناء القواعد العسكرية ثم السيطرة السياسية للمنطقة، حيث وقعت دول الساحل الخليجي مع بريطانيا اتفاقيات حماية لمواجهة التوسع السعودي من جهة، والتهديدات القومية العراقية من جهة أخرى، وظلت مرتبطة بالمركز الأوربي سياسيا واقتصاديا وثقافيا وعسكريا[500].

لا سيما وأن بريطانيا كانت تتبنى ثقافة الأنسنة لمواجهة الرق وتجارة العبيد، وكذلك لمواجهة قراصنة البحار في المنطقة، وهي تتممة لما بدأها البرتغال ثم هولندا وفرنسا، وبذلك تمكنت بريطانيا من شبه القارة الهندية، وجنوب الجزيرة العربية، والخليج العربي، والممرات البحرية على المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر، في إطار ما يسمى مكافحة القرصنة وتجار الرقيق وتهريب الأسلحة[501].

كما وظفت أمريكا فكرة حقوق الإنسان والمساواة والديمقراطية لتطويع حكام دول المنطقة لإرادتها وتبعيتها والانخراط تحت حمايتها، وتجنيد القوى العسكرية لمواجهة الطموحات، كما توظف الطائفية والنعرات الانفصالية داخل الدول، المشاكل الحدودية بينها، مما دفع بدول المنطقة للتنافس على منصب شرطي أمريكا في المنطقة، حيث تقود السعودية دول مجلس الخليج، وتسعى لمنافسة مصر وإيران على هذه المكانة بتفعيل سياستها النفطية.

غير أنها لا تملك مقومات التنافس القائمة على حجم القوة الاستراتيجية، قوة الاستخبارات، وقوة الأيدلوجيا، وقد فسر الرئيس علي صالح في أحد لقاءته التلفزيونية هذا الواقع بأن كل دول المنطقة تسعى لإرضاء الولايات المتحدة واحتكار ودها، ومن ثم اجتهد في مخاطبة هذا الود مقابل الدعم الاقتصادي وخروجه من الازمة المحلية ودعوات الانفصال، وأزمة العزلة التي فرضتها دول الخليج.

وبنفس الوقت كان يمهد للتحالف مع إيران على غرار تحالفه مع العراق سابقا للضغط على السعودية وتهديدها بالوجود الإيراني، ثم استثماره للطائفية الشيعية في صعدة، واستثماره لفزاعة الاخوان المسلمين، وكل هذه التلاعبات توشك أن توقعه في الفخ التي تتابعه القوى الدولية وتتابعه بأجهزتها الاستخبارية، وترى أن إضعاف المؤسسات العسكرية، وفك تحالفاته القبلية، وتحالفه مع الإسلاميين المعاديين سيسهم في توسيع النفوذ الدولي على اليمن.

بينما كان الحراك الانفصالي والنفوذ القبلي يتلقى دعما دوليا حفيا وفقا لمبدأ الحق في تقرير المصير، والعمل على احتواء الصراع أو الحروب الأهلية المتوقعة في المناطق الداخلية، بعيدا عن الموانئ والملاحة الدولية في البحر الأحمر والبحر العربي على غرار ما حصل في الحروب الأهلية والطائفية في كل من الصومال في العراق، حيث تمركزت القوى الدولية لحماية منابع النفط وخطوط الإمداد والملاحة الدولية.

يتشابه سيناريو سقوط العراق مع سقوط الدول العربية اللاحقة خلفه وإن كانت بطرق مختلفة وغاية واحدة

---

[499]– جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، تعريب، محمد توفيق البجيرمي، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان 2003) ص34–35

[500]– حافظ برجس، مرج سابق، ص90–96

501 – عبد المالك خلف التميمي، الشك في الوثائق الرسمية "الوثائق البريطانية عن منطقة الخليج العربي نموذجا"، عالم الفكر، مج36 (ع3 يناير–مارس 2008) ص28.

وقد استدرج النظام العراقي في حرب الخليج الأولى لإضعاف مقوماته الاقتصادية، ثم حرب الخليج الثانية لتوسيع الفجوة بينه وبين النظم العربية، ثم الحصار الاقتصادي لإضعاف مقوماته الاقتصادية وافشاله مشروع الاقتصادي في المنطقة، ثم الحروب الطائفية والإثنية لتدمير قوته العسكرية، ومن ثم التحالف الدولي للقضاء على البنية التحتية واضعاف القوى التي هتفت لأمريكا وإيران في التخلص من دكتاتورية صدام حسين.

ومن ثم الاتجاه نحو اليمن وسوريا والسعودية ومصر، بمساعدة القواعد البحرية والقواعد البرية في في الصومال وإرتيريا وجيبوتي، واستغلال أثيوبيا لإسقاط نظام السودان وتحييدها عن الجنوب العربي المطل على البحر الأحمر.

ومن ثم استفادت أمريكا من حرب الخليج الثانية وتوسيع قواعدها في العراق تمهيدا لإسقاط منطقة الشام، كما أن هشاشة التنمية وانتشار البطالة سيهيأ المنطقة لثورات شعبية وصراعات طائفية تدخل النظم العربية في صراعات عبثية مع الحركات الإسلامية الصاعدة والمتنامية والتي ستكون الحلقة الأخيرة للوجود الأمريكي، وأحد المساهمين غير المباشرين في توسيع القواعد الأجنبية في المنطقة، وإضعاف الأفكار الإسلامية والمعتقدات في المنطقة، ومن ثم الدخول في المرحلة الثانية من السيطرة العسكرية الأمريكية بمشاركة أو منافسة دولية.

وما دام الصراع بعيدا عن جغرافية أمريكا وفي ذلك تهديدا لأمن القارة الأوربية، فإن الأزمات ستسهم من زيادة ضخ النفط الخليجي بما يزيد من نسبة مكاسب الولايات المتحدة وضمان ارتباط القوة الدولية بها، أو استخدامه كسلاح لإضعاف القوى الأوربية المعارضة لها والتي تتبنى ثقافة مختلفة كفرنسا التي تحاول قيادة أوروبا وتحريرها من القواعد والتدخلات الأمريكية، بعد أن كانت تمثل حصنا للأمن الأوربي من التهديدات الروسية.

وهذه الاستراتيجية تستهدف الاقتصاد العربي قبل أن تتشكل ثقافة إسلامية معادية وشاملة للمنطقة لا سيما بعد ارهاصات النظم القومية، وستحاول الاستفادة من صراع النظم مع التيارات الإسلامية بما يخدم مصالحها ويهيئها لحروب نهاية التاريخ التي تنبأ بها برنارد لويس وصموئيل هنتجتون وخطط لها المفكر الاستراتيجي هنري كسينجر، وسيكون ذلك بتحييد تركيا عن المنطقة وإضعافها وإدخال إيران في صراع عقائدي مع القوى السنية ما دام الوعي العربي لم يتغير منذ الاحتلال البرتغالي.

أما القواعد العسكرية والاستخباراتية فمهمتها مراقبة الوضع عن كثب ومواجهة أي تحركات محتملة وارهاصها بضربات استباقية، واستغلال طموحات الشعوب عن طريق التنظيمات المعبرة عن شعبيتها المتزايدة ومن ثم إعادة تشكيل الأطراف القوية بالوقوف إلى جانبها وفق ما تفتضيه المصلحة الأمريكية.

وتأتي أهمية الخليج العربي من أهمية المنافذ البحرية من مضيق هرمز إلى خليج عدن، ومن باب المندب إلى البحر الأحمر، ومن قناة السويس إلى البحر الأبيض المتوسط تتمحور مراكز التهديد في قناتي السويس والمندب، باعتبارهما أخطر مراكز التحكم الاستراتيجي، وهما وفي الاستراتيجية الأمريكية ضرورات أمنية.

كما تعتبر المنطقة بكاملها تحت الحماية الأمريكية والدولية وقواعدها وتابعة للبيت الأبيض سياسيا وعسكريا وثقافيا[502].

وتحدد المصالح الأوربية الأمريكية المشتركة في الوطن العربي من خلال:

1- تحديد العلاقة بين منتجي النفط في الوطن العربي ومستهلكيه في أوربا.

2- الأهمية الكبيرة للسوق الأوربي في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا.

3- إثارة المنطقة العربية بالصراعات المذهبية والحزبية والقطرية بما يمكن من نقل رأس المال الاجتماعي إلى دول أمريكا وحلفاءها.

4- السيطرة على منافذ البحر المتوسط والبحر الأحمر، وتوسيع القواعد العسكرية في الدول المطلة عليهما وإقامة قوى عسكرية رادعة وقوة إمداد سريعة لأي تهديدات أمنية[503].

المبحث الثالث

الاستراتيجية الأمريكية وإدارة الأزمات العربية.

تتميز أمريكا بقدرتها على خلق الأزمة وإدارتها أو الإدارة بها وفقا لفلسفة العمق الاستراتيجي، فبعد اجتياح العراق للكويت وحشد القوات على الحدود السعودية بدأت الخطة الأمريكية تستهدف العراق، وعرقلة كل المساعي التوفيقية بين صدام حسين وحكام الخليج لا سيما المبادرة الفرنسية التي أرادت الحفاظ على الوضع السائد لدول المنطقة خشية من السيطرة الأحادية لواشنطن، بينما عارض وزير الخارجية الأسبق هنري كسينجر ورأى "أن العقوبات مع المفاوضات قد تِؤدي إلى الحل، ولكن لن تسمح لنا ببلوغ أهدافنا"، وإضفاء شرعية التدخل الدولي لأمريكا في شؤون المنطقة وتوسيع القواعد العسكرية الأمريكية بناء على موافقة الأطراف. وقد وافقه وزير الخارجية الكويتي بتصريحه الرافض لمنطق المفاوضات بقوله "إنني مستعد لأن أرى العلم الأمريكي يرفرف في قصر دسمان" قصر الأمير" قبل أن أراه يرفرف في بغداد إن شاء الله،

---

502 – صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص92

503 – فيرجينيو رونيوي، اوروبا.. كيف تسهم في استقرار الشرق الاوسط، ماذا بعد عاصفة الخليج: رؤية عالمية مستقبلية، اط1 (لقاهرة، مركز الاهرام للتوزيع والنشر 1992) ص31

كما أن الضغط الأمريكي على مصر كان له دورا في إفشال القمة العربية وتوسيع الخلاف العربي العربي في معالجة الأزمة التي دعت لها الجامعة العربية[504].

وفي رسالة إلى مصر من جون كيلي مساعد كاتب الدولة للخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط يقول: إن أمريكا قامت بواجبها من أجل الأمن بينما دولة عربية اشترت السلاح من أمريكا وخاصة مصر؛ فإذا لم تتخذ موقفا من قضية الكويت فلن تعول على أمريكا مستقبلا[505].وبالفعل دخلت مصر في المؤامرة الإقليمية لتكون اليد الأمريكي في هذا النشاط العسكري الموجه على العراق، وفي نفس الوقت كان المبعوث الأمريكي يطمئن صدام بقوله "أنتم قوة اعتدال في المنطقة وتتمنى الولايات المتحدة إقامة أوثق العلاقات مع العراق[506].

توفر الدبلوماسية السياسية والذهنية الأمريكية والتخطيط الاستراتيجي الكثير من التسهيلات لقواتها العسكرية فتارة توظف الدبلوماسية وتوظف تباين الأيدلوجيا والمصالح القطرية بين الدول العربية لمنع التوافق العربي بعد أن رأت خطورة صدام أثناء الحرب الخليجية الأولى، وكذلك قوة إيران العقائدية واستخدامها الأوراق الطائفية في منطقة الشام والعراق بما يمهد لهما المشاركة في صنع قرار المنطقة وليس التبعية التي تريدها أمريكا كتبعية مصر وإيران الشاه سابقا للسياسات الأمريكية.

كما خشيت من اندماج العراق في مجلس التعاون الخليجي، أو أن تصل الحركات الاسلامية للسيطرة على سلاح الدولة مما يهدد استقرار المصالح الأمريكية ومصالح الدولة اليهودية، أو أن تتحول أحد دول المنطقة إلى قوة نووية في ظل التسابق والتنافس العراقي الايراني وتوظيف مقوماتهما، وقد تمكنت أمريكا من تطبيق استراتيجيتها بمساعدة دول الخليج ومصر واقصاء العراق عن الجامعة العربية، ومن ثم تجييش قوتها العسكرية البرية والجوية والبحرية والاستخباراتية تمهيدا لفرض النفوذ والتمدد حتى اليمن.

وفي الوقت ذاته كانت قناة صوت أمريكا العربية تقود الدبلوماسية الشعبية، حيث جاء عنها بعد ثلاثة أيام من مدح المبعوث الأمريكي للقوة العراقية أن صدام حسين يعتبر الأسوأ بين الطغاة على وجه الأرض، ودعت الرأي العام العربي للانتفاضة والثورة ضد الدكتاتوريين، ونشرت وزارة الخارجية الأمريكية تقريرا صادرا عن حقوق الإنسان وصفت الحكومة العراقية بالأكثر سوءا في خرق حقوق الإنسان وممارسة التعذيب والإعدامات السريعة دون محاكمة[507].

وعندما طلب النظام السياسي العراقي تفسير معنى الازدواجية من السفارة الأمريكية في بغداد ردت السفيرة أن الأمر متعلق بحرية الإعلام والصحافة ولا دخل لها بالسياسة؛ حينها استدرجت السياسة الناعمة صدام حسين وجرأته لطلب اعتذار رسمي، ولم تتجاوب معه السفارة أو الخارجية الأمريكية، الرغم من أن المؤشرات تتجه نحو تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية في الخليج إلا أن ثقة النظام العراقي بأمريكا كانت على غرار ثقة سعيد بن سلطان ببريطانيا، ولم يدرك أن الطريق القادم سيقوده إلى نهاية النظام والدولة، وبذلك استطاعت

---

504 – الطيب البكوش، الخليج العربي بين الهيمنة والارتزاق (نشر مؤسسات عبد الكريم عبدالله، د.ت) ص 53.

505 – المرجع نفسه، ص43.

506 – بيارسالينجر، اريك لوران، حرب الخليج"الملف السري"،ط11 (شركة المطبوعات، 1414– 1993) ص11.

507 – المرجع نفسه، ص11.

أمريكا استخدام النظم العربية لتفكيك المجتمعات من الداخل، واستنبات الطوائف والاثنيات والمصالح القبلية والعشائرية.

إن صناعة أزمة الخليج الثانية خطط له البنتاجون من خلال التقارير التي ترفع من السفارة الأمريكية وكذلك انتشار أجهزة التجسس وطائرتها في القواعد العسكرية المرابطة في المحيط الهندي والخليج العربي، حيث أشارت التقارير إلى امتلاك العراق العلم الذي يؤهله لإنتاج الأسلحة النووية، إضافة مشروعه العملاق في التنمية الاقتصادية التي قد تهدد السوق الأمريكية، ومن ثم أيدت أمريكا وحلفائها الأوربيين الإمام الخميني، وباركت له تأسيس أول دولة ثيوقراطية شيعية تحت سياسة فرض الأمر الواقع[508]. ومن ثم استغنت عن صدام حسين بعد أداء الدور المنوط به في حرب الخليج الأولى، واحتلال الكويت لتتولى القواعد الأمريكية بقيادة التحالف الدولي مهمتها دون عناء أو الشعور بالتهديد من قوى إقليمية. وفي هذه الفترة برزت فضيحة واترغيت التي كشفت عن الدعم الأمريكي لإيران بالأسلحة منذ 1985م عن طريق إسرائيل التي لا تريد أن ترى العراق منتصرا[509].

تلقى صدام حسين نفس المعاملة المزدوجة التي مارستها أمريكا بين الشاة والخميني، والذي من خلاله دعمت أمريكا حكم الشاه كأكبر قاتل قانوني في سبعينيات القرن العشرين عبر محاكم الإعدام التي يديرها، كما تلقى جهاز السفاك (البوليس السري الإيراني) الدعم المالي من أمريكا وتدريبه على مختلف تقنيات التعذيب فوق التراب الأمريكي مما سع الفجوة بين بين المعارضة والشعب من جهة ونظام الشاة من جهة أخرى، ومن ثم اشتعلت الثورة الراديكالية الشعبية ووصول الخميني إلى السلطة[510].

أما أثناء الحرب الإيرانية العراقية فقد أمدت واشنطن بغداد بالأسلحة الكيماوية "الأنثراكس) وساعدته على إنتاج أسلحة الحرب الكيماوية، وساعدته أفي ضرب الأغلبية الشيعية في العراق، وضرب الأكراد بالغازات المميتة في حلابجة سنة 1988، ثم الصقت التهمة بإيران ليحاكم بعدها صدام حسين بأدلة أمريكية، وبتمكين أمريكي للشيعة والأكراد في محاكمته[511]؛ حيث هدفت إلى اختراق الجبهات الداخلية فللعراق وتشكيل معارضة مسلحة للنظام العراقي تمهيدا لاستراتيجيتها القادمة في غزو العراق، وساعدتها النظم العربية في هذا التحالف أو التعاطف مع صدام، واستطاع كسينجر تشكيل أكبر تحالف دولي في التاريخ بقيادة أمريكية للقضاء على صدام حسين وبمساعدة القوى الحزبية والطائفية والإثنية المحلية داخل العراق، لتكون البداية الأولى لإسقاط النظم العربية.

إن العقل السياسي العربي وجد نفسه في طموح الكاريزمية التي خلفها جمال عبد الناصر، والتي افتقرت للوعي التاريخ والجغرافي حيث تسيطر ثقافة النزوة العسكرية وعقلية الثارات القبلية، واستمراء التبعية، وامتهان ثقافة الاستبداد، وفي هذا الخلط إشكالية منهجية تمثلت بمعالجة جزئية للازمات دون القدرة على احتوائها، أو القدرة على منع وقوعها أو اتساعها. كما لم يدرك صدام بأهداف أمريكا الدبلوماسية، ظل يلح

508 – مايكل نورثكوت، مرجع سابق، ص47.

509– جمال محمد، البرنامج النووي الإيراني والضغوط الدولية (مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة) ص24

510 – مايكل نورثكوت، مرجع سابق، ص47.

511 – المرجع نفسه،،. ص47-48

على السفارة الأمريكية ويستجديها للحصول على المعدات العسكرية الأمريكية. بينما تعلله السفيرة الأمريكية بأن أمريكا ليس لها نية مبيتة في فرض حصار على العراق ولكن المسألة تحتاج إلى وقت فالتصريحات تسبق القرار كثيرا.

وبذلك مارست نفس النموذج البريطاني مع الشريف حسين، التي وعدته بتحالفها معه لمواجهة السلفية السعودية، بينما وقعت في الوقت ذاته اتفاقية دارين 1915م، مع الملك عبد العزيز، ومارست ازدواجيتها في الحرب على تجارة الرقيق كمبدأ إنساني عالمي، واستثنت منه حليفها العماني، وكانت ضد تهريب الأسلحة، وتبيعها للأطراف المؤيدة لها أو تتغاضى مع الأطراف التي تتخذها وسيلة لاستمرار وجودها، ومع أنها جاءت لتنقذ المنطقة من التخلف إلا أنها زادته تخلفا، أو أبقته كما هو، كما أنها زعمت بأنها لن تتدخل في الشؤون الداخلية للكيانات القبلية والسياسية، بينما كانت تمارس تدخلها في النزاعات الحدودية على البريمي بين السعودية وعمان وأبو ظبي، وتدخلت في الصراع الدائر بين آل خليفة والقبائل القطرية في قطر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[512]، بينما يستمر الجهل السياسي لدى نخبة العسكر في المنطقة ويتجاهلون التاريخ السياسي للمنطقة رغم التجارب المتشابهة حتى التكامل.

خلال هذه الأزمات كان الجنرال شوار زكوف يعد خطة الدفاع الأمريكية للحفاظ على ثروات النفط في الخليج العربي، أما الناطق الرسمي للخارجية الأمريكية فموه ذلك بإعلانه أن أمريكا غير ملزمة بمساعدة الكويت إذا تعرض لأي هجوم عراقي، وبعد الاجتياح صرحت السفيرة الأمريكية –في العراق–ابريل قلاسبي أن أمريكا لم تكن تتوقع أن العراق سيحتل الكويت كلها، ولم تبدي أمريكا أثناء التهديدات العراقية وجمع الجيوش على الحدود أي اهتمام لذلك، مما ظنه النظام العراقي موافقة أمريكية. في الوقت ذاته كانت الاستخبارات الأمريكية والسوفيتية تمارس نشاطها، وهذا ما لم يتوقعه النظام العراقي ولم يستدرك مؤشراته الظاهرة وأهدافه وتهديداته القادمة على الأمن القومي العراقي والعربي[513] وقد قامت واشنطن في حربها على العراق بـ:

1- تحريض الأمارات الخليجية في التضييق الاقتصادي على العراق من أجل إضعاف بنيته العسكرية ومشروعه الاقتصادي في الاكتفاء الذاتي.
2- تشويه صورة صدام إعلاميا أمام الرأي العام الداخلي والخارجي لتجييش الدعم الدولي وإضفاء شرعية التدخل الأمريكي الأوربي في المنطقة.
3- سياسة التمويه حيث أوهمت المخابرات الأمريكية النظام العراقي أن استيلائه على الكويت سيمكن له من فرض سيطرته على السعودية والخليج العربي[514].
4- فرض تبعية مجلس التعاون الخليجي واستغلال ضعفه العسكري واعتماده على نظام الحماية الإقليمية والدولية عسكري، وقد كشف الغزو العراقي للكويت مدى هشاشة قوة دول الخليج العسكرية

512 – عبد المالك خلف التميمي، مرجع سابق، ص31.

513 – الطيب البكوش، مرجع سابق ، ص 43.

514 – الطيب البكوش، مرجع سابق، ص33– 36

أو الاستخباراتية[515]. لا سيما بعد فشل مجلس التعاون في رد العدوان العراقي عن الكويت، مما جعلها تعيد النظر في إعادة بناء الثقة مع إيران، أو تطوير العلاقة مع مصر، دون أن تحاول بناء قوة وطنية موحدة لتأمين منطقة الخليج والجزيرة العربية.

كما لم تستغل دول الخليج إمكانيات اليمن الديمغرافية على الرغم من أهميتها الأمنية لدول الخليج العربي؛ حيث غيبت اليمن نتيجة لعدة اعتبارات تاريخية وسياسية واقتصادية، بالإضافة خطيئة الرئيس صالح في التعاطف مع العراق رغم وضوح اتجاهات الأزمة الذي انتجته تحالفات مجلس التعاون العربي لمواجهة مجلس التعاون الخليجي، دون معرفة مآلات المستقبل، وبراجماتية النظام المصري.

لم تكن اليمن بتلك المعايير التي أرادتها دول الخليج والتي من أهمها بسط نفوذ الدولة ونزع السلاح، وحل الخلافات الحدودية بين اليمن وعمان، واليمن والسعودية، ولم تعمل على محاولة تطويره بما يحفظ استقرار اليمن، بل كانت من أهم أسباب تدهوره، حيث ترغب ببقاء اليمن مشغولا بخلافاته المحلية وأزماته الاقتصادية، مما قد يرشح اليمن للدخول في حرب أهلية ستمس حتما بأمن واستقرار المملكة ودول مجلس الخليج.

وبسبب غياب البعد الاستراتيجي فقد انعكس سلبا على أمن المنطقة التي وطأتها اتفاقيات أمنية منحت الدول الكبرى شرعية دمج منطقة الخليج في أولوياتها السياسية[516]. كما وستسمر الخلافات التاريخية والحدودية بين دول المجلس مما يعني اضفاء شرعية الوجود الأمريكي مع حرصه على استمرارها لإكمال خططه الاستراتيجية في المنطقة[517].

المبحث الثالث

اليمن بين أزمة الانكشاف والتدخل الدولي.

---

515 – لؤي بكر الطيار، امن الخليج العربي، مركز الدراسات العربي الاوربي، ط1 (بيروت 1999) ص7-8.

516 – تصنف الاتفاقيات كالتي: الولايات المتحدة والكويت (سبتمبر 1991) لمدة عشر سنوات في إقامة مراكز دفاع مشترك، فرنسا والإمارات (سبتمبر 1991) في مجال التدريب وبيع الأسلحة، بريطانيا والبحرين (أكتوبر 1991) تدريبات وفتح الموانئ والمطارات البحرينية بحرية للقوات البريطانية، أمريكا والسعودية (يونيو 1992) اتفاقية تدريب مشترك لمدة عشرين عاما كإطار قانوني للتعاون العسكري) ثم مذكرة وضع القوات الذي يمنح القوات الأمريكية حق التحرك داخل المملكة تلاها بعد ذلك السماح لبريطانيا وأمريكا من استغلال قاعدة الظهران، أمريكا وقطر(يونيو 1992) تدريب ومشتريات أسلحة انظر: المرجع نفسه، ص98.

517– تعتبر منطقة دول الخليج من حيث المكون السياسي ظاهرة سياسية أكثر من كونها قوة فعلية وهذا ما يعكسه الخلافات الحدودية بين البحرين وقطر، والكويت والسعودية، عمان والإمارات، عمان وقطر، السعودية والإمارات، قطر والإمارات، اختلال ميزان القوى بين دول المجلس لصالح المملكة السعودية، اختلاف العلاقات الثنائية في السياسات الخارجية.

تعاني اليمن من انكشافها السياسي والاقتصادي والإداري ليس محليا فحسب، بل وإقليميا ودوليا، حيث تدخلت المنظمات والسفارة الأمريكية في صناعة التوجهات السياسية للنظام، وممارسة الضغوط السياسية؛ فالسفارة الأمريكية في صنعاء وتحت مظلة بلد آمن من السلاح قامت بشراء الأسلحة من القبائل وأسواق السلاح المنتشرة على جغرافية اليمن[518] وتوجت بزيارة السفير "ستيفن سيتش" إلى محافظة حضرموت لتوسيع قاعدة التحالف الاجتماعي لمواجهة الإرهاب، وتحت شعار تنمية الديمقراطية، ودعم التنمية عبر الوكالة الأمريكية للتنمية، حيث كانت في استقباله الشيخ المهندس عبد الله أحمد بقشان الرئيس الفخري لغرفة التجارة والصناعة في حضرموت، ومجموعة من رجال الأعمال والمستثمرين والأكاديميين[519].

بينما كانت انشغل الرئيس بمواجهة الإسلاميين والأحزاب حلفاء الأمس، واستخدم سياسة القمع والاقصاء والعنصرية مع الجنوبيين والحراك الجنوبي تحديدا، كما مارس العنف العسكري على تنظيم الشباب المؤمن الذي دعمه عشرين عاما وتهيئته للمواجهة مع الاخوان المسلمين، مقابل الدعم السعوي–الأمريكي، بينما سعت أمريكا لإدخال اليمن في حروب إقليمية مع السعودية لإضعاف القوتين وتمكين القوى الطائفية والجهوية من الاستقلال وممارسة حق تقرير المصير، لا سيما أن تدفق السلاح الأمريكي والدعم العسكري تنامى خلال الألفية الأولى.

وتهدف أمريكا إذا استمر اليمن كما هو إلى دعم الانفصال وهذا ما صرحت به منظمة (هيومن رايتس ووتش) الأمريكية بتاريخ 2009/12/15م حيث أكد لكريستوف ويلكي على أن "الانفصال ورفع الأعلام الانفصالية حقا شعبيا، ومكفولا دوليا كما كانت الوحدة من قبل مكفولة دوليا، وأكد الكونجرس في وثيقة رسمية له أثناء مناقشة الأوضاع في اليمن بتاريخ 5 أغسطس 2009، وصفت الأوضاع في اليمن بالمقلقة وأنها تنحدر عدة أزمات تهدد الأمن والاستقرار للنظام والمنطقة وذلك نتيجة للأزمة الإدارية القائمة على سياسة المصالحة لشيوخ القبائل، والشخصيات النافذة في الدولة، و تقديم رشاوى لمسئولين سياسيين نافذين، إضافة بعض الأحزاب المعارضة؛ وهشاشة مؤسسات الدولة وكفاءتها.

ويضيف جريجوري جونسون –الباحث في الشئون اليمنية–أن اليمن لن ينفجر داخلياً إذا استمرت الأوضاع كما هي، بل سيكون الانفجار خارجيا، كما أكد جيمس لاروكو التابع لمركز دراسات الشرق الأدنى وجنوب آسيا في جامعة الدفاع الوطني التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية أن الصراع على السلطة سيكون بين أولاد الرئيس وأبناء أخيه من جهة، وأولاد عبد الله بن حسين الأحمر من جهة ثانية، وعلي محسن الأحمر من جهة ثالثة[520].

في الوقت ذاته كان وزير الخارجية اليمني وكذلك السفارة اليمنية في واشنطن يؤكدان على تواجد تنظيم القاعدة، واستغلالها ضعف النظام في اليمن لبناء قواعد عسكرية خلفية آمنة تهدد المصالح الغربية وأمن

---

518 –http://www.almasdaronline.com/index.php?page=news&articlesection=1&news_i م2009/12 /29/،

519– اخبار حضرموت http://www.yemenews.net/news_details.php?sid=1557

520 – علي محمد عبد الواحد القاسيمي، الموقف الامريكي وتطوير الشراكة مع اليمن ومبادرة براون، مركز الدراسات الاستراتيجية، صنعاء، 1430– 1009.

الخليج العربي، وتسعى للسيطرة على القرن الأفريقي والشريط الساحلي في البحر الأحمر وخليج عدن وباب المندب، مما يهدد الملاحة التجارية والأساطيل العسكرية الدولية و الشركات النفطية والغازية الأمريكية، والفرنسية والبريطانية والصينية والتابعة لكوريا الجنوبية في المناطق الصحراوية من اليمن، كما يعد تهديداً مباشراً للمصالح الغربية والمناطق الصحراوية التى يتواجد فيها مخزون الثروة النفطية والغازية.

بينما ارتأت واشنطن أن هذه الاعترافات ستسمح لها باختراق السيادة اليمنية، وفرض أجندتها كما ترى لا كما يرغب به النظام السياسي اليمني، وأدارت التلاعب الذي استخدمه النظام ليكون عليه وليس كما يخطط له، ومن ثم أولى مركز كارنيجي اهتمامه بقضية صعدة، والجنوب، ثم الإرهاب كحلقة أخيرة يمكن توظيفها خلال العقود القادمة.

وبنفس النسق أعلن صدام حسين عن حجزه الرهائن الأجانب مما أدى إلى إجماع شبه عالمي تزعمه مجلس الأمن بقرار الإجماع رقم(644) دعا فيه لإطلاق سراح الأجانب، ثم أصدر قرار الأمن رقم (665) بالسماح لقوات التحالف البحرية ضد العراق بتفتيش السفن ومعرفة وجهتها وتطبيق الحصار بصرامة وقد صدق عليه جميع الاعضاء مع إمساك اليمن وكوبا[521].

وقد توصلت واشنطن إلى أن خطف السياح الأجانب هي من أوراق اللعبة السياسية التي تثبت تواطؤ السلطة اليمنية مع القبائل، وضعف أجهزة السلطة والحكومة وعدم أهليتها، كما أن حادثة قتل الألمان في صعدة أثبت تواطؤ النظام اليمني على ذلك لإثبات مصداقيته بوجود تهديدات أمنية تستهدف الأجانب ورغبته للمزيد من الهبات العسكرية والقروض الآجلة، وترتب على ما سبق تصاعد الأزمة الاقتصادية بسبب تراجع مخزون النفط اليمني، واستنزاف الحروب في صعدة والحراك في الجنوب اقتصاد الدولة وعرقلة الاستثمار والسياحة نتيجة لغياب الأمن والقانون والمؤسسات الفاعلة في النظام، وقد ربطها الدكتور كريستوفر بوسيك –الخبير بشؤون الشرق الأوسط–بأحداث صعدة والتركيبة الاجتماعية للشعب والبطالة المتنامية وشحة الموارد الاقتصادية، وانخفاض معدلات تحويل المغتربين اليمنين للعملات النقدية، وأرجعته السفيرة الأمريكية بربارا بودين إلى أسلوب ممارسة السلطة وفشلها إداريا بالإضافة إلى اتساع الجغرافية الشاسعة وامتداد نطاق الفقر الاجتماعي[522].

بينما ركز جيمس لاروكو على البعد الثقافي والتعليمي، وطالب بضرورة تعميق العلاقة اليمنية الأمريكية ثقافيا، وتوفير المنح الدراسية لعدد من الباحثين اليمنيين بما يحقق الربط الحضاري والثقافي. أما وزير الخارجية الأمريكي "باول" فقد ركز على مطاردة الإرهاب أينما وجد في العالم والمتسببين بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، والجماعات الأخرى التى لا تضمر الخير للولايات المتحدة[523].

وتتباين مستويات استراتيجية الحرب على الارهاب في مستويات عدة:

---

521 الطيب البكوش، مرجع سابق، ص52

522 – على محمد القاسمي، مرجع سابق.

523 – اميمة عبود، المحافظون الجدد "قراءة في خرائط الفكر والحركة"، ط1(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 2003) ص79.

1- الحرب الشاملة: وذلك بضرب القواعد الرئيسية للمنظمات الإرهابية، وعلى رأسها تنظيم القاعدة، وإسقاط حكم طالبان الذي يحتضن التنظيم ثم العراق كأول دولة مارقة تهدد المصالح الأمريكية، يليها بعد ذلك إيران وسوريا والمملكة السعودية واليمن.

2- حرب الكواليس: وتختلف عن الأولى؛ كونها ليس لها تنظيم، وليس لها مكان ولا زمان، وتتمثل بحرب الأهداف والتأثير على المصالح، دون وضع ملموس يحدد المواجهة بين خصمين، كما انه ليس لأحدها انتصار على الآخر.

3- الحرب المعنوية: وذلك باستعراض القوة أو التهديد باستخدامها، وأيضا تصنيف الدول بين محور الشر لتفرض عليها تنازلات قبل استخدام القوة الصلبة، وبهذا استطاعت أن تجعل من اليمن وليبيا شركيين معها في محاربة الإرهاب بعد أن كانتا مصنفتين ضمن الدول المارقة.

4- السيطرة المالية: حيث تعمل على تجفيف منابع التمويل للتنظيمات الإرهابية[524] ورقابة التحركات المالية من دولة إلى أخرى، وتحديد سقفا للتداول المالي الدولي، واحتكار العملات المالية ويحجر على النظم العربية التابعة والحليفة لأمريكا سحب أموالها من البنوك الأوربية، كما حصل مع العراق لأي ظرف من الظروف التي تستخدمها السياسة الأمريكية.

وانطلاقا لما سبق فقد أعلنت السفارة الأمريكية في 2/ 2006/5م أن نظام صنعاء فاقد الأهلية، أن مؤسساته فاسدة ومخترقة و يتخذها النظام ذريعة للدعم بالتسليح الغربي، وكان ذلك بسبب هروب أو تهريب عناصر القاعدة من سجن الأمن السياسي[525]، ووصف مساعد الرئيس الأميركي فرانسيس تاونسند صالح بأنه شريك غير منسجم في الحرب على الإرهاب، وورد أن اليمن مارست دورها في عدم استقرار العراق نتيجة لتواجد المجاهدين اليمنيين في الصومال وأفغانستان ولبنان والعراق، وأن اليمنيين وشعوب الشمال الأفريقي هم الذين يقومون بمعظم التفجيرات الانتحارية في العراق، وأن الجيش اليمني يقوم بتدريب الجهاديين وإرسالهم إلى العراق، أن عناصر المجاهدين اليمنيين في أفغانستان هم القوة التي ناصرت الجيش اليمني في الحرب الأهلية عام 1994 ، وان المجاهدين في عدن أبين هم الأداة الذين استخدمهم النظام السياسي اليمني لضرب الشيعة في صعدة.

وفي تاريخ / 2/ 2007/ قامت وزارة الدفاع اليمني بتعميم فتوى الجهاد الديني لمقاتلة المتمردين، ومن ثم تبين أن الإرهابيين يقاتلون بدلاً عن الجيش والجيش يقوم بتدريبهم، وهذا ما أكدته بعض أسر الانتحاريين في تقارير لصحيفة التجمع اليمنية، وصرّح مسؤول حكومي يمني بأن عناصر من الاستخبارات اليمنية قد أسّست معسكرات لتدريب البعثيين العراقيين اللاجئين في اليمن والراغبين في قتال قوات الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، إضافة إلى ذلك فإن المحاكم اليمنية لم تجرم القتال ضد المحتلين في العراق لأنه لا يتعارض مع القانون اليمني.

---

524 – عادل سليمان، مرجع سابق، ص35– 73.

525 – جين نوفاك الإثنين 09 إبريل–نيسان 2007، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=94219

وأن أن الثقافة الجهادية والأنشطة الإرهابية تتلقى الدعم من الرئيس صالح –خارج اليمن، بتشجيع منه ومدحه للمقاومة ضد الاحتلال علنا، وفي سياق الحرب الراهنة في صعدة تقوم السلطة اليمنية بإعطاء التعليمات للخطباء السلفيين للتعبئة الطائفية في خطابهم ضد الشيعة، كما أن أفلام القتل المرعبة تباع في الأسواق حاملة بعض العناوين كـ " ذبح الجنود الأمريكان في العراق"، و"انتصارات القاعدة في الفلوجة" و" قتل الخونة في أفغانستان" وغيرها.

هذه الادانات التي مني بها علي صالح من واشنطن، قد أدين بها صدام حسين من قبل البيت الأبيض ومعهد القرن الأمريكي الجديد صنفته ضمن الإرهابيين القياديين، وأنه وفر المساعدات اللوجستية لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، وإن لم ترد دلائل على ذلك فالاستراتيجية الأمريكية تهدف إلى القضاء على الإرهاب ومصادر التمويل الذي يعد صدام أحد ممولية كما انه من واجب أمريكا إقامة موقع عسكري أمني في العراق يمكن للمعارضة العراقية من ممارسة نشاطها مع تقديم كافة الدعم المادي والعسكري لها ضد دكتاتورية النظام العراقي[526].

ومما يعكس الازدواجية في المعايير أن الحرب الأفغانية ضد السوفييت كانت بإرادة أمريكية، ومارست المخابرات الأمريكية دور الوسيط بين المخابرات الباكستانية ودعم معسكرات تدريبية لتنظيم القاعدة، وأمدتهم بتكنولوجيا الاتصالات والسلاح وتكنولوجيا الحرب، وعززت المجاهدين القادمين من السعودية واليمن ومصر، بالإضافة إلى دعم السعودية وباكستان، وبعد الانتصار على السوفييت أوجدت الحرب الأهلية في أفغانستان لتفريغ شحنة الجهاد ومصادر التمويل والدعم الذي قدمته أثناء الحرب بالصراع المذهبي والصراع على السلطة[527]. لتضمن أمن وجودها وبناء قواعدها العسكرية في أفغانستان، ومن ثم خلق التوازن لحلفائها، وضرب الحركات الإرهابية التي ما زالت تستخدمه وستستمر في استخدامه حتى اسقاط بقية دول المطقة ابتداء باليمن وسوريا والسودان ثم تفكيك السعودية ومصر ودول الشمال الافريقي وباكستان وإيران.

وقد ورد في التقارير أن النظام اليمني استخدمت غاز الكلور المحظور دولياً ضد المتمردين الشيعة في صعدة عام 2005م، وأن المجاهدين اليمنيين على أرض العراق يتلقون دعما من قوى ذات نفوذ في اليمن، وتلك القوى تعمل على تجهيز هؤلاء الشباب من خلال تدريبهم على العمليات القتالية، واستخدام المتفجرات، وقيادة السيارات المفخخة، إضافة إلى مقابلة الشيخ المنفي حارث الضاري –رئيس جمعية علماء المسلمين السنة في العراق– للشباب في جامعة صنعاء، وحديثه عن فضائل ومآثر المقاومة العراقية خلال ندوة أقامتها اللجنة اليمنية برعاية وتمويل يحيى محمد عبد الله صالح ابن أخ الرئيس، ورئيس اللجنة اليمنية العامة لدعم المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق، ورئيس قوى الأمن المركزي اليمني، ورئيس وحدة مكافحة الإرهاب ومع ذلك يدعم المقاومة والإرهاب في العراق، وأن النظام السياسي استقطب العديد من الإرهابيين المطلوبين للعدالة ؛ حيث قُدر عدد العراقيين في اليمن منذ عام 2003 بـ 26000 عراقي، ومنهم عزت الدوري نائب الرئيس العراقي السابق، وفي تاريخ 2005/11 طالب مسئولون عراقيون من اليمن عبر الانتربول الدولي تسليم عمر سبعاوي و إبراهيم حسن التكريتي ابن أخت صدام حسين لاتهامه بإدارة وتمويل

526 – اميمة عبود، مرجع سابق، ص80.

527 – المرجع نفسه، ص 50– 51.

منظمات إرهابية تعمل في شمال العراق، وقد أدانت الإدارة الأمريكية صدام حسين استضافته لإرهابيين منهم " أبو نضال" ولارتباطه بعلاقات ودية مع تنظيم القاعدة[528]، وترى الإدارة الأمريكية أن تفجير المدمرة الأمريكية يو. إس. إس. كول في ميناء عدن كان بمساعدة مسؤولين يمنيين وقد منعت الحكومة اليمنية ممثلي الـ إف بي آي من التحقيق في ذلك حتى لا ينكشف الغطاء، ومن ثم وقع النظام اليمني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر على اتفاقية مكافحة الإرهاب مع الولايات المتحدة الأمريكية، درء لمؤشرات الاتهام[529].

وأدانت هذه التقارير النظام كإحدى وسائل الضغط، لا سيما وأن تقريرا أمريكيا قُدم للمناقشة بعد مقابلة عدد من القياديين الانفصاليين في أوروبا بأن إخفاق النظام السياسي في حفظ الوحدة وفشله في الاصلاحات المطلوبة منه سيفتح الحوار الأمريكي مع المعارضة وسيدفعها لدعم الحراك الجنوبي كون استمرار التردي في الأوضاع يهدد الاستقرار والأمن في المنطقة والمصالح الأمريكية[530].

كما أفاد تقرير اند يباث نيوز «الكندية أن التحركات الأوربية وحلف شمال الأطلسي "الناتو" تهدف لإقامة وجود عسكري قوي في المنطقة الممتدة من خليج عمان إلى سواحل زنجبار، وفرض هيمنة كاملة على خليج عدن، في إطار مشروع عمره (27) عاماً، لضمان مصادر الطاقة، وحفظ التوازن الاقتصادي للعالم الصناعي الأوروبي[531].

كل هذه المؤشرات تؤكد على انفجار الوضع في شمال اليمن وجنوبها، قد تتحول إلى عصيان مسلح، وتحركات شعبية وقيادية يمكن تأخذ النموذج الأفغاني. حيث تعد اليمن الموقع الأفضل للعمليات العسكرية الدولية وامتدادا لمركزية الوجود الأجنبي في جيبوتي، الدويلة ا التي دخلت ضمن الشراكة الأمريكية والتحالف الدولي في الحرب على العراق في ظل غياب منظومة عربية فاعلة، كما دخلت في اتفاقيات أو مبادرة مكافحة الإرهاب في شرق إفريقيا" وقد تأسست كقاعدة عسكرية لتدريب الجيش الأمريكي حيث تتنوع وظائف القوات الأمريكية إلى فصائل المارينز، والفرقة العاشرة الجبلية، بالإضافة إلى القوى الجوية والبحرية، وشرطة عسكرية، وأمن عام، ومهندسين أمريكيين، وموظفين مدنيين، ومستشفيات عسكرية تابعة للقوات الأجنبية، وأقمار تجسسيه وطائرات استطلاعية واستخبارية، ووضعت فيها مقرا لرئاسة أركان التحالف الدولي لمراقبة دول جانبي البحر الأحمر، وقد بلغ عدد القوات الأمريكية فيها خلال 2003م عشرة آلاف فرد، وتتواجد من على أراضيها إذاعة صوت أمريكا، ومعدات عسكرية ثقيلة لا يمتلكها النظام الوطني في جيبوتي، وهذا ما تسعى إليه أمريكا وبريطانيا في اليمن تحت ذريعة الشراكة وإقامة وحده شرطه يمنية أمريكية بريطانية[532].

---

528 – اميمة عبود، نرجع سابق، ص 85.

529 –http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=94219، إبريل–نيسان 2007.

530 – معهد نورث كارولينا لدراسات الشرق الاوسط،24 – 8 – 2007

531 – جمال الهاشمي، اليمن ومخاطر التهديد الأمريكي (مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة–صنعاء) ص7

532 جمال الهاشمي، اليمن ومنطقة القرن الافريقي: التداعيات والمستجدات (مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة–صنعاء) ص12

المبحث الرابع

الأيدلوجية الأمريكية والمصالح الدولية.

إن الايدولوجيات المعاصرة لا تبنى على مبادئ ثابتة لذلك فهي تزيف الواقع لصالحها، وتتلازم مع الدور السياسي والطبقي في صناعة الاستراتيجيات المستقبلية، حيث يرى لوي التوسير أن الايدولوجيا المسيطرة للكيان المهيمن بالضرورة يستخدمها لخدمة مصالحه وفرض هيمنته، وبالتالي يسعى لإقناع الكيانات الأخرى بمبررات أخلاقية وواقعية، ولها معايير متفاوتة ومعاملات مزدوجة، وتعمل على حماية النسق وضمان استمراريته من خلال هدفين: أحدهما حماية المصلحة للكيان القوي المسيطر. والثاني إقناع الكيانات المهيمن عليها بالانصياع لهذه السيطرة؛ كونها مصلحة مشتركة، ومن ثم يكون للأيدولوجيا وظيفة تؤديها على وجه الضرورة، وتنميط الأطر الاجتماعية في إطارات معرفية[533].

وبالنسبة لأمريكا فإنها تدمج أيدلوجيا التاريخ القومية وعقلانية اليونان والقانون الروماني في قيمها البروتستانتية لما للدين من أهمية في توظيف المجتمعات وربطها بقيم السلطة السياسية، فهي متدينة وينص دستورها على أن الأمة تحت حماية الله، وعملتها القومية تحمل شعار بالله نؤمن، وتؤكد الإحصائيات أن 95% من الأمريكيين يؤمنون بالله، و80% يؤمنون أن الإنجيل كلام الله، و60% يترددون على العبادة، وتجد الكنائس دعما من الهبات والتبرعات بمقدار 38 بليون دولار سنويا[534].

وقد وضعت العقيدة البروتستانتية الأساس الحضاري للأمة الأمريكية ودولتها منذ دخول البيوريتانيين عام 1620م حاملين معهم خبرة القيم الاجتماعية والمعرفية والفلسفات الأوربية[535] وقد كانوا متأثرين باليهودية تأثرا مركبا بمختلف السياقات اللاهوتية والتاريخية والكتابية والسياسية مما افرز تعايشا وانسجاما بين البروتستانتية واليهودية لا سيما الأصولية منها وبقت في إطار الفكر والممارسة حتى الآن[536].

وانسجاما لما سبق فإن المحافظين يعدون خليطا من الثقافات اليهودية والمسيحية وامتدادا لشريعة موسى (ص)، الذي جاء عنه إنجيل العهد القديم، وأمتد إليه إنجيل العهد الجديد، وتتحدد الفكرة السياسية بتعاليم الإنجيل وقيم التاريخ، وعقلانية النخب التي تصيغ الأيدلوجيا السياسية بما يتلاءم مع الفلسفة الواقعية

---

533 – ادريس هاني، الأيدلوجيا بين الحقيقة والزيف، الوثيقة، عالم الفكر، مج36، ع3 (يناير –مارس 2008) ص228–237.

534 – مركز دراسات قناة النيل الثقافية، بيئة العقل الامريكي: دراسة جذور وتكوين الوعي الامريكي المعاصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003) ص109.

535 – سمير مرقس، رسالة في الاصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الامريكية، ط1 (القاهرة: مكتبة الشروق 2001) ص5.

536 – نفسه، ص6

وتأدية الدور القومي في العالم، ومن هذا المنطق الديني فقد تحول الإنجيل وتعاليم الحب والسلام إلى أيدلوجية بروتستانتية تنتجها مصانع الأيدلوجيا وفقا لما تمليه عليهم المصالح القومية، وقد صدر عن معهد مشروع القرن الأمريكي الجديد التابع للمحافظين موضوعا بعنوان "إعادة بناء الدفاعات الأمريكية: الاستراتيجية، القوات، ومصادر القرن الجديد جاء فيه " أن الحرب العالمية الأمريكية والجناح السياسي للأصولية الإسلامية بدأت من غزو العراق وأفغانستان كنوع من الاعتبارات التكتيكية في سلسلة من الإجراءات والإجراءات المضادة ووضعت اللبنات الرئيسية لامتدادها في المستقبل[537].

وتتميز أمريكا بالقوة العسكرية في إدارة الصراعات العالمية وحماية مصالحها القومية، باعتبارها قبلة القيم البشرية وراعية حقوق الإنسان، والرائدة في قيمها الدينية والأخلاقية التي يعطيها الشرعية الدولية والاجتماعية[538] لاتسامها بعدة سمات أهمها: أيدلوجيا الصدام الحضاري ونهاية التاريخ، ويقوم على أساس الحروب العقائدية وفكرة الحروب الصليبية، وقد جاء في كتاب نهاية التاريخ أن الأصولية الإسلامية هي الأيدلوجيا التي تهدد مصالح الدول الديمقراطية الليبرالية خصوصا في المناطق التي امتدت إليها الثقافة الإسلامية[539] وتصاعد نمو الأقليات العربية داخل النسيج الأوربي والأمريكي، وانطلاقا من هذه الأيدلوجية احتلت اليمن ومنطقة القرن الإفريقي مكانة خاصة في أولويات السياسة الأمريكية لأهميتهما المتميز في تطويق العالم الإسلامي، وضرب أي أهداف عسكرية في منطقة الشرق الأوسط؛ والذي يمثل وفقا لـ"هانتنجتون" العدو في القرن الواحد والعشرين.

كما أن اليمن كانت مركزا إشعاعيا عبر التاريخ، إضافة إلى تواجد المجاهدين اليمنيين الممتد عبر قوس الأزمات من أفغانستان شمالا إلى عدن جنوبا، والنصوص الإسلامية تؤكد الدور الديني لليمن تاريخيا ابتداء بالأنصار ثم اليمانية التى كان لها قامت بهك دولة العباسيين ودولة بني أمية، كما تتميز بقربها من المراكز التاريخية والدينية بما في ذلك مكة والمدينة، ويتمدد الكثير من أهلها في هذه المناطق المقدسة. ويشير الواقع إلى دور اليمن في دعم المقاومة الفلسطينية رغم ظروفه الاقتصادية، كما يرون أن الإسلام الوهابي القريب من اليمن والمنسجم معها أيديولوجيا من أكثر الحركات الإسلامية تطرفا حيث يقوم برؤاه المستقبلية على الجهاد الإسلامي.

ويرى النظام الأمريكي أن السعودية من أكثر الدول دكتاتورية واستبدادا في العالم ومصدرا لنشر الإسلام المتطرف بالمدارس والمساجد الممتدة عالميا، وأنها وظفت إمكاناتها النفطية لمنع انتشار الإسلام المعتدل؛ الذي يدعو إلى قيم التعايش والتسامح والمساواة والاندماج[540]، ومن ثم أعادت أمريكا تدوير التهديد الأصفر بفلسفة الإرهاب الأخضر لضمان استمرار التأهب ودعم ميزانية الدفاع لمواجهته، والذي حل بديلا عن التهديد السوفيتي، ولضمان انقياد أوروبا تحت إدارة القيادة الأمريكية.

---

537 – اميمة عبود، مرجع سابق، ص 55.

538 – المرجع نفسه، ص55.

539 – ماجدة صالح، الحركات الاصولية الاسلامية في أوروبا، اتجاهات حديثة في علم السياسة في على الدين هلال ومحمود اسماعيل محرران، المجلس الاعلى للجامعات (القاهرة: اللجنة العلمية للعلوم السياسية والادارة العامة 1999) ص299.

540 – مايكل نورتكوت، الملاك يوجه العاصفة، ترجمة، عبد الرحمن الشيخ، ط1(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 2006) ص 51.

كما تعتقد العقلانية الدينية للبروتستانتية الصهيونية بخطورة شبه الجزيرة العربية كقوة دينية واقتصادية إلى جانب القرن الإفريقي، واحتمالية تأثيرهما على الاقتصاد الدولي، كما يُبرز التاريخ الدور اليمني في الفتوحات حيث يُوصف بالأكثر انتشارا وتأثيرا في منطقة القرن الإفريقي ومناطق العالم، وقد ورد عن كوندوليزا رايس: وزيرة الخارجية الأمريكية " إن تحرك الإدارة الأمريكية ينطلق من عدة سمات دينية يمينية محافظة في دراسة المتغيرات القائمة على التفسيرات الدينية والعقلانية السياسية في الحفاظ المستقبلي على المصلحة القومية العلياء في ممارسة دورها العالمي اقتصاديا وثقافيا، وأنها الدينامية المستمرة لحركة التاريخ التي ستحقق كيانا إمبراطوريا يسعى للوجود في كل بقعة من بقاع الأرض"[541].

وكما استخدمت أمريكا أفغانستان لاحتواء وتفكيك الاتحاد السوفتي واختراق المنطقة المطلة على الخليج فإنها تسعى لاحتواء وتفكيك كل من تركيا وإيران وباكستان. ويليه بعد ذلك الموقع الجيوعسكري للعراق باعتباره مفتاح الشرق الخليج والشرق الأوسط ومنطقة احتواء لإيران وتركيا من جميع أقطارها الجيوسياسية، ومنطقة حماية لتل أبيب من التحركات العسكرية وسيليها مستقبلا بلاد الشام ولن يكون إلا بتفككها أولا عبر دعم الإثنيات والطائفية والحركات التحررية والاجتماعية، ومن ثم التوجه إلى اليمن بمبررات محاربة الإرهاب، ومراقبة التمدد الحوثي وحماية الملاحة الدولية في البحر الأحمر، ومن ثم تفكيك دول مجلس التعاون الخليجي تمهيدا لتجزئة السعودية طائفيا وجهويا.

وتنطلق السياسة الأمريكية من عدة مبادئ أيدلوجية تحدد السلوك الخارجي أهما:

1- الحرية التي ترى في الدين وجودها وانتصارها ونواتها، وأنها هبة الإله التي تمكنها حفظ حقوقها وقيادة العالم، وترى أن الاستبداد يُمكن أن يُستغنى به عن الإيمان. أما الحرية فلا غنى عنها[542].

2- الأحادية في سيادة النظام العالمي المعاصر وإعاقة أي تحركات تعيد توازن القوى أو الثنائية القطبية التي تسعى روسيا بوسائلها الدبلوماسية وتحالفاتها مع القوى الإقليمية والدول المناهضة للهيمنة الأمريكية لاستعادة الإرث السوفيتي.

3- النظام الأمريكي: حيث يمثل النموذج العالمي الأعظم الذي يمنح الشعب الثقة بنظامه ومبادئه وقوته لحماية المصالح القومية.

4- التوسع والهيمنة القائمة على مبادئ الامبريالية التاريخية والقيم المسيحية التي تمهد لقدوم المسيح (ص).

5- الامبريالية التقدمية وهي التي تجمع الموروث وتوظفه في الواقع العالمي وقد ترجمته السياسات الروزفلتية.

6- الليبرالية العالمية وهي من المبادئ التاريخية التي أصلتها المثالية الويلسونية.

---

541 – سمير مرقس، الإمبراطورية الامريكية: ثلاثية الثروة .. الدين.. القوة. من الحرب الاهلية الى ما بعد 11 سبتمبر، ط1 (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 1423- 2003) ص115.

542 – غيرتورد هيملفارب، الطرق الى الحداثة ، التنوير البريطاني والتنوير الفرنسي والتنوير اللامريكي، ترجمة، محمود سيد احمد، عالم المعرفة ع367 (الكويت: سبتمبر 2009)ص218.

7- الاحتواء وهي استراتيجية دفاعية تمنع من احتدام الصراع الذي قد يؤثر على الأمن المصالح القومية.

8- إصلاح لعالم بالقيم والثقافة الأمريكية والمبادئ الإنسانية التي تمارسها في سياساتها الدولية[543] وذلك بنشرها وإعادة تشكيل العالم على الحرية والديمقراطية.

ويرتكز الاستراتيجية الأمريكية على عدة مقومات رئيسية تتمثل أولها بالقوة الاقتصادية وسيطرتها على مصادر الطاقة والثروة، وتحكمها بطرق المواصلات الدولية؛ وسيطرتها على نظام المالية لعالمية والاقتصاد الحر، والأسواق المفتوحة، بالإضافة إلى قوة ثقافتها في نظام العولمة التى تهدف إلى تمزيق الروح القومية والوطنية للشعوب الأخرى، وأحاديتها القطبية في إدارة النظام العالمي الجديد بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وانتشار قواعدها العسكرية؛ كل تلك المقومات استخدمت لإخضاع دول الشرق الأوسط للتصنيف بين دول صديقه وموالية ودول مارقة ومهددة لأمن واستقرار المنطقة وأمن إسرائيل[544].

حيث تتحدد السياسة الأمريكية بالثروة، والدين، والقوة، والذي مكنها من الانتقال بين سياسة العصا والمثالية المبنية على القيم الأمريكية، والسياسات الناعمة، دون استبعاد القوة أو اهمالها للدفاع عن القيادة الأحادية، ونشر القيم الأمريكية، تنمية المصالح القومية[545]. وبالتالي فإن أمريكا أسست علاقاتها الدولية انطلاقا من كونها منارة يستهدى بها في تطبيق القيم الأمريكية، إضافة إلى كونها محاربا أصوليا يدافع عن هذه القيم ويتبنى نشرها عالميا.

كما يؤكد كيسنجر:" إن المدرستين الانعزالية والتبشيرية كانتا انعكاسا لثقة أمريكا بنفسها وتمتلك أفضل نظام حكومي، وعلى دول العالم التخلي عن الدبلوماسية التقليدية، وتأخذ من الاحترام الأمريكي للقانون الدولي والديمقراطية لتحقيق الرخاء والسلام، وتقوم الرؤية الأمريكية في العالم على فكرة الأمة النموذج المكلفة بنشر القيم الأمريكية، ومسؤولية الدخول في الحرب من لإعادة تشكيل العالم على صورتها، وأنها الأمة الأعظم القائمة على الذاتية الخلاقة، والمسؤولية المسيحية[546]. وفي المقابل في السلوك السياسي الأمريكي في العلاقات الدولية يتخذ سياستين:

أولا: الانطواء: ويوظف لمعالجة أزمة التدخل الدولي الذي قد يضعف قوتها على غرار السوفيت في افغانستان، أو معالجة الأزمة المحلية كما حدث في عهد الرئيس كلينتون، ومن ثم تمارس الدور السياسي والإعلامي والاستخبارتي لدراسة الواقع وتنمية عدة سياستها أهمها:

543 – مركز دراسات قناة النيل الثقافية ، مرجع سابق، ص 69.

544 – عادل سليمان، الثورة في الشئون العسكرية: التداعيات والانعكاسات الدولية والإقليمية، قضايا، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ع14 (فبراير 2006) ص17.

545 – سمير مرقس، الإمبراطورية الأمريكية، مرجع سابق، ص 7- 8، 76.

546 – المرجع نفسه، ص 74.

1- الاستقطاب: ويقوم على منح مالية ومساعدات حكومية، واتفاقيات ثقافية وسياسية واقتصادية، وعلى هذا فان أمريكا تفضل الرؤساء المحليين الطبقيين الذين يقبلون المساعدات، ويمارسون الفساد ضد مصالح مواطنيهم ويوسع الفجوة بين الشعب والسلطة ويضمن رعاية مصالح المستعمر[547].

2- الإدانة: وهي الصيغة القانونية التي تعمل على جمع ملفات الإثبات القانوني والدولي للإطاحة بالنظم والحركات المستهدفة، والتي يُحتمل تهديدها للمصالح الأمريكية.

3- التهديد: وهي مرحلة قبل التوقيت وفيها تستكمل ملفات الإدانة، ويؤجج العداء بين المواطنين والسلطة.

4- الزمن الاستراتيجي: وهو المرحلة التي تعيد الدور الأمريكي وتحوله من العزلة إلى التدخل ويأخذ وقتا استراتيجيا للانتقال وفقا لبنك المعلومات الصاعدة عن القوة والمجتمع والنظام والحلفاء المعارضين للنظام المتمرد عن إرادتها أو الذي لا يعول عليه في حماية المصالح القومية وتنفيذ السياسة الأمريكية.

ثانيا: سياسة التدخل، ويقوم على استراتيجية الحصار والاحتواء واضعاف القوة الاقتصادية للدولة المستهدفة، ثم التدخل السريع حينما تشعر أن مصالحها في خطر وتكون تابعة للممارسة الدبلوماسية وقد تتنوع إلى:

1- مرحلة التفكيك: وذلك باستخدام المكونات المحلية وخلق الصراعات بين القوى المحلية، وتجنيد حلفائها المعارضين للسلطة؛ من القبائل والحزبيات والطوائف والأقليات، إثارة مبادئ البعد الإنساني للدفاع عن حق المصير وحماية الأقليات وحقوق الإنسان وقيم الأمن والسلام الدولي، بما يمكنها من تدويل القضايا المحلية، وابرازها للجماهير العالمية.

2- مرحلة التبرير: وهو خطاب موجه للشعوب في العالم، حيث تضع المبررات أمام المجتمع الدولي، وتدعم سياسة التدخل في المنطقة، للدفاع عن القيم الدولية والعالمية التي يستهدف النظام المعادي لقيمها ومصالحها.

3- سياسة التحالف والشراكة: وتتخذ لها عدة تحالفات منها ما يكون على المستوى الداخلي، وتبرر فيه للتدخل في الشؤون الداخلية عبر الدعوات الوطنية والشعبية أو الثورات الجماهيرية ودعم المكونات المحلية التي تقبل شروطها ولديها من الامكانيات ما يؤهلها لتفكيك النظام السياسي، ثم تشكيل التحالف الاقليمي العسكري مع دول الجوار المحيطة بالدولة المستهدفة وهذه تمهد للتحالف الدولي أو تمكن من فرض قوانين الأمم المتحدة وتوطين القوة الدولية في مناطق الصراع وفقا للاستراتيجية الأمريكية المعاصرة.

4- مرحلة الإنقاذ: وذلك بعد اكتمال مراحل التدرج السابقة حيث تمارس الدور الاستراتيجي وبناء القواعد العسكرية في المنطقة، أو الاحتلال عبر شرعية الأمم المتحدة، ومن ثم إدارة الدولة المحتلة بطرق شبه مباشرة كما حدث في العراق وجيبوتي وأفغانستان، أو غير مباشرة كما سائد مع دول مجلس التعاون الخليجي ومصر وغيرها.

---

547 – مايكل نورتكوت، ص41.

وبالنسبة للسعودية فإنها متقيدة بالدور الأمريكي، وأن القواعد الاستخباراتية التي استخدمت للإطاحة بمصدق كرد على تأميمه الحقول النفطية ومصافي التكرير، والذي ترتب عليه استحواذ الهيمنة الأمريكية البريطانية على 80% من إنتاج البترول، بينما لم يتبقى للإيرانيين سوى 20%[548] سينطبق على أي محاولة سعودية أو خليجية للخروج عن التبعية الأمريكية، مما يعرض الدول لسلسلة من الصراعات الطائفية، وبقاء النظم الخليجية والسعودية على بقاء التحالف سيرهق ميزانية الدولة، وسيضر بالتنمية ويدخلها في سلسلة من الصراعات الاجتماعية.

ويتوقع الباحث صراعا محليا ودوليا على الثروة النفطية، كانعكاس طبيعي لارتفاع نسبة البطالة في الدول النفطية ذاتها، واتساع الفجوة بين طبقة الأغنياء والفقراء من جهة أخرى، وزيادة مطالب الأسرة الحاكمة ونفقاتها مع ضعف الموارد من جهة ثالثة، والتهديدات الدولية والإقليمية من جهة ومطامعها من جهة رابعة، أو قد تدخل المنطقة في سلسلة من الصراعات الدولية لاقتسام المصالح في المنطقة ومواجهة واشنطن التي تمارس السيادة في:

1- احتكار الشرعية الدولية وتضمين التحالف الدولي تحت قيادتها لتدمير القوى المناهضة للاحتلال في المنطقة كما حصل في العراق وأفغانستان.
2- اقتصادها الحربي الذي سيستهدف الموارد النفطية الخليجية ورأس المال الاجتماعي الخليجي، ومن جهة أخرى تطويع الاتحاد الأوربي أو تفكيكه، وضمان تبعية الدول الأسيوية الحليفة للنظام الأمريكي وذلك باستغلال اليابان لمواجهة الصين، وبريطانيا لمواجهة دول الاتحاد الأوربي.
3- إقامة قواعد أمريكية لضمان تدفق النفط الخليجي السعودي عبر كل من المحيط الهندي واليمن والقرن الإفريقي والبحر الأحمر ومضيق هرمز.
4- طرد العمالة العربية من الخليج والسعودية واستبدالها بعمالة أجنبية لتمزيق الهوية والوطنية والقيم العربية والإسلامية عبر الامتداد الزمني، ومن ثم تضمين حقوق الأقليات وحمايتها، وإعادة تغيير المناهج الدراسية وفقا للمعايير والقيم الأمريكية.
5- تنشيط الدور الإيراني في الخليج والسعودية واليمن وضمان تواصل الأقليات الشيعية مع المركز في إيران للضغط على دول المنطقة السنية بما في ذلك مصر، من أجل تحقيق ولائهما للولايات المتحدة الأمريكية، وتحقيق الانسجام في محاربة الإرهاب، وتامين المنفذ الشمالي للبحر الأحمر عبر الشراكة المتوقعة بين مصر وإسرائيل والأردن، وفي المقابل تأمين المنفذ الجنوبي للبحر الأحمر عن طريق القواعد الأمريكية والإسرائيلية واليمنية في البحر الأحمر والقرن الإفريقي والسواحل اليمنية وجزرها.
6- توتير العلاقة على مستوى الشعوب والأنظمة في الجزيرة لعربية، بما يساعد على امتداد جسر التواصل الإيراني العراقي داخل شعوب المنطقة. وتحديدا في المناطق الشيعية، واستغلال ظروف اليمن الاقتصادية وغياب التعليم والجهل لنشر المذهب الجعفري والاسماعيلي وتطويق المد السلفي الوهابي في المنطقة.

548 – مايكل نور ثكوت، مرجع سابق 23،

7- رعاية العمالة الهندية في الخليج العربي والجزيرة العربية، وإشراك الهند في حماية عمالتها باعتبارها دولة صاعدة في النظام الدولي.

8- تشجيع الصين للاستثمار في القرن الإفريقي والجزيرة العربية لتحييدها مستقبلا عن مناوأة السياسة العسكرية الأمريكية في المنطقة انطلاقا من المصالح المشتركة بينهما.

9- استغلال الأوضاع الغير مستقلة في هذه الدول تحت مسمى الإرهاب لتوتير العلاقة بين النظم السياسية والنظم الدينية والشعبية، وفرض السياسات الأمريكية وفقا لما تمليه مصلحة الأمن القومي الأمريكي.

الخاتمة:

تعتبر اليمن وفقا للاستراتيجية الحربية الأمريكية في الطرف الثاني من قوس الأزمات الذي بدايته أفغانستان، كما تتوسط أربع مناطق استراتيجية في المنطقة الممتدة الممتد من أفغانستان شمالا إلى عدن جنوبا، ومن مصر غربا إلى باكستان شرقا والذي تبدأ بموقعها في منطقة شبه الجزيرة العربية التي يمكن من خلالها توجيه الضرابات الجوية المباشرة إلى العراق ودول الخليج العربي، أما المنطقة الثانية فتشمل البحر ابتداء من مضيق باب المندب وحتى بوابته الشمالية باتجاه مصر والأردن، وموقعه الاستراتيجي المقابل لمنطقة القرن الأفريقي، ويضم جيبوتي وأثيوبيا وإريتريا والصومال وكينيا والسودان وجزر سيشل. أما الثاني فموقع البحري الذي يربط منطقة جنوب ووسط آسيا، وحتى أفغانستان وإيران وباكستان وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية (كازاخستان وقرغيزيا وطاجيكستان وتركمانستان وأوزبكستان).

وتهدف من ذلك إلى تحقيق ثلاثة أهداف أساسية الأول: تكتيكي: وذلك بإنشاء قاعدة إمداد خلفي لضرب إيران إذا ما مارست نفوذها الجغرافي في إغلاق مضيق هرمز، والثاني استراتيجي: يتمثل في السيطرة على اليمن ومنطقة القرن الإفريقي واحتواء منطقة الخليج والسعودية. والثالث: تأمين امداد النفط إذا اتسعت دائرة التهديدات الطائفية في منطقة الشام والعراق أو دخلت في صراع مع إيران.

ومن هذا المنطلق جاءت استراتيجية التحالف الأمريكي والبريطاني باقتراح بروان وتهدف إلى استغلال اليمن كموقع عسكري استراتيجي لتميزها بصلاحية موانيها ومطاراتها للاستخدام الحربي، والإشراف المباشر على مضيق باب المندب والمحيط الهندي وخليج عدن، ومواجهة التهديدات المتطرفة من دول القرن الأفريقي.

وستكون اليمن متهيئة لهذه الاستراتيجية إما باستخدام الظروف الاقتصادية وأزمة الدولة والتنمية والحراك في الجنوب وأحداث صعدة في الشمال وكلها دفعت بموافقة النظام السياسي للشراكة، ولكن الشراكة لن تستمر لاحتمالية دخول اليمن في مرحلة الصراع على السلطة بعد موت الرئيس، وهناك سيأتي الدور العسكري الأمريكي المباشر للتدخل في إدارة الأزمة، واستغلال مستجدات الصراع السياسي على السلطة ومراقبة تطوراتها عبر قوات حلف الأطلسي على الشريط الساحلي، ومن ثم التدخل بنقل الصراع إلى العاصمة صنعاء ومحيطها، بعيدا عن المناطق الحيوية على البحر الأحمر أو ما يهدد الملاحة الدولية، ونقل الصراع الجنوبي إلى الضالع واحتوائها وادخال مدينة عدن تحت الحماية الأمريكية الدولية، وتدمير القوات العسكرية إما بضربه مع بعضه، أو تكليفه بمحاربة الإرهاب، أو إدخاله في حروب إقليمية ومحلية لإضعافه وتدمير إمكانياته العسكرية.

ويمكن إجمال التصورات المستقبلية للواقع السياسي في منطقة الخليج العربي كما يلي:

1- توافق السلوك الخليجي السعودي المصري الأردني باستثناء دولة قطر ودخول اليمن في الدور التابع دون تأثير لها على الساحة الإقليمية والمحلية بعد فشل مجلس التعاون العربي بين مصر والعراق واليمن والأردن.

2- تمزق الدور التعاوني بين محور الدول المتأزمة اقتصاديا أو سياسيا والمتمثلة بالأردن واليمن وفلسطين والعراق ومن ثم تذبذب العراق بين مركزها التاريخي في النجف والدور القيادي لقم الإيرانية في عدة نقاط يكون فيها اتفاق واختلاق واختلاف

3- تقارب الإرادة السياسية الأردنية مع الدور المصري الأمريكي الخليجي.

4- تقارب النظام السوري بسبب الضغوط الأمريكية والخليجية مع إيران على غرار تقاربه معها ضد العراق.

5- دمج لبنان في مثل الصراع المتوقع في العراق وسوريا على أسس مذهبية وإثنية.

6- تمييع قضية فلسطين وتوسع اسرائيل في المنطقة، وتقسيم المنطقة إلى عدة دويلات إثنية ومذهبية.

7- اسقاط النظام السوداني وتقسيم الدولة إلى عدة مناطق جهوية

8- إثارة الصراع الإثني الثقافي والقطر في دول المغرب العربي وقطع تواصله بالمشرق العربي.

9- إبراز الخطاب الديني والمعارضة الدينية مما يزيد مزيدا من الشقاق والاختلاف الداخلي، وتحكيم الغرب في القضايا الداخلية نتيجة للاستبداد السياسي من جهة، وغياب مخاطر التهديد الخارجي والوعي السياسي للحكام والمعارضة من جهة أخرى، وقد أدت الأزمات الاقتصادية وفشل التنمية في الوطن العربي إلى:

أ- زيادة شعبية التيار الديني واحتمالية وصوله إلى السلطة عبر الاقتراع الديمقراط، وتجديد تجربة السلفية لعباس مدني في الجزائر.

ب-انكشاف الأنظمة العربية أمام شعوبها سياسيا وعسكريا واقتصاديا ووطنيا وقوميا.

ت-بروز الخلافات البينية وحب السلطة والاستبداد وهتك حقوق الإنسان مما ينذر بقيام ثورة شعبية على أنظمة الحكم تمهد لتجزئة الدولة إلى دويلات ومقاطعات مستقلة.

ث-انكشاف العلماء الرسميين أمام شعوبهم وتراجع المؤسسات الدينية وانحطاطها في الوعي الشعبي العام؛ كما حصل في الأزهر وفتوى الجدار العازل، وفتوى الاستعانة بالمحتل إثناء أزمة الخليج العربي، وفتوى الغنائم أثناء حرب الانفصال في اليمن.

أما اليمن ونظرا لغياب سلطة الدولة، القائمة على تقاسم النفوذ بين القبيلة والعسكر وغياب سلطة الدولة وقوانينها، وأزمة الوعي السياسي والوعي بالمشاركة السياسية والتلاعب بالديمقراطية، فإنها ستخضع لعدد من المتغيرات أهمها:

أ- الضغط الأمريكي على النظام اليمني لمحاربة الإرهاب وتوسيع الفجوة والتماسك بين السلطة والجماهير، والقبيلة والمؤسسات العسكرية، أو دعم الحراك في الجنوب والشيعة في الشمال، **واضعاف** النظام السياسي بفتح ملفات المعارضة، وحقوق الإنسان والديمقراطية وفتح ملفات الحرب في صعدة، وشبوة وأبين تمهيدا لإسقاطه بقوى محلية.

ب-إلجاء النظام الى استخدام القوة العسكرية ضد السعودية للفرار من الأزمات الاقتصادية المحلية والضغوط الشعبية، أو دفع الأحزاب نحو استغلال الظروف الاقتصادية للموطنين والقيام بثورة شعبية لإسقاط النظام.

ت-إنشاء قواعد عسكرية أمريكية أوربية بدعوى مكافحة الإرهاب المهددة للملاحة الدولية في البحر الأحمر والبحر المتوسط والمحيط الهندي وخليج عدن، عزيز التعاون العسكري، واستخدم المطارات والموانئ اليمنية لمكافحة الإرهاب المهددة للمصالح الأمريكية الأوربية.

ث-تشكيل فرقة خاصة مهمتها تحديد مصادر الإرهاب وأماكن تواجدهم حتى لتسهيل مهام القوات الأمريكية في توجيه الضربات بمختلف الأسلحة المتطورة والحديثة.

ج- نشر القوات الأمريكية في الأماكن الحيوية والمناطق الغنية بالنفط على طول الشريط الساحلي للبحر الأحمر والمناطق الصحراوية اليمنية.

ح- وضع قوى أمريكية دولية تتولى مهمة حماية الملاحة الدولية في البحر الأحمر وعلى الموانئ والجزر اليمنية والسيطرة على مراكز إدارة المؤسسات العسكرية على غرار دول الخليج أو عبر المشاركة الاستراتيجية، ومنع تدفق الأسلحة إلى أي قوى يمنية، أو أن تصل إلى النظام السياسي إلا بإذن مسبق من قائد القوات الأمريكية في المنطقة.

خ- ضرب منابع الإسلام الجهادي في اليمن والسعودية والخليج العربي، وبناء منظومة إقليمية مجزأة على أسس قبلية وجهوية وطائفية.

د- تفكيك اليمن إلى دويلات وسلطنات وكيانات هزيلة متصارعة ومتناحرة.

ذ- تصنيف المحافظات وفقا للتجانس القبلي إلى المنطقة الوسطى، والحديدة، وحضرموت، وعدن ولحج، والضالع وشبوة، ومأرب والجوف، صعدة وصنعاء وذمار.

المراجع:

1. إبراهيم بشمى، مملكة هرمز..الفقاعة الذهبية، ط1(المنامة: مؤسسة الأيام للصحافة، د.ت)
2. ادريس هاني، الأيدلوجيا بين الحقيقة والزيف، الوثيقة، عالم الفكر، مج36، ع3 (يناير –مارس 2008)
3. اشرف سليمان غربيال، الامن البحري ومشكلاته المحتملة في منطقة الشرق الاوسط، قضايا، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ع20(اغسطس 2006)
4. الأميريال بيير سيليريه، الجغرافيا السياسية والجغرافية الاستراتيجية، ترجمة، أحمد عبد الكريم، ط1 (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1988)
5. اميمة عبود، المحافظون الجدد "قراءة في خرائط الفكر والحركة"، ط1(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 2003) ص 55.
6. انطون متى، الخليج العربي من الاستعمار البريطاني حتى الثورة الإيرانية (1798– 1978)، ط1 (بيروت: دار الجيل 1423– 1993)
7. بيارسالينجر، اريك لوران، حرب الخليج"الملف السري"،ط11 (شركة المطبوعات، 1414– 1993).
8. تمام همام تمام، تطور حركة الجهاد الوطني في الصومال (القاهرة: دار النهضة العربية، 1983).
9. جمال محمد الدويري: القرن الافريقي في الاستراتيجية العربية ، دراسة في الامن القومي اليمني تحت التأليف
10. جمال الهاشمي، اليمن ومخاطر التهديد الأمريكي (مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة–صنعاء)
11. جمال الهاشمي، اليمن ومنطقة القرن الافريقي: التداعيات والمستجدات (مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة–صنعاء)
12. جمال محمد، البرنامج النووي الإيراني والضغوط الدولية (مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة)
13. جمال محمد، اولويات السياسة الخارجية للدول العظمى بين استراتيجية العقائد وتحقيق المصالح (مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة، صنعاء)
14. جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، تعريب، محمد توفيق البجيرمي، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان 2003) حسين بن علي الويسى، اليمن الكبرى "كتاب جغرافي جولوجي تاريخي"،ج1 (صنعاء: مكتبة الارشاد د.ت)
15. سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي (العراق: منشورات وازرة الثقافة والاعلام–دار الرشيد للنشر)
16. سمير مرقس، الإمبراطورية الامريكية: ثلاثية الثروة .. الدين.. القوة. من الحرب الاهلية الى ما بعد 11 سبتمبر، ط1 (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 1423– 2003)

17. سمير مرقس، رسالة في الاصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الامريكية، ط1 (القاهرة: مكتبة الشروق 2001)
18. صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي، عالم المعرفة، ع49 (الكويت، ربع اول–ربيع اخر 1402هـ –يناير 1982)
19. الطيب البكوش، الخليج العربي بين الهيمنة والارتزاق (نشر مؤسسات عبد الكريم عبدالله، د.ت)
20. عادل سليمان، الثورة في الشئون العسكرية: التداعيات والانعكاسات الدولية والإقليمية، قضايا، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ع14 (فبراير 2006)
21. عبد المالك خلف التميمي، الشك في الوثائق الرسمية "الوثائق البريطانية عن منطقة الخليج العربي نموذجا"، عالم الفكر، مج36 (ع3 يناير– مارس 2008)
22. علي محمد عبد الواحد القاسيمي، الموقف الامريكي وتطوير الشراكة مع اليمن ومبادرة براون (صنعاء: مركز الدراسات الاستراتيجية، 1430)
23. غيرتورد هيملفارب، الطرق الى الحداثة، التنوير البريطاني والتنوير الفرنسي والتنوير اللامريكي، ترجمة، محمود سيد احمد، عالم المعرفة الكويت، ع367(سبتمبر 2009)
24. فيرجينيو رونيوي، أوربا.. كيف تسهم في استقرار الشرق الاوسط، ماذا بعد عاصفة الخليج: رؤية عالمية مستقبلية، اط1 (لقاهرة، مركز الاهرام للتوزيع والنشر 1992)
25. لؤي بكر الطيار، امن الخليج العربي، مركز الدراسات العربي الاوربي، ط1 (بيروت 1999)
26. ماجدة صالح، الحركات الاصولية الاسلامية في أوروبا، اتجاهات حديثة في علم السياسة في على الدين هلال ومحمود اسماعيل محرران، المجلس الاعلى للجامعات (القاهرة: اللجنة العلمية للعلوم السياسية والادارة العامة 1999)
27. مايكل نورتكوت، الملاك يوجه العاصفة، ترجمة، عبد الرحمن الشيخ، ط1(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية 2006)
28. محمد حسن العيدروس، العلاقات العربية الأفريقية، ط1 (أبو ظبي: دار المتنبي، دت)
29. محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج: في الفترة ما بين (1507–1525) (الإمارات: مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات، د.ت)
30. مركز دراسات قناة النيل الثقافية، بيئة العقل الامريكي: دراسة جذور وتكوين الوعي الامريكي المعاصر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب2003)
31. الموسوعة البرتغالية، تاريخ الخليج والبحر الاحمر في اسفار بيدرو تخسيرا (مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر 1996)
32. يسرى الجواهري، الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية (القاهرة: موسسة شباب الجامعة، 1993)

1. Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, Foreign Affairs Vol. 21, No. 4 (New York: Council on Foreign July 1943)
2. Tanguy Struye de Swielande, Geopolitique de l'Afrique, le retour de Washington sur le continent africain, Diplomatie Magazine, n°12 (janvier-février 2005)

مواقع الانترنت.

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=94219، إبريل-نيسان 2007.

http://www.almasdaronline.com/index.php?page=news&articlesection=1&newsi
29/ 12/2009م

جين نوفاك الإثنين 09 إبريل-نيسان

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=94219،2007

اخبار حضرموت http://www.yemenews.net/news_details.php?sid=1557

قراءة في كتاب
المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية

طارق عبد الوهاب

صدر عن مركز الإصباح للدراسات الحضارية والسياسية والاستراتيجية كتاب "المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية للدكتور جمال محمد الهاشمي موزعة بين مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين في505 صفحة وبدوري سوف أقوم بقراءة الكتاب قراءة منهجية قراءة سريعة، ولا أدعي أني أحطت بكل ما فيه وذلك لعدة أسباب الأول: منها أن الدراسة تدخل ضمن قراءة جديدة ومنهج جديد لم أقف عليه قبلا، فهي تندرج ضمن حقول متعددة وتخصصات مختلفة في قراءة موسوعية للواقع السياسي والاجتماعي والعقائدي والجغرافي والثقافي وغيرها .. كما تضمن الباحث عدة مجالات منها النظريات السياسية باعتبار السياسة مفهوم شمولي ترتبط بالنظريات الاجتماعية والنفسية وغيرها من النظريات التي أعاد الباحث تركيبها وتأطيرها لتأصيل مدخل منهجي جديد للتعامل مع الدراسات أطل عليها المحددات وهي مهمة للقارئ المختصص فلا يستغني عنه السياسي كما لا تستغني عنه التخصصات الأخري المختلفة.

تنتمي الدراسة إلى حقل النظريات السياسية ومن خلالها سعى الباحث إلى تأصيل المحددات الرئيسية التي تتحكم بطبيعة العلاقات الدولية حيث بدأ الفصل التمهيدي بتحليل القراءات المرجعية للقوى المؤثرة والفاعلة على الساحة وتتضمن في هذا الفصل تحديد الأمومة الدينية في سياق قراءته للأمم المتولدة عنها أو العقائد المتشكلة بها والمكونات الإثنية والطائفية التي تتشكل بها في قراءته للديانات العابرة للدول أو تلك الديانات التي استطاعت تفريخ معتقدات بأنماطها القومية واللغوية في سياقاتها التاريخية، ويجمع بين الأصل المرجعي والمتأصل به. كما أشار إلى نمط آخر من الديانات الاندماجية التي تشكلت عبر تطوراتها التاريخية واقتباسها أصولا ومفاهيم وأدبيات من مختلف الديانات كالديانة البوذية التي تجمع بين الفلسفة الأخلاقية للكونفوشيوسية والفلسفة الطبيعية عن الطاوية وفلسفة المخلص عن المسيحية وغيرها وفي السياق ذاته أشار إلى تلك المرجعيات الأم باعتبارها الأصول البنوية التي يبنى عليها غيرها.

ثم انتقل إلى الفصل الأول حيث أشار إلى أهمية الدين كضرورة للجنس البشري، لم يتخلى عنه حتى أولئك الذين يؤلهون العدم كمذهب مناقض للوجود في فلسفة سوفسطائية تعتقد بانتفاء قيمة الإنسان والأخلاق والأديان وفي الوقت ذاته تدعو الإنسان إلى الارتقاء بفكره عن مرتبة الحيوان غير المدرك للعدم إلى مرتبة المدرك للعدم وفي إدراكه للعدم إدراكا لنقيضه المتمثل بالوجود، أو التأليهين (مصطلح يشير إلى عباد الطبيعة) أصحاب التفسيرات البيولوجية التي بها تتحدد طبيعة العلاقة بين الأجناس البشرية على أساس معيار القوة والتي تطورت عنها معتقدات كالنازية والفاشستية أو نظريات بيولوجية كنظرية دارون والنظريات الواقعية التي ما تزال تتحكم بطبيعة العلاقات الدولية.

ويجادل بأن الأديان من الضروريات للجنس البشري باختلاف مصادرها المتعدد بين تلك النابعة عن الوحي، أو العقل، أو القانون، وتلك الديانات النابعة عن السلوك، أو العلم، وديانات تخيلية أو إنسانية وأخرى أسطورية أو اندماجية ولكل ديانة صيغة حضارية خاصة بها، ودولة تؤطر معتقداتها في صيغ أخلاقية وإنسانية أكثر مثالية تعبر عن إستراتيجية الأدوات الناعمة التي تستبطن فيها الأدوات الصلبة أو التي تعيد رتيب الانتقال من دبلوماسية الترغيب إلى دبلوماسية الإرهاب أو العكس فيما يعرف بالعصا والجزرة.

وقد توصل الباحث إلى أن الديانات العالمية من حيث المرجعية تتوزع بين ديانات حيوية واختزلها في الديانات السماوية القائمة على الوحي الصحيح. ثم الديانات التقليدية:وهي تلك الديانات التاريخية أو تلك التي شكلها العقل الإنساني في التاريخ وقد تجمع بين عنصري المادة العقلانية التي جمعت بين الفكر والخبرة أو اقتصرت على أحدهما. ثم الديانات الاندماجية والتي تتكون من عدة أصول دينية وتقليدية وتهدف من ذلك إلى توحيد الديانات في مفهوم كلي وتسعى لتفسير المتناقضات بتأويلات فلسفية أخلاقية أو إنسانية. ثم استدرك وذكر كثيرا من المعتقدات التي تتشكل حسب مناهجها وطرقها وبيئاتها وجنسها في قراءة عميقة متتالية كشفت عن العمق الذي كان غالبا ما يشير إليه في دراسته، ومصطلح العمق لا يعبر عن الجذر الأول لتكوين الديانة وإنما التشكيلات المتكونة عنه، كما أن الأصولية لديه لا تعني الديانات الأصولية كما هو شائع في الأدبيات السياسية. وإنما يحدد الأصولية بالطريقة المنهجية التي تحدد طبيعة الدليل حسب قوته إلى دليل أصل ومتأصل عليه، ومتأصل عنه أو المؤول عنه حسب أفهام العقول ومداركها وتفسير العقل للأصل لا يعني حاكميته. مشيرا إلى حركة البروتستانتية كحركة أصولية اعتمدت النصوص التوراتية وهي بذلك قد تجاوزت مرحلة الكنيسة الكاثوليكية التقليدية التي تعصبت للتأويل الشخصي باعتماده على النص في الوقت التي تتناقض مع النص.

وخاض الباحث سجالا من النقاش والعصف الذهني والإفاضة بالأدلة بالتنقيب عن أصولها ومساءلتها وتحقيقها بإعادتها إلى أقدم جذور النشأة التي تحدد طبيعة المفهوم بالأصل وليس مجرد التعامل مع المفهوم كظاهرة اجتماعية وسياسية وحضارية.

اختزلت دراسته عددا كبيرا من المفاهيم الرئيسية والمتفرعة عنها وميز بين المفاهيم الأصولية والمتكون عنها، ونقائضها، والعلاقة الارتباطية بين تلك المفاهيم التي تحدد طبيعة السلوك وتحولاته في شخصية الفرد والدولة والتنظيمات المجتمعية وتشكل تلك المفاهيم معمارا هندسيا متعاليا وبنيويا أو معمار متخيلا وهادما تتجسد بها شخصية الفرد والثقافتين السياسية والاجتماعية، وقد تميز بالحشد المفاهيمي وقدرته على تحديد السببيات المنطقية في استكشاف المرجعيات الجينيولوجية والمتكون بها، و كذلك ميز بين الأصوليات والمتأصلات أو القراءات المنبثقة عنها وفق مدركات القراءة التي تتأثر بواقعها وتفرخ عنها عددا من المعتقدات الدينية المفسرة تفسيرا قوميا أو طبقيا وأخرى سياسيا وأثنيا.

وجمع بين التحديات التي حددها بالعامل الخارجي سواء منه السياسي والعسكري أو الثقافي والديني والمعوقات التي حددها بالتهديدات الداخلية التي منها الإثنية و الطبقية والطائفية، كما جمع بين المفاهيم العربية والمفاهيم الوافدة بمسمياتها وتاريخها وظروف نشأتها وتأثيرها وواقعها، وقدمت الدراسة بلغة جزلة

وعميقة ولغة فلسفية مركبة وأخرى قراءة أصولية. وتجد الكتابة تتنوع بتنوع الموضوعات التي يقوم بدراستها فنجده في سياق قراءته يعتمد على مناهج مختلفة تتناسبا تناسبا وصفيا وبنائيا مع الحالة التي يدرسها مما يعكس قدرته في التحليل على الجمع بين المناهج الغربية والشرقية والمناهج الإسلامية القديمة. ويغلب على دراسته الجانب الواقعي وتأثيراته على القيم من جهة وتأثير القيم على الواقع من جهة أخرى، فهو يرى أن هناك فروق بين النسبة والانتساب، فالأولى تعبر عن رؤية علمية تقاس بمقادير معينة تخضع للتجربة والانتساب للشيء بطريقة غير منطقية مع أن الحالتين جزء من الواقع المؤثر واللتان تتأثران به. وقد استطاع التعامل مع السرد النقلي والعقلي في وضع لبنات وأبنية من خلال مقاربة تاريخية بنيوية مقارنة.

أما من حيث تقسيماته المنهجية فقد أوقف الفصل الأول "المحددات الإستراتيجية التأسيسية وإشكالية التحولات الحضارية" على التكوينية أو تلك التي تعبر عن القيم المرجعية والبنوية، حيث أشار إليها بالمحددات للتعبير على أنها الأساس الرئيسي في تحديد طبيعة التوجهات الدولية والقوى الحضارية في علاقاتها مع الآخر وتفسيراتها له، كما جعلها أساسا لمعرفة التحولات الدولية والتنبؤ بسلوكيات الدول وأهدافها. وأخذت الأصولية صدارة المحددات بأنواعها الدينية والتاريخية والاندماجية، وقال بأنها من أهم الضوابط المحددة لكتابة البحوث الإنسانية. يتناول المبحث الأول"المحددات الأصولية وإشكالية التحولات الفكرية" فالأصولية عند الباحث لها رؤية منهجية علمية مختلفة عن التسميات السياسية والإعلامية التي توظفها الدول وفق أهدافها المرسومة لمواجهة الأخر وذلك من خلال طمس المفهوم وإلغاءه أو تجريمه واحتقاره تمهيدا لاجتثاثه والقضاء على مدركاته المنهجية. ومن هذه المفاهيم التي تعرضت للتشويه الأصولية التي ربطت بمفاهيم العنف والتطرف والإرهاب أو بسلوكيات شاذة أو متأولة تدعي نسبتها للمفهوم ومن ثم حدث الخلط الممنهج والهادف بين السلوك وبين المفهوم الذي يتناقض مع السلوك. كالخلط بين الأصولية الإسلامية كمفهوم منهجي وسلوك تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة وحزب الله. ومثله وصفت الكاثوليكية من قبل التنويرين بالأصولية، ووصفت البروتستانتية بناء على سلوك بعض طوائفها المتطرفة بالأصولية.

ومن ثم فرق الباحث بين الأصوليات من حيث النشأة والتكوين وفرق بين الأصولية الإسلامية التي هي في نظره رؤية منهجية وبين العقائد المتفرعة عنها كالتشيع الإيراني القومي والتشيع العربي القومي ويجمع بينهما رؤية المعتقد واختلافات متفاوتة تصل إلى حد التكفير كالخلاف بين الجعفرية والإسماعيلية والنصيرية والدرزية في حالة السلم مع طائفة السنة الشق الآخر للإسلام حيث أن العامل السني يعد من أهم مقومات توحد الشيعة أو تفرقها، وفي الوقت ذاته تتعارض المصالح بين طائفة التشيع الجعفري الإيراني والتشيع الجعفري العربي بيولوجيا وسياسيا وجغرافيا ولكل جنس رموز وقوميات تختلف عن الآخر.

كما ميز بين المعتقدات السنية على دائرتين كبيرتين تختلف عقائديا وتتعدد درجات التفريق بينهما على أساس استدعاء الغيبيات في الحكم على الآخر فيما يسمى الصراع على مفهوم الفرقة الناجية، ومن جهة أخرى فإن كل فرقة لها سياقات اجتماعية وثقافية وسياسية وبيولوجية ولغوية مختلفة عن الآخر.

وكذلك الأصوليات الأخرى كالبروتستانتية والكاثوليكية التي تحمل مناهج مختلفة في رؤيتها للعالمية وقد بين أن المنهج يحدد طريقة الأصولي أو الآلية في التعامل مع الأدلة وفقا لمقتضيات الواقع. وقد توصل إلى أن الأصولية الإسلامية ليست دعوة تاريخية تحاول نقل الظروف المرجعية إلى واقعها، بل تتسم بالرؤية المستقبلية التي تجمع بين الأصول الثابتة كمحددات لإعمال العقل في الواقع وفق ضوابط منطقية ترفع مدركات العقل من النقص إلى الكمال، وتتباين العقول في التعامل مع المناهج في الاستدلالات النقلية والعقلية.

ومن ثم فإنه يرى أن التعصب ليس صفة دينية وإنما هي صفة سياسية واقتصادية وثقافية تعالت على القيم الدينية واستخدمتها للدافع عن مصالحها باسم المقدس لدور عامل الغيب والمعتقد في تجنيد المؤمنين كالاستغلال السياسي للمؤمنين في الحرب الأفغانية وسعي الأحزاب الإسلامية للوصول إلى السلطة عبر الديمقراطية أو الثورة باسم الخلافة الإسلامية مؤكدين على أن الوسائل تأخذ حكم المقاصد وهي نفس سياسة مكيافيلي القائلة بأن الغاية تبرر الوسيلة مع اختلاف بينهما في صياغة المفهوم صياغة اعتقادية.

كما استغل الإسلاميون معاناة الشعب والظروف الاقتصادية بشعارات وضع الحلول الاقتصادية باسم الإسلام وتعبئة الشعوب باسم الثورة من أجل الإسلام وهي نفس السياسة التي استغلتها الماركسية في ثورة الطبقات مع اختلاف السياق والثقافات بينهما من حيث التبرير. ونتج عن ذلك ثقافة الأسلمة أو أسلمة الديمقراطية والمفاهيم الغربية كالثورة والمساواة والعلمانية والمدنية باسم الإسلام ليس من اجل الإسلام بل من اجل السلطة ولا يعني أن هذه المعتقدات ارتبطت بغاية وإنما لها صفة الديمومة المتسمرة.

ولهذه التجارب المعاصرة سياقات تاريخية عبرت عنها ثقافة الشعوب الهندية والصينية والأوربية باسم الخلاص والمخلص الذي يوازي مفهوم الإمامة والخلافة في الإسلام وإن تطورت بعضها إلى ثقافة المنقذ المنتظر.

وترتبط بعض تلك المكونات بالأصوليات المتولدة عن الديانات التقليدية والاندماجية والتي تتسم بالتصلب والتعصب اللامنطقي للطبقات اللاهوتية أو تلك الطبقات السياسية التي تدافع عن مصالحها في مواجهة الآخر.

وأشار الباحث إلى أن العرب جعلوا من الأصولية ظاهرة سياسية واجتماعية متجاهلين عمقها الأصولي تقليدا في النقل دون وعي بنسب المفاهيم. وقد أشار الباحث إلى المفهوم السلفي كأحد المفاهيم التي غالبا ما تترادف مع الأصولية عند الكتاب وفق سياقات وأهداف لها أبعاد سياسية ودينية مشيرا إلى أن ذلك خلط بين منهجية الدليل ورغبات الباحث وبين تسييس البحوث والانتفاع بها؛ فالمفهوم قد يتغير عن أصوله بتأثيرات السياق البيئي المحيط به مع أن السياقات تتنافى مع القواعد المنهجية للأصولية، وهنا يميز الباحث بين قراءة المفهوم من حيث نشأته الجذرية وقراءة المفهوم في سياقاته الثقافية والبيئية. فالأسماء تحمل المسمى وتتلازم معه في الأصل وإن افترقت عنه أصبحت مفاهيم وضعية اصطناعية قصديه تتعارض مع منطق البحث وعقلانيته ولأمانة العلمية كالبحوث الاجتماعية التي وظفت سياسيا لتصبح أحد أعمدة النظم السياسية في قراءة الآخر من منظور رؤيتها الإيمانية للعالم.

وتناول في المبحث الثاني:المحددات البيولوجية– العرقية وإشكالية التحولات الإثنولوجية. وقد حشد عدد من النظريات العنصرية البيولوجية والثيوقراطية وميز بين المحدد البيولوجي بمفهوم الاصطفاء والصفوة التي بدأت في الديانات السماوية ثم مفهوم الاختيار المرتبط بمفهوم الاصطفاء كاختيار الأنبياء لأعوانهم ومن ثم اختيار الأمة لرموزها حيث تتنوع صفة التكوينات الطبقية والعرقية من منظور المقدس كالاصطفاء الإلهي لبني إسرائيل في الثقافة البروتستانتية واليهودية والكاثوليكية أو باسم آل البيت عند الشيعة أو الانتخاب الطبيعي كما في نظرية دارون والفاشستية.

ومن ثم كان المحدد البيولوجي جزءا من الأصولية من حيث التكوين قبل أن يتحول مع العقلانيين إلى اختيار طبيعي التي هي استرجاعا للنظرية الدهرية القائلة بقوة الدهر وسلطانه.

ومن ثم توسعت النظريات التي أصلت لمعايير الاختلاف بين الأعراق على أسس جينية وشكلية وجهوية وبرزت الثقافة العنصرية وثقافة الأنا بفكرتها الطبيعية الجسمانية عبر عدة سياقات انحرفت عن مفهوم الاصطفاء الإلهي والاختيار النبوي. ومن ثم تشكلت النظريات الثيوقراطية واللاهوتية في إطار قيمها الأصولية، والنظريات البيولوجية والعرقية كنظرية البنوة والمخلص، والسوبرمان والتفوق الآري المتولدة عن قيمها التاريخية.

وجاء الفصل الثاني بعنوان المحددات الاستراتيجية البنائية وإشكاليات التحولات السياسية. حيث تناول القيم المادية التي أعادت تشكيل القيم البنيوية وفقا لطبيعتها المادية وتكتسب هذه المحددات صفة المتغير لارتباطها بمتغيرات المادة،وتأتي المحددات الجيبوليتكية والحضارية في المرتبة الثانية وهي متغيرة ومتطورة وتابعة للمحددات الأصولية والعرقية أو قد تكون مستقلة في إطارها، وتتجسد بهما إرادة الأصولية أو العرقيات في الواقع السياسي وواقع العلاقات الدولية كما تتحكم بمسيرة التحولات الحضارية والمتغيرات الدولية.

وفيه مبحثين تناول في الأول "المحددات الحضارية واستراتيجية الصدام الحضاري". حيث أشار إلى المحددات الحضارية وبنيتها الثقافية وهي عند اللاهوتيين والساسة والمفكرين إشكالية أصولية وثقافية، وعند الاقتصاديين والاجتماعيين إشكالية مادية وبيولوجية، وعند السلوكيين إشكالية فسيولوجية، وعند المدنيين والتنظيميين إشكالية حداثية، ويرى الباحث أن الحضارة مجردة عن الثقافة قيمة مادية بحته أكثر ما يعبر عنها ثقافة الاستهلاك المادي للكماليات وثقافة السوق وثقافة الصراع على الثروات الطبيعية، أما إذا ارتبطت بالجانب الثقافي فإن الثقافة في نظره ليست رؤية أصولية وإنما هي حالة عقلية ووجدانية وأخلاقية أو تنظيمية سياسية تسعى للقضاء على الدين والحلول مكانه وينبع عنها الثقافة التنظيمية وثقافة القانون والثقافة المدنية وهي في علاقة اندماجية مع الحضارة غالبا.

ويرى أن العلمانية جزءا من لرؤية المنهجية للقيم الحضارية المميزة بين إرادة الله وإرادة الأفراد، كما أن الأيدلوجية المدنية تقدم مبدأ الدولة على الدين وهي من منتجات الحضارة التي لا تصارع الدين لكونها مادة وإنما لكونها حركة مادية تبرهن وجودها بثقافة فوقية مستقلة عن الدين وتسعى لإلغائه والحلول مكانه، وبهذه الرؤية التكاملية تأصلت النظريات الاقتصادية التي تحكمت بالاقتصاد العالمي.

ويرى أن السياسات الاقتصادية هي تنظيمات حضارية تسعى لمراكمة الثروة عبر الشركات الاحتكارية ومن ثم تشكيل طبقة الأغنياء وطبقة الشعب الذين يشعرون بالحرية في أوطانهم ولكنهم لا يجدون ما يأكلون أو قد يكونوا مجرد أدوات مروجة ومستهلكة لمنتجات الشركات الاحتكارية في أكثر الدول العالمية ديمقراطية.

ومن ثم ينتقل إلى المبحث الثاني حول "المحددات الجيوبولتيكية واستراتيجية الحروب العسكرية. ويرى أن المحدد الجيبولتيكي يندمج ويتكامل مع المحدد الحضاري وقد يكون الأول تبعا لرؤية حضارية وتاريخية، ويعد من هم أهم فروع علم الجغرافيا وأحد المحددات الاستراتيجية للتفكير السياسي والقوة العسكرية، وقد نتج عن هذا المحدد نظرية المجال الحيوي والإمبريالية، والإحلال الثقافي والامتدادات الاثنوجرافية ونظرية التمدد العضوي والبقاء للأقوى، والغاية تبرر الوسيلة، والحق الطبيعي التي تتجاوز فكرة الحدود والتخوم، ونظريات القوة البرية، والجوية، والبحرية والبرمائية، والنظرية النووية، ونظريات المركز والهامش، والإطار، وجيبولتيك اللاهوت المقدس، من ثم تحددت مناطق الصراع بناء عليه وضم إلى جانب البر مناطق بحرية مرشحة للانفجار، ومجددة لتاريخية الصراع كمنطقة المحيط الهندي: وفقا لرؤية"روبرت ستويكيرس" أو منطقة البحر المتوسط عند كابلان أو منطقة المحيط الهادي.

وقد بدأت الدراسة بمساءلة النظريات الاستراتيجية الفاعلة في العلاقات الدولية "كنظريات صدام الحضارات لهنتجتون، ونهاية التاريخ لفوكوياما، والعمق الاستراتيجي لأوغلو، والتحدي والاستجابة لدريونيت، والتدهور الحضاري لاشبلنغر، ونظريات التمدد العضوي لراتزل، والبقاء للأقوى لداروين، ونظرية مالتوس، ونظريات الإبادة والعنصرية، والاستعمار، والنظريات الأصولية والأيدلوجية كالألفية والديمقراطية والشيوعية والليبرالية وغيرها من النظريات التي وظفتها القوى الكبرى والمؤثرة في السياسات الدولية.

وأعادتها إلى أصولها البنيوية التي منها تكونت كالديانات السماوية، والطوباوية التي تتعالى بالمثل وتنفصل عن الواقع، والقيم الأخلاقية التي تسعى لتقييد المجتمع والدولة بقيم التنمية والأنسنة، والقيم التاريخية التي تشكلت بها الدول القومية، والمعتقدات اللاهوتية التي جمعت بين مبادئ التنجيم والسيمياء والخيمياء، والعقائد الدينية التي تتكون من الأصوليات وتستشهد بها أو تلك العقائد المختلطة بالمتألهات الطبيعية والعقلانية والوجدانية.

فالرؤية الجيوبوليتكية للباحث تشير إلى أن لكل منطقة اقليمية عمقا وقلبا وأطراف وأن تهديداتها تختلف وإن كان يرى بأن التهديدات القادمة من الشرق هي الأكثر خطرا حيث أشار إلى أن التهديدات لن تكون عسكرية فقط فهناك تهديدات الفكر الديني والثقافي وتهديدات اقتصادية وعرقية.

وقد كتب الباحث عن التمايز العرقي وفق نظرية النسب إلا أنها تظل تابعة للتحديد الأصولي وللقيم التي يقبلها العقلاء، ولكل قاعدة استثناء والشاذ لا ينفي القاعدة بل يؤكدها.

وفي الخاتمة:

أشار الباحث إلى أهمية الدراسة في صياغة المحددات الاستراتيجية وأهميتها بالنسبة لصناع القرار السياسي القائم على رؤية بحثية مؤسسية لفهم عمق الآخر وأهدافه الجلية والكامنة ومن ذلك من خلال تحليل عالم الأشخاص وعالم الأشياء وعالم المعتقدات وظروف الزمان والمكان وتعد الأصولية من أهم المحددات وتتأصل بها النظريات العرقية والإثنية والثقافات في جزئيات مفارقة لأصالتها الأولى، ومن ثم تكون الأصولية مبررا شرعيا لمعتقديها أو تكون حركة إيمانية حقيقية. وكلما كانت الأصولية متكون بشري تسيس التدين كانت أكثر خطورة من الأصوليات الحقيقية.

وأن المحدد البيولوجي في الغالب يحدد السياسات القومية وهو عنصر وجودي على الرغم من وجود أيدلوجيات الأنسنة والمساواة والديمقراطية والعدالة الاجتماعية إلا تلك المثاليات قد تكون وسيلة أو مبررا لفرض سياسة الأمر الواقع الذي يرتبط وجودا وعدم بالمحددات الأصولية والبيولوجية.

كما أن الحضارة مبررا لإثبات شرعية التفوق السابق وتجسيدا لاختيار الآلهة من جهة،واختيار الطبيعة أو العقل من جهة أخرى، ويوظف ذلك لتشريع أو شرعنة السياسات العنصرية والتفوق العرقي أو السياسة الاستعمارية واستغلال موارد الآخر واستيطان أرضه، حيث أن بعضها ذات قيم دينية أخرى ذات قيم طبيعية في استغلال الآخر وإبادته أو استعباده، ويصنع المحدد الحضاري الثقافة المدنية وثقافة الرفاه والاستهلاك، وعلى أساسه تنصف الدول بين متخلفة ومتقدمة وفقا للنظريات الاقتصادية والتنموية والتكنولوجية.

ويأتي المحدد الجيبوليتكي ليصنف الأرض ويحدد مراتبها الجيوسياسية لفرض السيادة العالمية أو لمواجهة التهديدات الأمنية أو لتوسيع المجال الحيوي وفقا لنظرية المجال الحيوي وبناء عليه تحدد القواعد العسكرية الدائمة والمؤقتة ومناطق الاستيطان ومن ثم تشكلت نظرية قلب الأرض والإطار ونظرية القوة العسكرية البحرية والجوية والبرية والنووية ولهذا المحدد منطلقاته الأصولية والحضارية والتاريخية والاقتصادية.

وأخيرا فإن الكتاب له من الأهمية بمكان لصناع القرار السياسي والباحثين في علم الاجتماع والأديان والفلسفات حيث يقدم الباحث خلاصة موسوعية عن العوامل المتداخلة التي تشكل الظواهر السياسية والاجتماعية والاثنية والطائفية في عالمنا المعاصر وتضع القواعد الأساسية للتنبؤ بالمستقبل المجهول بحيث لا يستغني عنها الباحث في الدراسات المستقبلية.

شروط النشر في مجلة الإصباح

- أن يكون المقال والبحث قد كتب لمجلة الإصباح الإلكترونية وألا يكون قد أرسل لمجلة قبلها أو نشر كلا أو منه شيئا أو ما يشبهه في أية وسيلة نشر ورقية أو الكترونية أو قدم في أحد المؤتمرات العلمية أو بأية طرق من الطرق التي تنفي عنه خصوصية إعداده للمجلة.
- أن يرفق البحث أو المقال بصورة من الوثيقة الشخصية وصورة من المؤهل والسيرة ذاتية (V) باللغتين العربية والفرنسية أو العربية والإنجليزية.
- أن يكتب عنوان المقال أو البحث باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية أو العربية والفرنسية.
- أن يكتب ملخصا عن الموضوع باللغة الفرنسية "ليس لها حد معين".
- أن يحدد إشكاليات البحث والمشكلة الرئيسية وفرضياتها ومناهجها والغاية من الدراسة وأهميتها والكتابات السابقة والمفاهيم الرئيسية وأنسابها وآليات البحث والوصف والتحليل والاستنتاجات الجزئية التراكمية والنتائج الكلية وأن يرفق البحث بقائمة النقول وفق تقسيماتها إلى (المراجع "الكتب التي لها اعتبارات مقدسة كالكتب الدينية والتاريخية والأصولية، المصادر "الحديثة والمعاصرة، ثم المترجمة، فالمصادر بلغاتها الأجنبية.
- أن يتقيد الباحث بلائحة التوثيق وفقا لما تعتمده المجلة.
- تنشر المجلة المراجعات النقدية للكتب الحديثة والمهمة التي تتناول بعضا من اهتمامها بأية لغة أجنبية بما لا يزيد عن 3500 كلمة وتخضع هذه المراجعة لقواعد التحكيم.
- تنشر المجلة البحوث وفقا لمضمونها وفائدتها ومنهجيتها ولا تأخذ بعين الاعتبار مكانة الباحث الاجتماعية والسياسية والأكاديمية والسيرة الذاتية.
- تتبنى المجلة نشر البحوث باللغتين الفرنسية والإنجليزية مع ارفاق ملخص مستوفي المعايير باللغة العربية.
- تتبنى المجلة نشر البحوث العلمية بأحد اللغات الثلاث أو بها جميعا.

عن الإجراءات البحثية:

- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث والمقالات فيما يتعلق بإحالة المعلومات إلى مصادرها وتوثيق الاقتباس والأمانة العلمية في النقل والتهميش.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، وتتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين، (حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط simplified 12) (Arabicللملخص العربي و(1 Times New Roman 2للملخص باللغة الانجليزية(، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية
- أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.

- أن تلتزم الدراسات الميدانية بالمنهجية المعروفة في عرض المشكلة، والخطوات المنهجية، والموضوعية والتثبت، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.